لحنُ الأمَلِ والقَدَر

THE MELODY OF HOPE AND FATE

The Stranger

الغريب

فهد بن نايف

FAHAD BIN NAIF

DAR PAGES

ⓒ دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع ، ١٤٤٥هـ

نايف ، فهد بن
الغريب. / فهد بن نايف – ط١. .- الاحساء ، ١٤٤٥هـ
٥٨٨ ص ! ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٨١٣٠
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢١٦٣-٧-٧

مجهّز النسخة: أشرف غالب.. محرر النسخة: ميساء طه.

دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع

للتواصل :
رقم الجوال : **0556902621**
الايميل :darpagesbook@gmall.com
الموقع الإلكتروني: darpagasbook.com
حسابات مو اقع التواصل : dar_pages_book

DAR PAGES
BO——OK

الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو اي جزء
منه، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي
شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر

جميع العبارات و الافكار الواردة في الكتاب تعبرعن وجهة نظر المؤلف
دون احلى مسؤولية على الناشر

الغريب

«سلسلة رواية الغريب»

«عالم أُوستراث»

فهد بن نايف

2024م - 1445هـ

تم تجهيز هده النسخة بواسطة:

• ميساء طه •

جميـع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضَــاد الإلكترونية
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد

https://t.me/twinkling4

«الفصل الصفر»

منذُ الأزلِ، كانت العناصر الأربعة هي ما يحافظ على توازن كل ما بالوجود... - الماء والهواء والنار والأرض -.

حافظت العناصر هذه، على اتزان الطبيعة والعلاقات بين جميع الكائنات الحية..

وإذا حدث وتم الإخلال بهذه العناصر، ستعمُّ الفوضى وسيسُودُ الظّلام كل شيء.

أولئكَ الذين يستطيعون استعمال وتسخير هذه القوى يُدعَون بـ «الإيثاي»، وعلى مرِّ العصور كان هنالك العديدُ ممَّن امتلكوا قوى كبيرة!

منهم من استعمل هذه القوى في الخير ومساعدة الغير، في البناء، والعلم، والطب، وغيرها الكثير..

ومنهم من استعملها في الشر كالحروب، وقتل الأبرياء والتعذيب؛ لإشباع رغباته الشّيطانية!

ومنهم من امتلكه الغرور، وأراد الحصول على كل شيء!

وتسبّب ذلك في إقامة الكثير والكثير من الحروب وسفك الدّماء وقتل الأبرياء بغير ذنب!

وعلى جثثهم بُنيت ممالك وسقطت أخرى.

أوستراث
البحر الأبيض الغائر
الفراغ الملعون
أرض الحديد
امبراطورية أوريون
بحر الظلال
بحر الظلام
كيرث
ليشيونا
ايثيريا
الصحراء العظيمة
ريفيرلاند
البحر التمادي
جزيرة السحاب
بحر الدم
آزمر
بحر المرآة

(خريطة عالم اوستراث)

«العناصر الأربعة»

الفصل الأول..

الطائر الجريح

<<مملكة إيثيريا>>

<<العاصمة ريسيليا>>

- «سعاد! سعاد أين أنتِ..؟» بدأت طفلةٌ ما تنادي بنبرة مهزوزة خائفة، تجري في المكان!

وأضافت، مشيرة إلى ما بين يديها، وعيناها الزرقاوان كلها قلق:

- «ها أنتِ ذا، انظري ماذا وجدتُ!».

- «ما الذي تحملينه بين يديكِ؟» أجابت سعاد، صاحبة العينين الرماديتين، تتساءل حائرة.

وقالت بعدها بنبرة مُتأسفة وآسرة:

- «هل هذا.. يا للمسكين..».

- «وجدتُه هكذا في حديقة القصر، وهو بهذه الحالة! علينا أن نعالجه بسرعة أرجوكِ!» أعادت الطّفلة بنبرة راجية!

- «حسنًا، لنذهب إلى أبي، سيعلم ماذا يجب فعله.» أجابت سعاد، بتعجل وقلق.

- «ما بكما تلهثان هكذا يا صغيرتي؟!» بدأ صاحب العينين الرماديتين مخاطبًا ابنته وصديقتها، داخل تلك الغرفة المليئة بالنباتات والأعشاب الكثيرة.. وخيوط الشمس الغاربة الدافئة تتسلَّل زواياها الصغيرة.

- «بابا، لقد وجدنا هذا الطائر المسكين، في حديقة القصر وهذه حالته!» أجابتِ ابنته صاحبة العينين والشعر الرماديين. وأنهت بعدها، وهي تعاين صديقتها:

- «في الحقيقة، هي من وجدته.».

- «أرجوك يا سيدي عالجه!» قالت الصغيرة ترجوه بصوت مهزوز حزين.

- «حسنًا حسنًا، سأرى ما بإمكاني فعله... دعيني أراه.» - أجاب السيد شهاب، وأضاف يتفحص الطائر الجريح:

- «هممم، يبدو أن أحد جناحيه مكسور، ولديه أيضًا كسر طفيف في ساقه!» - وأنهى بعدها مطمئنًا إياهما بابتسامة:

- «ولكنه سيعيش، لا تخافا.».

- «حقًا؟» - أجابتا بنبرة فرح وارتياح.

- «أجل.. سيعيش وسيعود كما كان... أعدكما.».

فرحتِ الصغيرتان جدًّا بهذا الخبر، وظلتا تشاهدان السيد شهاب، وهو يعالج الطائر الصغير بسحره التّايروستراث، ونظرات عينيها القلقة نحوه.

- «هل تريدان أن أروي لكما قصة طائر النَّار؟» قال السيد شهاب، محاولًا إبعاد قلقهما بقصة قديمة..

- «طائر النار؟!» - سألت الصغيرتان بدهشة.

- «كان يا مكان، في قديم الزمان.. كان هناك طائر، حجمه أكبر من النسر حتى!

لونه ذهبي ناري، وعلى رأسه طُرَّة من الرّيش، كأنها تاج له، معلنًا بذلك أنه الملك والأقوى وكفى!

جناحاه أكبر من جناحي النّسر، وريشه ناعم الملمس، ملائكي بحق! وله ذنب طويل من الريش الأحمر، البرتقالي والأصفر.. يملك صوتًا عذبًا ملائكي الأنغام والألحان! ولكن رغمَ هذَا كُله.. فما يميزه هو أنه كان يمثل السلام والمحبة... ويحس بآلام البشر ومعاناتهم! ويقال إن دمعة واحدة منه تشفي الجرح!».

- «واااااه يبدو ذلك رائعًا حقًّا!» قالت الفتاتان، وفمهما كاد يسقط من روعة ما يسمعانه.

- «ولكن هذا ليس كل شيء!» قال السيد شهاب، وأضاف يحاول إشباع فضولهما، بصوت لعوب وشيق:

- «هل تريدان معرفة ماذا يحصل عندما يموتُ هذا الطائر الناري؟!».

- «أجل أجل!» - قالت الفتاتان بتلهف.

- «عندما يموتُ هذا الطائر، فإنه يموتُ بنارٍ مِن إنشائه! إذ يحرق نفسه بنفسه، إلى أن يحترق ويصبح رمادًا بالكامل! ومن هذا الرماد... هل أنتما جاهزتان لمعرفة ماذا يحصل؟!».

بلعت الطفلتان ريقهما، وكُلّهما يموتُ تشوّقًا لسماع الإجابة.

- «ومن هذا الرماد، تخرج بيضةٌ صغيرة! في اليوم الأول تكبر هذه البيضة شيئًا فشيئًا.. وفي اليوم التالي، يخرج منها جناحان صغيران للغاية! أما في اليوم

الثالث والأخير! فتفقص البيضة بالكامل، ويعود الطائر حيًّا من جديد! ما رأيكما أليس هذا مدهشًا؟».

نظرت الصغيرتان لبعضهما، وعيناهما جاحظتان تمامًا من شدّة دهشتهما،

والابتسامة لم تفارق شفتاهما أبدًا! ومن ثم نظرتا إلى السيد شهاب، ولا تستطيعان إخفاء الحماس والفرح، وردَّدتا في نفس الوقت بصوت ملأه الإثارة والهياج:

- «ما اسم هذا الطائر، وأين يمكننا أن نجده؟!!».

لم يتمالك السيد شهاب نفسه عندها، وراح يضحك أمامهما من شدّة لطافتهما، وقال مبتسمًا:

- «كما قلتُ لكما، إنها مجرد قصة من الزمن القديم، كانت تُروى للأطفال وقت النوم لا أكثر من هذا.. أما بالنسبة لاسم هذا الطائر فيدعى بطائر الـ...».

- «طائر العنقاء!» - أجاب صوت من خلفهم..

- «مساء الخير أيها الملك..».

- «أهلًا بك.» رحبَ السيد شهاب.

- «أهلًا سيد شهاب...» أجاب الملك مرحبًا.

- «أبي!» جرت الطفلة تحتضن أباها، وقد اعتلت على عينيها الزرقاوين نظرات الانبهار، وقالت متحمسة والبسمة لم تفارق شفتاها:

- «أبي انظر، لقد وجدتُ هذا العصفور الصغير المسكين في حديقة القصر، وكان أحد جناحيه مكسورًا وكذلك ساقه! وكنتُ أخافُ أن يموت، لذلك أسرعتُ أنا وسعاد إلى السيد شهاب، كي يعالجها! ومن ثم أخبرنا بقصة طائر

الـ.. اممم.. طائر.. الـ؟!».

- «العنقاء؟!» أجاب الأب مسايرًا ابنته مبتسمًا بفرح..

- «أجل أجل، طائر العنقاء هذا!» وأكملت فرحة:

- «هل تعلم أنه عندما يموت، يستطيع أن يرجع إلى الحياة مرة أخرى من رماده، على شكل بيضة؟!!».

- «أوووه حقًا؟! لم أكن أعلم ذلك!».

- «وقال أيضًا إن دمعةً واحدةً منه تشفي الجرح تمامًا!».

- «أولا يبدو هذا رائعًا حقًّا ها!» - أكمل الملك أليكساندر مسايرًا ابنته من جديد..

- «لقد انتهيت.» نادى السيد شهاب..

- «لقد استيقظ، انظروا..» قالت سعاد، بفرح وطمأنينة.

- «ما رأيكما إذًا أن نأخذه إلى عُشِّهِ في الحديقة! ربما عائلته قلقة عليه الآن.» أجاب السيد شهاب.

- «أجل هيا بنا.» - أجابت الطفلتان بحماس.

- «هل ستأتي معنا يا أبي؟» نادت الطفلة أباها.

- «نعم، ولِمَ لا.».

ذهبت الطفلتان برفقة السيد شهاب والملك أليكساندر، إلى حديقة القصر. وكان الطائر الصغير يغرّد فرحًا عندما سمع أصوات تغريد عائلته. ظلّ الأربعة يشاهدون غروب الشمس في الحديقة، والطفلتان فرحتان بما فعلوه، وعيناهما تملؤهما البهجة والسرور، وهما يشاهدان الطائر الصغيرَ فِي عُشِّهِ وبينَ أهله سعيدًا ويُغرّد فرحًا.

- «قصة العنقاء ها!» بدأ الملك بابتسامة مخاطبًا السيد شهاب..

- «في الحقيقة كانتا قلقتين جدًّا على الطائر الصغير، وأردت أن أصرف انتباههما بقصة تبعد قلقهما قليلًا... وقد نجحت!» أجاب السيد شهاب، وهو ينظر للملك مبتسمًا فخورًا بنفسه. وأكمل بعدها بنبرة أكثر جدية قليلًا، وقال:

- «أنا ما زلت متمسكًا برأيي أيها الملك! ما زلتُ أظن أنه من المبكر جدًا أن يحوز على هذا القدر من القوة! صحيح أنه شاب ذكي وعملي، ولكن ما زلنا نجهل الكثير عنه، لا سيما أن نُقدم على هكذا خطوة في أوقات حرجة كهذه!».

- «أعلم مخاوفك يا شهاب، ولكن شاب في مثل سنه وبهذهِ الإمكانيات علينا أن نُنمّيها ونحافظ عليها! صحيح أننا ربما نجهل بعض الأشياء عنه، ولكن لم يفعل أي شيء غير أنه استمر في حماية المملكة وشعبها!» أجاب الملك أليكساندر يُحاجِجُه.

- «وأنا أشهد له بذلك، ولكن ألا تظنُّ أَنَّهُ مِن الغريب أن يحدث كُلُّ هذا منذ اللحظة التي انضم فيها للجيش؟».

- «أتقصد موت موريل؟» قال الملك يتساءل.

- «أجل، وليس هذا فقط، بل استطاع كشف أماكن الضعف في حدودنا الشمالية وجعلها أقوى من ذي قبل! وأحبط كُل عمليات التهريب تلك، واستطاع الإمساك بكل هؤلاء الجواسيس من مملكة ليثيونا!».

- «وأنت لست سعيدًا، لماذا؟» أجاب الملك باستغراب.

- «لأن كل هذا حدث في مدة قصيرة جدًا، الأمر يبدو وكأنه كان يعرفُ كُلَّ شيء من قبل أن تطأ قدماه المملكة! وموت موريل أيضًا! أنتَ وأنا نعلم أن موت موريل لم يكن صدفة أبدًا! موريل ليس بالشخص السهل قتله حتمًا! موت موريل كان غدرًا، وأنت تعلم ذلك..».

عندها أخذ الملك يشير بيده إلى تلك الطفلتين أمامهما، تحت ظل الشجرة، يلعبان والبسمة لا تفارق شفتيهما، وقال مبتسمًا بنبرة هادئة مستذكرًا:

- «قبل ثلاث سنوات، تمكّنت هاتان الطفلتان من الهروب من القصر بسبب أنّنا منعناهما من شيء ما لم أعد حتّى أستطيع تذكره! وعندها كدنا أن نقلب العاصمة رأسًا على عقب من أجل أن نجدهما! وظننا أنه تم اختطافهما، ولكن في نهاية اليوم كان هو من أتى بهما إلى القصر! ولم أنسَ تلك اللحظة التي احتضنت فيها ابنتي التي ظننتُ أني لن أراها مُجددًا أبدًا! وعندها طلبت منه أن يتمنى ما شاء قلبه، وسوف ألبّي ذلك الطلب مهما كان! ولكنه أبى ذلك وأصرّ على أنه فعل الشيء الصحيح، والشيء الصحيح لا يتطلب فعله مقابل أيًّا كان! وبعد إصراري له بذلك، طلب الانضمام إلى الجيش والاستمرار بحمايتهما، وحماية المملكة.. ولم يفعل شيئًا منذ وقتها إلا ذلك..».

- «كُلُّ ما أردتُ قوله، أني أظن أنه من المبكّر جدًا تعينه قائدًا للجيش...» أجابَ السيد شهاب، وأضاف بصيغة غير رسمية، بنبرة منبهة وعينين محذرتين:

- «انظر يا أليكساندر.. أنت صديقي، وأنا أثق بحكمك، وكصديق... بل كأخ لك، أرجوك أعد النظر في حكمك!».

- «شهاب أخي..» قال الملك أليكساندر، مبتسمًا. وأضاف بنبرة حملت معها ثقلًا عظيمًا:

- «المملكة تمر بوقت عصيب! الإيثاي يتوافدون إلى مملكتنا طلبًا للجوء.. ولذلك فإن حدودنا معرضة للخطر! ونريد شخصًا شابًّا ذا عقل فذّ مثله، كي يتأكد أن لا أحد خطر يعبر من تلك الحدود قد يهدد أمننا وسلامنا! في هذه الأوقات علينا أن نتكاتف جميعًا لكي نرى ابنتينا تكبران، لتصبحا الأفضل في مكانٍ يَعُمّهُ الأمن والسلام...» عندها أنهى الملك قائلًا، بصوتٍ واثق ونبرة مؤكدة:

- «الشاب ذكي وقوي، وهدفه نبيل! أستطيع أن أرى ذلك فيه... وتخيل ما قد يفعله إن أصبح قائدًا للجيش؟ سيفعل العجب! أنا أثق بذلك، وأثق به، وأرجو أن تثق بي أنت أيضًا، ولا تقلق، فنحن ما زلنا هنا، وسنسانده ونرشده إذا ضل الطريق.».

- «أرجو أن تكونَ مُحقًّا يا أليكساندر.» أجابَ السيد شهاب بنبرة تحذيرية.

- «انظري يا سعاد، كم يبدون سعيدين بعودته!».

- «نعم، إنهم كذلك...» قالت سعاد مبتسمة..

- «هل تظنين أنه يريد أن يصبح مثل طائر العنقاء إذا أمكنه ذلك؟!» سألت الطفلة، مُفكرة بفضول..

- «لا أدري، ربما!» أجابت سعاد، وأضافت بنفس الفضول:

- «وأنتِ! هل تريدين أن تغيّري من نفسكِ شيئًا، إذا أمكنكِ ذلك؟!».

- «أووه صدقيني أريد تغيير الكثير من الأشياء! أولها اسمي.».

- «وما خطبُ اسمكِ، إنه جميل!».

- «أفضل اسم "روز أليكساندر آلن"».

- «لا لا! لا أحب هذا أبدًا، فاسمك رائع كما هو.. "ڤايوليت أليكساندر آلن"، هذا له وقع أجمل، وملكيّ أيضًا.».

- «حسنًا، وأنتِ ما الذي تريدين أن تغيريه؟».

- «أخبرتني أمي أنه عندما أكبر، سأحلم حلمًا، وعندها ستصبح لي قوى كبيرة! لذا أريد أن أحصل على قوى النَّارِ مثلها تمامًا!» أجابت سعاد بحماس.

- «واااااه!!».

- «وأنا أيضًا، أريد الحصول على قوى النار!!» قالت ڤايوليت بنظرات منبهرة. وأكملت بضحكتها الشريرة الغريبة تلك:

- «لا لا.. أريد الحصول على قوى الرياح، فعندها لن يتجرأ أحد على المساس بمملكتنا، وسندافع عنها بإعصار النَّارِ خاصتنا، ولن يقف أحد في طريقنا، وسوف نحكم العالم هيههاهاها!».

ضحكت عندها سعاد، وقالت مُفكّرة:

- «حسنًا، ما رأيك أن نعد بعضنا البعض هنا والآن؟».

- «حسنًا.» أجابت ڤايوليت وعيناها تلمع شرارًا وإثارة.

- «أعدك أنني سأحميكِ بكل قوتي، ولن أدع أي مكروه يُصيبكِ أبدًا، أو مملكتنا.» بدأت سعاد.

- «وأعدك أنني سأحميكِ وسأحمي مملكتنا، ولن أدع أي مكروه يُصيبكِ أبدًا.» أنهت ڤايوليت، وعندها تواعدتا بإصبعهما الصغير واختتمتا وعدهما بقبلة من إبهاميهما.

«أليكساندر رآل فيليب آلنور»

الملك أليكساندر رجل يبلغ من العمر واحدًا وأربعين سنة. طويل القامة، ذو شعر أسود طويل، يتخلله خصلات شعر رمادية.. عيناه السوداوان تتسم بحدتهما ونظرتهما الجادة، أي أن نظراته حادة جدًّا ومخيفة!

ولكنها جميلة، وتحبس الأنفاس في نفس الوقت، والتي جعلت منه محط أنظار جميع الفتيات. ونبرة صوته الحادة الجذابة، التي تدبّ في قلوب سامعيه الرهبة والخوف. وتقاسيم وجهه التي تبدو وكأنها مرسومة من قبل رسام أمضى حياته في رسم تلك اللوحة الأخّاذة، حتى تحبس أعين الناظرين إليها بلا كلل ولا تعب. ولحيته الكثيفة قليلًا التي زادت من هيبته ورزانته.

قاد الملك أليكساندر جيش أبيه، بدلًا من أخيه الأمير «دارف» في الحرب الأخيرة ضد مملكة «ليثيونا» وانتصر فيها. وأُعطي لقب «فارس القارة»، بسبب قوته المرعبة! فطريقته في القتال لوحدها، جعلت من صدى اسمه يعلو أرجاء القارتين، ولم ينجُ أحد من قتاله إلّا وقال:

- «عندما يُحدّقُ بك بتلك العينين الحادتين اهرب!! اهرب، فتلك أعين الموت بحد ذاتها! نظرته تجعل جسدك يقشعر، وكأنه ينظر إلى داخل روحك الفارغة! ولمّا تلاحمت سيوفنا، أقسم أني شعرتُ بالأرض تهتز من تحتي من شدّة وقوة تلويحه بالسيف. وكانت كُل ضربة موجهة لي أعلم أني أقرب فيها للموت من سابقتها.».

الفصل الثاني..

الفتاة الغيورة

- «ڤايوليت! ڤايوليت، هيا استيقظي، لقد أطلتِ النوم يا عزيزتي!».

- «ماما أرجوكِ اتركيني كي أنام أرجووكِ!».

- «ڤايوليت هيا يا عزيزتي استيقظي! ألم تخبريني في الليلة الماضية أنكِ وعدتِ سعاد أن تحميها وتحمي المملكة؟! كيف ستفعلين ذلك، وأنتِ نائمة هكذا طوال الوقت؟! وأرجو ألا تكوني قد نسيتِ أمر الحفل بعد غدٍ! علينا أن نُنهي التجهيزات الليلة.» قالت الملكة أيار، وهي تفتح ستار الغرفة، وأشعة الشمس تتسلل إليها بخجل.

- «أعدك يا ماما عندما أحصل على قواي، فلن أتأخر بالنوم وسأتدرب كل يوم، ولكن الآن فقط دعيني أنام..».

- «وماذا إذا قلتُ لكِ إن سعاد قد استيقظت مبكرًا، وهي تتدرّب الآن في الحديقة بجد، بينما أنتِ نائمة ولعابكِ يسيل مثل الأطفال!».

- «مبارك لها ذلك.. والآن دعي الطفلة تنام بهدوء!» وأقحمت رأسها تحت الوسادة تتظاهر بالنوم.

- «اهمم حسنًا إذًا..» - قالت الملكة أيار، وأضافت مستدرجةً ڤايوليت إلى فخها، وهي تغادر الغرفة بصوت لعوب:

- «أظنُّ أنَّهُ لا مانع إذًا من أن تتدرّب سعاد لوحدها معه! بما أنكِ طفلة، فهذا يعني أن سعاد ستحقق مرادها، وتأخذه لنفسها! حسنًا إذًا نومًا هنيئًا يا طفلتي

الصغيرة...» وقبل أن تقفل الباب خلفها، قالت بنبرة هادئة:

- «أووه! بالمناسبة نسيت أن أذكر أنها تتدرب مع كساندر..».

- «ماذاااا!» صرخت ڤايوليت مستيقظةً تمامًا، وشعرها منفوش متداخل ببعضه. وأكملت غاضبة مغادرة الفراش:

- «لماذا لم تبدأي بهذا إذًا..؟!».

ضحكت الملكة أيار على منظر ابنتها، وقالت بنظرات تحاول فيها إظهار عدم فهم الموقف تتغابى، بصوت لعوب:

- «لم أعلم أنَّكِ مُهتمة به لهذه الدرجة! بما أنكِ مجرد طفلة كما قلتِ؟!».

- «أنا لستُ طفلة! أنا امرأة كبيرة وجميلة!» اعترضت ڤايوليت، وهي تنظر لأمها بتكبر لطيف، واضعةً يديها على خصرها.

وأضافت وهي تغادر الغرفة بشكل غاضب مضحك وهستيري:

- «وسأري تلك الثعلبة الماكرة شيئًا لم تره!».

«أيار كوينت ثور نهارت»

الملكة أيار معروفة بحكمتها وذكائها وجمالها أيضًا! فلا عين أصابتها إلا وقعت في حبها... وكيف لا وهي تملك تلك العينين الزرقاوين الواسعتين.. عين إذا نظرت إليها تهت في زرقتها، وكأنك تبحر في محيط أزرق لا حدود له! وعين تجعلك تغرق في حبها وجمالها الشاعري، وكأنك تغرق في محيط لا قاع له! وشعرها الأسود القاتم الحريري... إذا تخللت بأصابعك خلاله لشعرت بنشوة،

وكأنك في عالم الأحلام. وتلك الشفتان الصغيرتان اللتان تتحدّاك أن تفارقهما عيناك ورغبة تقبيلهما! وصوتها الشجي، وكأنها غنوة حورية بحر، بدأت تغني بصوتها الملائكي، تستدرج وتجذب إليها أولئك البحارة التائهين في عينيها الزرقاوين... وطول قامتها ونحتة جسدها، الذي يجعلك تنسى كل امرأة قد حطّت عيناك عليها! وكيف لا ووقفتها دون قول أي شيء تجعل جسدك يقشعر من مهابة وعظمة كيانها، وكأنها طاقة جذب إلهية.

الملكة أيار يرجع أصلها ونسبها إلى مملكة «ريفير لاند». وكانت أول مرة رأت فيها الملك أليكساندر، كان في حفل أقامه والد الملك أليكساندر - آل فيليب آلنور - ودعا فيها العائلة الملكية لمملكة ريفير لاند؛ لحضور حفل بمناسبة انتصار مملكة أثيريا في الحرب ضد مملكة «ليثيونا» التي أعلنت الهدنة بعد حرب طاحنة دامت حوالي ثلاث سنوات، بقيادة ابنه أليكساندر رآل آلنور. وفي تلك الحفلة وقعت عيناه على الملكة أيار كوينت ثورنهارت لأول مرة.

- «سعاااد أيتها الثعلبة الماكرة!» بدأت ڤايوليت بالانقضاض عليها غاضبة:

- «لِمَ لَم تأتِ لإيقاظي، هل حقًا تريدينه لنفسكِ أيتها الأنانية؟! لِمَ لم تخبريني أنه قد عاد ها؟!».

أشارت سعاد بصمت بيدها إلى اتجاه ڤايوليت، وما هو وراءها، وهي تبتسم خجلًا لها!

علمت الأخيرة عندها أنه خلفها، فبدأت بالالتفاف ببطء ووجهها محمر من الخجل، وغاضب في نفس الوقت.

- «حسنًا حسنًا...!» بدأ الغريب بالكلام:

- «يبدو أن لدينا منافسة هنا، والجائزة هي أنا! هممم يا تُرى من التي ستفوز بقلبي؟».

- «اااء..اء امم..» بدأت ڤايوليت وصوتها يرتجف خجلًا. وأضافت تحاول البقاء متزنة بشكل لطيف:

- «لم أكن أعلم أنك عدت من الشمال! ليس وكأنني أهتم بالطبع!» قالت محاولة إظهار عدم اهتمامها بنبرة متكبرة تُدحرج عينيها غير مبالية له. وأضافت تحاول الحفاظ على رباط جأشها، بصوتٍ مُتردّد:

- «ولكن أنا امم.. أجل.. أنا سأكون الملكة يومًا ما وستكون أنتَ حارسي؛ لذا عليك أن تخبرني بِكُلِّ شيء!» قالت وكأنها تحاول أن تقلب الطاولة لصالحها، ولكن بدأ كساندر بالضحك، ومن ثم سعاد كذلك بشدّة.

- «ماذا ما الذي يضحككما ها؟» سألت ڤايوليت صارخة، وهي تضع يديها على خصرها، ونظرات عينيها غاضبة بشكل طريف حقًا.

- «لا شيء... حقًا لا شيء.» حاولت سعاد أن تتمالك نفسها، وألا تضحك ولكن لم تستطع!

عندها أشار كساندر بيده على رأس ڤايوليت، وراح ينحني مبتسمًا لعينيها، وأخذ بيده يلعب بشعرها حتى وقعت من بين خصلاتها بعض من ريش وسادتها! عندها غضبت ڤايوليت، واحمرّ وجهها خجلًا، وهرعت مسرعة إلى القصر تمسك دمعتها بسببهما.

كانت تجهيزات الحفل مهمة جدًّا للملكة أيار!

رغم أن البلاد في حالة تأهّب قصوى، بسبب الخطر القادم من الشمال، ولكن عانى اللاجئون من «الإيثاي» ما يكفي! زُهقت أرواحهم وقُطّعت أجسادهم! وعاشوا يومهم وكأنه الأخير! عانوا الكثير والكثير، وتفنن أولئك بتعذيبهم، إذ يصلبونهم تارة، وتكون أجسادهم عارية داخل أقفاص أمام الملأ تارة! إما أن يضرموا النار على أجسادهم! أو يتركوها للغربان كي تتفنن باقتلاع أعينهم، ونزع لحومهم حتّى الموت.

ما فعلته مملكة ليثيونا بالإيثاي على مر السنين والعصور هو شيء لا يوصف بالكلمات أبدًا! أفكار غُرست في أطفالهم منذ نعومة أظفارهم، أن الإيثاي هم مخلوقات اختارها الشيطان، ووُجِدت لكي تَعُوثَ في الأرض وتنشر شرورها... وأنهم هم المختارون من قِبل الآلهة، كي يُخلّصوا العالم من هذه الشرور. لذلك كان أمرًا مهمًّا للملكة أن تجعل الحفل رائعًا متكاملًا ومليئًا بالفرح والبهجة، ينسيهم آلامهم وأوجاعهم ولو قليلًا! ولكي يحظوا بالأمان والاطمئنان ويزيد أملهم بالحصول على الحياة التي يستحقونها، وفي مكان يعتبرونه وطنهم.. وتكون هذه المملكة منارة لِكُلِّ الإيثاي المتوارين عن الأنظار والخائفين على أرواحهم في هذه القارة.

- «ڤايوليت هل أنتِ نائمة؟» استأذن كساندر طارقًا الباب.

تظاهرت ڤايوليت بالنوم؛ لأنها لا تريده أن يراها بعدما جعلت من نفسها أضحوكة! ولكن كساندر علم أنها مستيقظة، فدخل وراح يجلس على حافة السرير، وقال وهو يُربّتُ على قدميها، بصوت هادئ دافئ:

- «لقد اشتقتُ إليكِ يا ڤايوليت.. ألم تشتاقي إليّ؟».

فايوليت لم تُجب، واستمرت في التظاهر بالنوم، ولم تُحرك شعرة منها.

- «اههمم حسنًا إذًا..» قال كساندر بنبرة خسارة، وأضاف مستدرجًا إياها، وهو يهم بمغادرة الفراش، بصوت لعوب:

- «أظن أنني سأذهب، لكي أرى إن كانت سعاد قد اشتاقت إلي..!».

عندها قفزت ڤايوليت، وانقضت عليه من خلفه بسرعة كالأسد، وعضته في يده، ووضعت رجليها حول خصره، وأحكمت إغلاقهما، وأمسكت شعره بيدها الأخرى، وشدّته بكل قوتها للخلف حتى أسدحته في مكانه، وقالت وأسنانها ما زالت مغروسة في يده: -

- «لن تذهب إلى أي مكان هل فهمت؟».

- «أووا أوو أووا حسنًا حسنًا!! لن أذهب إلى أي مكان! لقد فهمت.. لقد فهمت.» أجابَ كساندر مستسلمًا، وكان متألمًا بعض الشيء بالفعل.

- «أحسنت.. فتى مطيع!» قالت ڤايوليت، مبتعدة عنه ومنتصرةً فخورة بنفسها.

- «هل تظنين أنكِ قد انتصرتِ علي؟! ربما ربحتِ المعركة، ولكنكِ لن تفوزي بالحرب! سأعود أقوى وسأنتصر عليكِ حتمًا.» قال كساندر، بينما لا يزال ممسكًا بيده التي عضته فيها متألمًا.

عندها أخذت تنظر إليه بعين جريئة متكبرة تنذر بالويل له، وقالت بنبرة مُحدّدة:

- «لا تجعلني أنهي الحرب الآن، وأقضي عليك تمامًا!».

- «لا كنتُ أمزح فقط.. هههه فقط أمزح.» أجابَ بخوفٍ مُتصنع مسايرًا إياها.

وعندها سألت:

- «لم يخبرني أحد أنك ستأتي! هل أتيت بسبب الاحتفال؟».

- «في الحقيقة لقد استدعاني الملك أليكساندر بخصوص أمر ما، وأيضًا هناك بعض الأمور عليّ أن أناقشها معه.».

- «أمور ماذا؟».

- «أمور بسيطة، لا تقلقي بشأن ذلك...».

عندها أخذت تنظر إليه بنظراتِ القلق، وقالت بنبرة خائفة:

- «هل مملكة ليثيونا تخطط لشيء ما؟».

- «وما أدراكِ بهذا؟».

- «لقد سمعت أبي والسيد شهاب يتحدثان عن الأمر في غرفة الحرب..» أجابت فايوليت، وأخذت تنظر لكساندر بعينيها القلقتين، وراحت تحتضنه بخوف:

- «كساندر هل حقًا سندخل في حرب مع مملكة ليثيونا؟».

- «لا تقلقي يا عزيزتي كُلُّ شيء سيكون بخير.. المهم الآن هو أن ترتدي ملابسكِ وتذهبي لكي تتناولي الفطور، اتفقنا؟!» قال وهو يمسح على رأسها مبتسمًا.

- «عندما أكبر سأكون قوية جدًّا، وسأدافع عن الجميع حتى أنت! لقد تواعدنا أنا وسعاد على هذا، وسأتدرب لكي أكونَ أقوى من اليوم فصاعدًا!» قالت بنبرة واثقة، ثم أنهت بضحكتها الغريبة تلك، بعدما فكرت قليلًا:

- «أو ربما بعد الاحتفال هيهي.».

- «حسنًا، وسأحرص على اختبار قوتكما بنفسي.» أجابَ كساندر مبتسمًا، وهو يربتُ على شعرها الأسود الناعم بين أحضانه.

«كساندر راثمور»

كساندر شاب في الثالث والعشرين من عمره. شاب وسيم وطويل القامة. صوته عذب وهادئ، يبث الطمأنينة والثقةَ لِكُلِّ من حوله. عيناه سوداوان واسعتان جدًّا، ومن شدة سوادهما تكاد ترى فيهما انعكاس نجوم الليل. شعره ناعم الملمس، أسود كسوادِ الليل، ولديه سيف يدعى بـ «راث».

سيف أسود طويل، وحدّته تكاد تقطع الهواء الذي تتنفسه! في الحقيقة يدعوه الكثير بـ الفارس الأسود أو فارس الظلام! ليس فقط بسبب لون سيفه، بل أيضًا فرسه «ريث» فكلاهما لونهما أسود. ورغم منظره الذي يوحي بشاب لطيف ووسيم ومرح جدًّا، إلا أن الجميع يعرفُ كم هو خطير وذكي! ولا يدخل غرفة إلا وتوجّهت جميع الأنظار إليه.. وإذا طُرح نقاش يبحث الجميع عن سماع رأيه، ولا أحد يعرف من أين أتى أو من هو في الحقيقة؟! ولم يهتم بذلك إلا القليل، فما فعله كساندر لمملكة إيثيريا في سنواته القليلة أعطاه الثّقة من

الجميع.. فهو يحارب كما لو أنها كانت مملكته، وكما لو أن الجميع هم أهله وعائلته.

الفصل الثالث..

منذ الأزل كانت العناصر الأربعة هي ما يحافظ على

توازن كُل ما بالوجود..

الماء والهواء والنَّارُ والأرض.

حافظت العناصر هذه، على اتزان الطبيعة والعلاقات بين

جميع الكائنات الحية..

وإذا حصل وتمّ الإخلال بهذه العناصر، ستعم الفوضى وسَيسُودُ الظَّلامُ كُلَّ شيء.

أولئك الذين يستطيعون استعمال وتسخير هذه القوى يُدعونَ بـ «الإيثاي» وعلى مر العصور كان هنالك العديد ممن امتلكوا قوى كبيرة!

منهم من استعمل هذه القوى في الخير ومساعدة الغير، والبناء، والعلم، والطب، وغيرها الكثير...

ومنهم من استعملها في الشر كالحروب، وقتل الأبرياء والتعذيب؛ لإشباع رغباته الشيطانية!

ومنهم من امتلكه الغرور، وأراد الحصول على كل شيء! وتسبب ذلك في إقامة الكثير والكثير من الحروب وسفك الدماء وقتل الأبرياء بغير ذنب! وعلى جثثهم بُنيت ممالك وسقطت أخرى.

جرت العادة أنه عند بلوغ الشخص يحلم حلمًا بالعنصر الذي سيمتلكه، ولم يكن لزامًا ارتباط ذلك الشخص بعائلته! أي أنه يمكن لشخص ما امتلاك سحر العناصر، بينما لا أحد من عائلته يملك القدرة على ذلك. في عين البعض قد يكون هذا الشخص مميزًا أو مُختارًا، سموه ما تريدون..

ولكن في عين البعض، وبالأخص طائفة الـ «داركمور» فهذه الطائفة لديها معتقدات وأفكار تزرعها في كل مكان وزمان، وفي الأطفال حتى منذ نعومة أظفارهم أن الإيثاي هم مخلوقات مختارة من نسل الشيطان! ولكي يعم السلام في هذا العالم علينا أن نُطهّره ونخلّص النَّاسَ من شرورهم، وأننا نحن المختارون من قبل الآلهة كي نُكمل هذه المهمة.

زرعوا أفكارًا وقصصًا خيالية، بعضها ربما حقيقة، ولكن محرفة لكي تخدم مصالحهم وأهدافهم الشخصية.

ولهم أتباع في كل مكان، يبحثون عن أي أحدٍ من نسل الشيطان كي يحرقوه وربما يصلبوه أولًا ويقتلعونَ أعينه! ثم يضرمون فيه النار ويشاهدونه يحترق،

وهم يحتفلون بانتصارهم!

ولا يشفقون على أي أحد كان! أباً كان أو ابناً، أماً كانت أو ابنة! يقتلونه ثم يقتلون أمه وأباه وإخوته، بغض النظر عما إذا كانوا من الإيثاي أم لا!

فكل ما يرونه هو نجاسة وعليهم اقتلاع مصدرها وما حولها!

على أسياخ معلقة رؤوسهم! أو داخل أقفاص محترقة فيها أجسادهم! فقط ليكونوا عظة وعبرة للجميع..

لطالما كانت هناك عداوة بين مملكة أثيريا ومملكة ليثيونا بحكم أن «هايرون» عاصمة ليثيونا، هي منبع طائفة «الداركمور» وبالتحديد قصر «بلودغود».

بلودغود هو من أكثر الأماكن خطورة، ربما في كلتا القارتين!

فمن الخارج يبدو وكأنه قصر عادي ذو أسوار بيضاء ضخمة تنسدل منها تلك الأعلام البيضاء يتوسطها كأس ذهبي، يحمل فيه نبيذًا أحمرًا أو ربما دمًا!

وفوق ذلك الكأس يوجد نجم أبيض ناصع البياض، كناية على أن الداركمور هم النور الخافت في الظلام وأنهم سيطهرون العالم من نسل الشيطان.

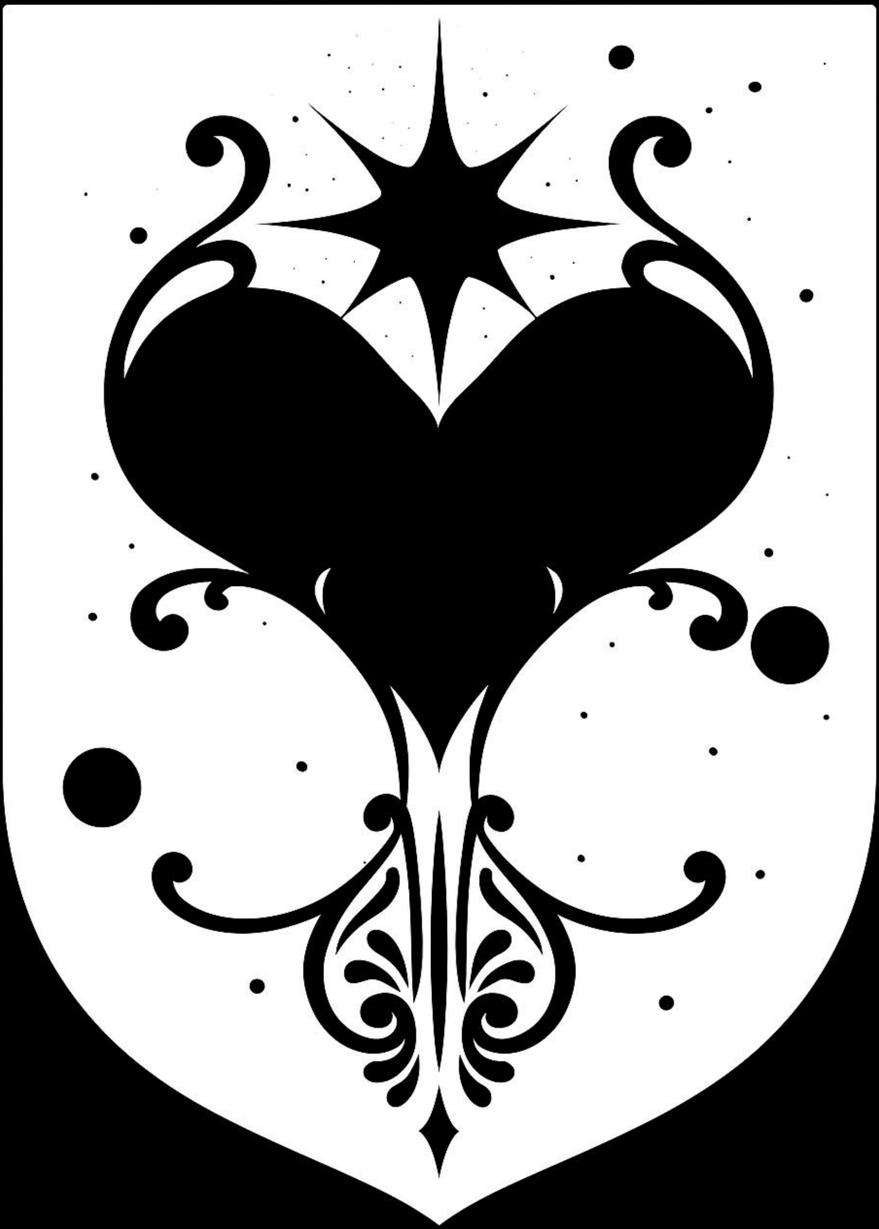

أما من الداخل فلا أحدٌ خرج حيًّا من هناك، كي يحكي ما رأته عيناه، غير جنود الداركمور أنفسهم، وهم حريصون على إبقائه سرًّا.

مملكة إيثيريا تُعد أكبر عدو يهدد مهمة الداركمور!

فمنذُ الهدنة التي أُقيمت مع الملك السابق لمملكة إيثيريا، الملك «رآل فيليب آلينور»، الذي توفِّي في فراشه فجأةً، فتحت مملكة إيثيريا أبوابها لجميع الإيثاي معلنة أنكم ستكونون بأمان هنا، وأنكم تحت حمايتنا من الآن وصاعدًا!

وحينها توافد الإيثاي لمملكة إيثيريا من مملكة ليثيونا، وكذلك من العالم أجمع!

ومن وقتها دام السلام حتى قبل سنتين من الآن.. فقد مات الملك الراحل لمملكة ليثيونا، الملك «جيمس وارن لاثندور»، وجلس على العرش ابنه «آزرا جيمس لاثندور»، الذي يكنّ ولاءًا تامًّا للداركمور وقصر بلودغود. أي ببساطة، أصبحَ الملك الجديد خاتمًا بيد الداركمور ودمية تتحكم بها بلودغود. ومنذ تعيين الملك الجديد، ألغت ليثيونا أو بالأصح بلودغود ميثاق الهدنة، بعد سنة مباشرة من تعيين الملك الجديد، وأعلنت الحرب. ومن وقتها والحدود الشمالية مع ليثيونا أصبحت كالمياه الساخنة، وفي أي لحظة ستفورُ وستبدأ الحرب من جديد.

الفصل الرابع..

العازف الصغير

{48 ساعة قبل الاحتفال، وفي غرفة التخطيط والحرب}.

اجتمع قادة الجيش والملك أليكساندر ومستشاره السيد شهاب وقائد الجيش المرشح كساندر راثمور، وآخران من جنرالات الجيش، لمناقشة استعدادات الحرب وحالة الجيش.. إذ بدأت مملكة ليثيونا في حشد جيشها عند الحدود الجنوبية لها باستعدادات كاملة.

- «كساندر أخبرني بالمستجدات...» بدأ الملك النقاش..

- «يبدو أنهم قد أنهوا استعداداتهم، ولكن كذلك نحن بالطبع! الجيش في أتم الاستعداد، أيها الملك.».

- «ماذا قال جواسيسنا، بشأن عدد العدو تقريبًا؟» سأل السيد شهاب.

- «حوالي 55 ألف جندي، ولديهم أيضًا بعض من جنود الإيثاي المحتجزين فوق إرادتهم.» أجاب كساندر.

- «يا للجبن!» اعترض الملك بنبرة مُتقزّزة تمامًا! وأكمل قائلًا بغضب:

- «يدّعون أن الإيثاي مخلوقات من نسل الشيطان، وها هم يستخدمونهم كدمى لحروبهم!».

عندها قال أحد الجنرالات بالجيش راجيًا:

- «أيها الملك أرجوك، إن الجنود بدأوا يتحدثون عن خوض حرب ليست لهم!» وأقتبس مما قالوا:

- «تركنا منازلنا وراحتنا وزوجاتنا وأطفالنا كي نخوض حربهم؟!»

- «ما زال هناك وقت، فقط إذا أعطيت الأمر سنرسلهم إلى مراكز التدريب، وسأدع نورمان يُشرف على تدريبهم حتى يتأكد من جاهزيتهم، وسيكونون عونًا لنا وورقة رابحة!».

- «أخشى أنني أتفق معه، أيها الملك.» أكد السيد شهاب وأكمل ناصحًا: - «نحن نمتلك العديد من محاربي الإيثاي في جيشنا، ولكن عدد جيشنا كاملًا فقط 45 ألف جندي وحسب!».

وأضاف على كلامه أحد الجنرالات قائلًا:

- «الجنود مرابطون في الشمال لأكثر من 8 أشهر. ومنذ مقتل موريل، حاولنا بِكُل ما نملك أن نسيطر على الوضع، ولكن بعد سماعهم عن هذا الحفل، الجميع بدأ بالهيجان والتسخط! وكيف لنا أن نلومهم، فقد تركوا كُلَّ شيء لكي يدافعوا عن مملكتهم! أجل هذا واجبهم، ولكن أن يخوضوا حرب غيرهم بأنفسهم؟! نحن نعلم أن سبب هذه الحرب، هو لأن بلودغود غاضبة لأننا استقبلنا أولئك اللاجئين!» وأضاف الجنرال بنبرة راجية وعينان مراعية:

- «انظر أيها الملك، أنا لستُ أتهجّم عليهم فأنا لدي العديد من الأصدقاء الأعزاء والمقربين لي من الإيثاي، ولا أريد أن أرى فيهم مكروهًا، ولكن نحن جميعًا هنا نقاتل من أجل الهدف ذاته، ألا وهو حماية مملكة إيثيريا! فهي مملكتنا، وموطن الإيثاي اللاجئين الوحيد أيضًا! فمن دونها لا يوجد لهم مكان آمن أبدًا! لذلك أقل ما قد يفعلوه هو أن يحاربوا من أجل الوطن الذي آواهم وأعطا...».

- «اللاجئون من الإيثاي قد عانوا بما فيه الكفاية!! وها أنتم هنا تناقشونهم كورقة رابحة؟!» اعترضت الملكة أيار، وهي تدخل الغرفة، وأعين الجميع انسابت إليها، برهبة! وأكملت بنبرة حادة غاضبة:

- «تريدون إرسالهم إلى أرض المعركة... الهدف من هذا الحفل هو إظهار ليس فقط للإيثاي، بل لشعبنا وحتى أعدائنا أننا ما زلنا متماسكين وأقوياء! ورغمَ كُل شيء ما زلنا ننعم بالسّلام في الداخل، ونحتفل كما لو أن تهديدهم لنا لا يعني شيئًا... عندها سيغضب العدو وسيظن أننا نستهزئ بهم، وعندها سيقودهم غضبهم واستعجالهم إلى اقتراف الأخطاء! وهناك سنستفيد نحنُ من هذه الأخطاء، كي نقلب الموازين لصالحنا..».

- «ولكن جلالتكِ، أخبار الحفل وصلت إلى الشمال، وروحُ الجيش بدأت بالانكسار! حتى محاربو الإيثاي من جيشنا، يظنّونَ أَنَّهُ من غير العدل خوضهم لهذه الحرب وبقية الإيثاي اللاجئين الذين قد يكونون ذوي فائدة، في قلب موازين هذه الحرب، ألّا يشاركوا في الدفاع وحماية هذه المملكة!» احتج الجنرال وأضاف بنبرة راجية محذرة:

- «بل الأسوأ، وهو أن يحتفلوا ويُرفهوا عن أنفسهم، بينما هم يقاتلوا بأرواحهم من أجلهم، ويحاربوا بدلًا عنهم! وفوق كل هذا، فجيش العدو أكبر بعشرة آلاف جندي تقريبًا.».

- «وكيف تظن أن أخبار الحفل وصلت إلى الشمال!» أجابت الملكة معلنة أنها السبب في وصول تلك الأخبار إلى الجنود.

- «ولم فعلتِ ذلك؟» سأل الملك أليكساندر بتعجب.

- «اااه أنتم الرجال...» أجابت بنبرة مُعايرة، وأضافت:

- «حسنًا إذًا كساندر، أنتَ أصبحت قائدًا للجيش أليس كذلك؟ أخبرني إذًا

لماذا فعلتُ أنا هذا! لماذا تكبدت عناء إخبار الجنود بأمر الحفل، وأنا أعلم أن هذا الخبرَ سَيُحبطهم تمامًا؟!».

عندها وضع كساندر يديه على الطاولة أمامهم، ينظر إلى الخريطة، وإلى تلك المجسمات الخشبية. وراح يفكر بصوت عالٍ:

- «إذا تكبدتِ عناء وصول الخبر إلى الجنود في الشمال حقًّا، وأنتِ تعلمين أن هذا الخبرَ سَيُحبط من عزيمتهم وروحهم القتالية... والآن ما زلتِ مصرة على إقامة الحفل وعدم مشاركة الإيثاي اللاجئين في أرض المعركة فهذا يعني..» ثم نظر كساندر إلى الملكة مندهشًا، وأكمل يعاين عينيها الزرقاوين منبهرًا:

- «هذا يعني شيئًا واحدًا.. لديكِ ورقة رابحة في جعبتك؟».

- «أحسنت، وما هي ورقتي الرابحة؟» أكملت الملكة وهي تثني عليه.

- «إذا كانت لديكِ ورقة رابحةٌ فلا بد أنها خُطةٌ تُدَعِّمُ الجيش، وتستعيد من روحهم القتالية! لا بد من ذلك!» أكمل كساندر يُفكّرُ بصوت عال، وأخذ يطوف حول المكان وقال:

- «خطاب... ستلقين خطابًا للجيش! لا لا.. ليست هذه؛ لأن وجودكِ هنا خلال الحفل وبعده مهم جدًّا.. وأيضًا الخطابات هذه لا تبدو من طباعكِ أبدًا! ما تحيكينه هو أمر سيكون أثره على أرض المعركة كبيرًا جدًّا! وربما يقلب من الموازين، فلستِ من النوع الذي قد يغامر هكذا دون ضمانات مؤكدة أو تكهنات قد تكلف الكثير... وبذلك أعني خسارة المملكة..!».

عندها نظرت الملكة إليه، بعدما استوى أمامها. وأخذت تمشي بخطوات هادئة وواثقة... حتى استوت هي أمام الطاولة تلك، وأخذت تعاين الخريطة للحظة وهي تبتسم. ثم وبكل هدوء ورقة، أخذت تمرر يدها على مجسمات الجنود الخشبية المتراصّة فوق الخريطة، وقالت:

- «أفضل دفعة معنوية للجنود قبل الحرب، هو خطاب الملك.. ولكن الخطاب يبقى مُجرَّدَ خطاب! كلمات تقال وتوهم الشخص إلى الإيمان بشيء ربما لا وجود له! أجل الكلمات قوية وأقوى من السيف ذاته ربما! ولكن نفسها الكلمات لها حدود! وربما تكون سببَ هَلاكِك إذا آمنت بالشيء المستحيل تحقيقه.» ثم بدأت بإسقاط مجسمات الجنود الخشبية الواقفة والمتراصة بيدها، واحدة تلو الأخرى، وأكملت:

- «لذلك أنتم الرّجالُ من السهل التلاعب بكم..».

ونظرت إلى جميع من في الغرفة في أعينهم، وهي تبتسم وكأنها تعنيهم بكلامها، وتبادل عندها الجميع النظرات فيما بينهم، وكأن الكلام هذا لا يعنيهم وغير صحيح! ثم أنهت بسؤال:

- «لذلك سؤالي لكم أيها القادة.. ما هو الشيء الأقوى من السيف، وأقوى من خطابات الملوك في الحروب؟».

أخذ الجميع يُفكر للحظات...

- «الكثرة..» أجاب كساندر بثقة كاسرًا بصوته حبل أفكارهم وأكمل بصوت جهوري وواثق:

- «الكثرة هي ورقتكِ الرابحة؛ لأن الشيء الوحيد الذي قد يعيد الروح القتالية للجنود، والرغبة في القتال بعد عزيمتهم المنكسرة، ليس هو السيف! ومهما كان خطاب الملك للجيش قويًا، ويرفع من معنوياتهم ويملأ قلوبهم قوة وعزيمة! فالشيء الوحيد الذي قد يقتل من روح أي جيش، هو عندما يرون أن جيش العدو يبلغ عددهم أضعافًا وأضعاف عددهم. عندها فقط سيدخل الشك والخوف في قلوبهم، وستبدأ عزيمتهم تذهب أدراج الرياح تمامًا! لذا فإن خُطَّتَكِ في جلب أعداد كبيرة، تبث الحياة والقوة في جيشنا من جديد، وتساعدهم في قتالهم.. وبذلك سيتسبَّب هذا بتثبيط معنويات جيش ليثيونا

تمامًا.. فبعد كل شيء، الكثرة تغلب الشجاعة! وأعني بالكثرة جيش أبيكِ! ملك مملكة «ريغير لاند»، فبعدَ كُلِّ شيء، ما زلتِ ابنة الملك كوينت ثورنهارت، ولن يسمح بالمساس بكِ أبدًا!» وأنهى بعد ذلك واثقًا، وعيناه ملازمتان عينيها:

- «أما اهتمامك الكبير بمعرفة الجميع وبالأخص جنودنا ومملكة ليثيونا بأمر الحفل، هو كي نُعطي فكرة للعدو أننا نستهزئ بهم، ولا نُلقي لهم بالًا، فعندها سيقودهم غضبهم وسيعمي بصيرتهم، وهناك كما قلتِ سيخطئون خطأ فادحًا وعندها سنستغل نحن ذلك الخطأ لصالحنا! وبالنسبة لجنودنا فسنعطيهم ما أرادوه تمامًا! فعندما يرون أن أعدادنا تضاعفت آلافًا مضاعفة، سترجعُ عزيمتهم وعندها يأتي دور الملك، كي يُلقي خطابًا، ليُعزّز ويؤكد على قوتهم وانتصارهم! وعندها سيكون النصر حليفنا، ولن يشارك الإيثاي اللاجئون في الحرب تمامًا كما أردتِ!».

- «واو لم تترك أي شيء للبقية! أحسنت، هذا ما ننتظره من قائدنا.» أثنت الملكة على كساندر.

- «منذ متى وأنتِ تخططين لكُلِّ هذا؟!» سأل الملك متعجبًا.

- «منذ موت موريل...» قالت وواثقة.

تعجب جميع من في الغرفة، ببصيرة الملكة أيار.

وأضافت بعدها:

- «لقد أرسلت في طلب الجيش قبل عدة أسابيع.. وسيصلون إلى ميناء رفيد في عصر ذلك اليوم من الاحتفال، وعددهم ثلاثون ألف جندي منهم سبعة آلافٍ من الإيثاي.. وسيقودهم كساندر إلى معسكر ما قبل الشمال.».

- «لماذا قبل الشمال؟» سأل أحد الجنرالات.

- «كي لا يملأ جنودنا الغرور...» أجاب السيد شهاب بنبرة حذرة، وأضاف بعين واثقة:

- «فكما للسيف والكلمات نقطة ضعف، فللكثرة نقطة ضعف أكبر ألا وهي الغرور!».

- «ما زلت تبهرني في كل مرة يا سيد شهاب.» أثنت الملكة عليه، وأيضًا كانت كلماتها حذرة عندما قالت:

- «الغرور ساق أممًا للهلاك! لذلك علينا ان نطمئن الجنود أنهم ليسوا وحدهم... وأن لا نجعل الجيشين يتقابلان إلا قبل المعركة بأيام قليلة كي لا يتملكهم الغرور بكثرتهم... فنحن نعلم أن جيش ليثيونا قوي جدًّا، وهذه المرة لديهم قصر بلودغود بصفهم، ولا يجب علينا التقليل بشأنهم أبدًا!!».

عندها أكمل الملك مؤكدًا على خطورة الموقف، وقال محذرًا:

- «إضافة أنهم يملكون جنود الإيثاي معهم فوق إرادتهم! ومنذ تنصيب الوريث الجديد لليثيونا فإنّ بلودغود لديها جميع الموارد هذه المرة، ولن تكون هذه الحرب سهلة كسابقتها أبدًا..».

وهنا قال السيد شهاب خاتمًا:

- «أنصتوا جميعًا سيصل جيش ثورنهارت في عصر يوم الاحتفال، إلى ميناء رفيد الغربي، وسيقودهم قائد الجيش كساندر راثمور إلى معسكر ما قبل الشمال.. وعلينا أن نأخذ بالحيطة بما أن لبلودغود الآن لديها الوصول الكامل للموارد الخاصة بالمملكة، فلا بد لهم من تطوير أسلحة شيطانية. لذلك علينا أخذ الحذر، وأرجو أن يكون النصر حليفنا...».

وبهذا أنهى السيد شهاب، النقاش، وغادر الجميع الغرفة وهم يناقشون القادم.

- «كساندر..» نادت الملكة أيار، قبل أن يغادر كساندر الغرفة.

- «نعم ملكتي؟» - أجاب بنبرة لبقة.

- «الجميع متوتر..» قالت الملكة أيار، وهي تنظر إلى عينيه، وعيناها الزرقاوان كُلّهما حذر، وأكملت:

- «ولستُ ألومهم، ولكن في وقت الشدة أريد أن أعتمد على شخص ذكي، ويعرف ماذا يفعل! فأنا لن أضع حياة ابنتي وحياة الأبرياء في هذه المملكة في يد شخص لا أثق بقدراته الاستراتيجية! فالقوة الجسدية ليست كل شيء، ولا تؤهلك لكي تكون قائدًا، لذلك كنت أراقبك منذ أن انضممت للجيش ورأيت ما باستطاعتك فعله، فرغم أنك شاب وقوي أيضًا، إلَّا أَنَّكَ تُفكر وتُحكم عقلك لا سيفك.. وأستطيع أن أرى أنك مررت بأهوال مروعة جعلت من ظهرك يشتد، وجعلت منك ما أنت عليه الآن، وأنت تعلم ماذا أقصد!!» قالت هذه الكلمات الأخيرة قاصدة شيئًا ما! وقابلها هو بصمت الاحترام، وعيناه متأسفة بشكل غريبٍ حمل معه سر الماضي والمستقبل البعيد. وأكملت بعدها كاشفة سرًّا آخرًا، لا يعلمه سواهما:

- «وأظن أنني لم أخطئ، حين أمرت بقتل موريل قبل شهرين. فقائد الجيش عليه أن يتّسم بكُلٍّ من القوة والذكاء! أما موريل، فرغم قوته إلا أن عقله فارغ تمامًا، وتفكيره محدود ولن يستطيعَ اتخاذ القرار المناسب وقت الحاجة.. لذا أخبرت أليكساندر أنك الأنسب لهذه المهمة، أن تكونَ قائدًا يا كساندر. وأرجو ألا تخيب ظني في اتخاذ القرار المناسب عندما يأتي...»

عندها انحنى كساندر أمامها وعيناه ملازمتان الأرض، وقال بصوت حاد ونبرة متوعدة بالويل والعقاب:

- «أعدك أنني سأفعل واجبي على أتم وجه... سأقتله مهما كلفني الأمر!! أعدك بذلك.».

{في مكانٍ ما، في القصر..}.

- «ڤايوليت أرجوكِ لا أحبّ عندما أراكِ غاضبةً مني هكذا! لقد اعتذرتُ ألف مرّة، ما الذي تريدينه أيضًا؟» بدأت سعاد، بجانب ڤايوليت جالستين في غرفتها.

- «هل تحبين كساندر؟» سألت ڤايوليت بصوت حزين وخجول.

- «أجل أحبه ولكن...» أجابت سعاد بنبرة مهزوزة..

- «ولكن ماذا ها؟! لقد كنتُ محقة بشأنكِ، أنتِ ثعلبة ماكرة!» قالت ڤايوليت غاضبة، وأعطتها ظهرها.

- «ولكن لا أحبه مثل ما أنتِ تحبينه، فأنا.. أنا..» أجابت سعاد ووجها محمر خجلًا، وعيناها تدور في أرضية الغرفة.

عندها نظرت ڤايوليت بطرف عينها، ورأت وجه سعاد محمرًّا من شدّة الخجل، وهي تنظر للأرض أمامها، وكأنها تتذكر شيئًا ما أو أحدًا ما!

- «لا.. لا لا! لا يمكن هذا!» صرخت ڤايوليت، متحمسة مما رأته الآن. وأكملت بوجه فضولي لطيف ومضحك:

- «لا لا يمكن، سعاد أنتِ تُفكّرين بأحدٍ ما أليس كذلك؟!».

- «من.. هااا، لا.. لا لا.» أجابت سعاد، وهي تبعد نظرها عن عيني ڤايوليت، وتكاد تشعر بحرارة وجهها الخجول من بعيد!

ضحكت ڤايوليت بشدّة، ومن ثم قفزت أمامها، وتربّعت برجليها أمامها، وتلاقت ركبتاها بركبتي سعاد، وأمسكت وجنتيها بيديها، ونظرت في عينيها الرماديتين، ولكن لم تتلاقَ عيناهما لشدّة خجل سعاد!

- «من هو ها؟ أخبريني أخبريني هيا هيا! لا تقلقي لن أخبر أحدًا!» قالت ڤايوليت ترتجي بحماس وفضول!

ولكن لا حياة لمن تنادي، فكل ما كان يجري في بالها هو ذلك الشخص! وعندها صفعت ڤايوليت بيديها خدي سعاد، السارِحةِ في عالم الأحلام فجأة!

- «آوو..!! لِمَ فعلت هذا؟!» اشتكت سعاد متألمة.

- «هل استعدتِ وعيكِ الآن، هيا أخبريني أرجوك!» قالت ڤايوليت، وهي تبتسم راجية، ولا تستطيع إخفاء فضولها أبدًا!

- «ڤايوليت لقد آلمتني حقًّا! أشعر أن خدّاي يحترقان..».

عندها قفزت ڤايوليت إلى النافذة، وأخرجت يديها قليلًا وعادت مسرعة إلى جلستها الأولى، وقالت بضحكتها الغريبة تلك:

- «هذا سيحرق قليلًا هيهي.» ثم احتضنت يداها الباردتان خدي سعاد، وصرخت الأخيرة بأعلى صوتها!

أما ڤايوليت فكانت تضحك ضحكتها الشريرة تلك مازالت وبشكل مخيف! وأكملت تتكلم بسرعة لطيفة ترتجي الإجابة:

- «هيا أخبريني ما هو اسمه، وكيف هو شكله؟! هل هو وسيم؟ لالا، أخبريني من الأجمل هو أم كساندر!! لا انتظري لا تجيبي على هذا السؤال، فكساندر أجمل رجل في العالم!» أنهت ڤايوليت أسئلتها، وعيناها الفضوليتانِ صوب سعاد!

عندها علمت الأخيرة، أنها لن تترك الأمر حتى تأخذ مرادها، فقالت مستسلمة:

- «حسنا حسنا، سأخبركِ بكل شيء... أولًا اسمه نايف، وهو من مملكة «آزمر»، ولكنه ولد وتربّى هنا مثلي تمامًا، ويكبرني بسنة فقط... ووالده يعمل مع أبي كمساعده الأيمن، وكانت أول مرة رأيته فيها، هي عندما استضافنا والداه في بيتهم.» وأنهت بعدها بنبرة خجولة، وعينين مبتسمة:

- «وهو، وسيم جدًّا!».

وعلى وقع هذه الكلمات، نظر الاثنان لبعضهما للحظة في صمت! لم يتمالك الاثنان نفسيهما، وضحكا بشدّة..

- «هيا لنذهب...» قالت ڤايوليت.

- «أين؟» سألت سعاد.

- «إلى أين تظنين؟! هيا لنذهب، أريد أن أرى الفتى الذي سرق قلب صديقتي مني.».

- «ااء ڤايوليت، لا أظن أن هذه فكرة جيدة، فأنا...».

- «هيا هيا لا تقلقي، سنتنصّت عليه فحسب أعدكِ.».

ذهبت ڤايوليت تجري ممسكة بيد سعاد، بين ممرات القصر، بحثًا عن الفتى، ولكن دون أثر له! وهناك، استنفرت ڤايوليت غاضبة تائهة:

- «أين هو ذلك الشقي؟»

- «ڤايوليت..؟» قالت سعاد بهدوء.

- «ماذا؟!» أجابت ڤايوليت، ورأسها يحوم في المكان يمنة ويسرة، هنا وهناك بحثًا عنه.

- «ربما السبب في أنكِ لم تجديه، هو أنكِ أمم...» وهنا توقفت سعاد للحظة، ثم قالت مبتسمة من غباء ڤايوليت اللطيف:

- «هو لأنكِ لا تعرفين كيف يبدو من الأساس!».

- «اء... ااهه هذا صحيح!!» أجابت ڤايوليت، ضاحكة على نفسها، بسبب فهاوتها، وأضافت:

- «حسنًا إذًا، أين هو؟!».

- «لا بد وأنه يعزف الجيتار في هذا الوقت بالقرب من حديقة القصر.. فهو دائمًا يعزفُ هناك على غروب الشمس.».

- «اهااااا أنا أعلمُ الآن لماذا لا أجدكِ دائمًا، في هذا الوقت عندما أبحث عنكِ! لقد كشفتكِ أيتها الثعلبة العاشقة!» قالت ڤايوليت مبتسمة بعينين متصيّدتين لها ضاحكة.

التزمت سعاد عندها الصمت مبتسمة بخجل، ثم غادرا إلى اتجاه الحديقة.. وكلما اقتربوا سمعوا صوت عزف جميل، وعندها رأوه هناك. فتى في عمر الرابعة عشر، تحت ظل شجرة، يعزفُ معزوفة هادئة. ومع غروب الشمس أمامه، يرى الطيور تعود إلى أعشاشها، مُغرّدةً بتلك الأنغام الآسرة.

- «لماذا لا يُغني؟!» سألت ڤايوليت باستغراب، وهي تهمس لسعاد من خلف إحدى الجدران المطلة على الحديقة.

- «لا أدري حتى أنا تساءلت في البداية لماذا؟ ولكن أظن أن عزفه جميل وهذا

يكفيني.» أجابت سعاد بابتسامة لطيفة.

- «هيهي أنتِ تُحبينه أليس كذلك!! لقد وقعتِ في الفخ وأمسك بكِ بشباكه.» قالت ڤايوليت بضحكتها الغريبة المعتادة!

- «ڤايوليت شششش!» أسكتت سعاد ڤايوليت، وهي تحمر خجلًا.

- «حسنًا إذًا دعينا نذهب ونسأله إذًا!».

- «لا لا أرجوكِ لا، لقد وعدتني أليس كذلك!».

- «وما المشكلة؟ سؤال واحد فقط لن يَضُر بشيء!» احتجّت ڤايوليت وأضافت تتكهن إجابات عشوائية:

- «فقط أريد أن أعرف لماذا لا يُغني؟! هل هو أبكم؟ أم أن صوته مزعج! هممم ربما هو كذلك، ولكن لا ضير من سؤاله!».

- «ڤايوليت لا!! لن أدعك تذهبين تعالي إلى هنا.» حاولت سعاد، الإمساك بڤايوليت من قدمها، وأوقعتها أرضًا.

- «سعاد اتركيني فقط سؤال واحد أعدك، ولن أذكركِ عنده أبدًا.» احتجت ڤايوليت، وهي تحاول الإفلات من قبضة سعاد.

- «لاااا لن أدعك تذهبين!!» هجمت سعاد على ڤايوليت وانقضّت عليها كي لا تذهب!

- «اهه لو كان لدي سحر الرياح الآن، لقصفتُ بكِ بعيدًا.» قالت ڤايوليت مستسلمة بنبرة عاجزة.

وهناك تدخل ذاك المتطفل قائلًا:

- «ااه ما الذي لدينا هنا؟ هل ما زلتما تتصارعان على من سيفوز بقلبي؟!»

اعترض كساندر معركتهما الصغيرة بصوته اللعوب ذاك.

- «هيه أنت! اذهب من هنا، فهذا لا يعنيك!» قالت ڤايوليت بنبرة حادة ونظرة تنذر الويل. وأضافت متجهمة بصوت متكبر:

- «وأيضًا أنت ستكون عبدي، ولن يفوز بك أحد غيري!».

- «مهلًا مهلًا، لقد كنتُ أمزح!!» أجاب كساندر بصوت لطيف مبتسمًا، وأكمل:

- «إذًا لم تكونا تتصارعان علي؟ فلماذا أنتما فوق بعضكما البعض؟» ثم نظر إلى عينيهما تتجهان إلى ذلك الفتى تحت الشجرة، وقال وعيناه تتصنّعانِ الحزن، وصوته مهزوز النبرة ممثلًا:

- «مهلًا، هل يعقل حقًّا!! ااه، هل تخليتِ عني بهذه السرعة يا ڤايوليت، وذهبتِ تبحثين عن رجل آخر؟ يا إلهي، وأنا الذي ظننت أنني وأخيرًا كسبتُ قلبكِ!».

عندها نظرت ڤايوليت إلى سعاد، رافعة حواجب عينيها متقززة منه، ثم نظرت إليه باستخفاف، وقالت بصوت حاد:

- «هل انتهيت؟!»

- «اءء... ألم يكن تمثيلي مقنعًا! ربما لو ذرفت دمعة أو اثنتين؟!» تسائل كساندر بشكل مضحك ومستفز.

عندها وقفت ڤايوليت على قدميها، ونظرت إلى الأرض بوجه عديم الملامح تمامًا! وبدأت بالعد:

- «٢..».

- «ممم ماذا؟ لماذا بدأتِ بالعد؟!!» سأل كساندر متخوفًا، وبشكل مضحك.

- «٢..».

- «أنصحك أن تبدأ بالهرب، فلن يعجبك ما ستلقاه عندما تصل إلى...».

- «٣..».

عندها وبسرعة انحنت ڤايوليت تنزع الحذاء الذي كانت ترتديه. وفي تلك اللحظة بدأ كساندر بالركض والصراخ، وخلفه ڤايوليت بالحذاء ترميه:

- «تعال إلى هنا أيها العبد!! سأريك ما سيحدث إلى قلبك! خذ..» قذفت الحذاء الأول، وتفاداه بسرعة.

- «لم تصيبيني!!» قال كساندر، مستفزًا إياها، وهو يضحك راكضًا، والأخيرة تلاحقه بغضب لطيف.

- «لم أصبك ها! حسنًا خُذْ هذه...» عندها قذفت بالحذاء الآخر، ولم يستطع تفاديه، وأصابت رأسه مباشرة!

وعندها توقفت هي منتصرة، وبدأت تضحك بضحكتها الشريرة الغريبة:

- «لقد انتصرت بالحرب أيها العبد! هيا اهرب! اهرب!».

الفصل الخامس..

٣٤ ساعات قبل الاحتفال..

في صباح اليوم التالي، كان القصر منشغلًا بالكامل من أجل إنهاء تحضيرات الحفل المتبقية، والتأكد من أن كُل شيء في مكانه، وأن الحدث الرئيسي سيكون في موعده عند غروب الشمس تمامًا.

- «ميلا؟» نادت الملكة أيار، على مساعدتها، وهي ترتدي ملابسها للحفل، بمساعدة الخياطة، كي تتأكد من مقاس الفستان وطوله، وأن كُل شيءٍ مناسب للغد.

- «نعم ملكتي.» أقبلت ميلا صاحبة العينين الزرقاوين.

- «ما رأيك؟!» سألت الملكة أيار.

- «تبدين رائعة جدًّا يا ملكتي.. بل أجمل من ذي قبل!» أجابت ميلا، والبسمة لا تفارق شفتاها الحمراء كالتوت.

- «ميلا!!!» قالت الملكة، وهي تنظر إليها بنظرات لطيفة وأضافت، بصوت دافئ مبتسمة:

- «أعني الفستان يا ميلا كيف يبدو؟».

- «يبدو جميلًا يا ملكتي.» اعترضت الخياطة، وأكملت:

- «تبدين رائعة، ومتأكدة أن الملك أليكساندر عندما يراكِ سيفقد قدرته على الكلام تمامًا!».

- «عزيزتي، الملك ينسى نفسه في كُل مرة تقع عيناه فيها على الملكة أيار!» قالت ميلا مبتسمة، وأكملت متحمسة:

- «دعيني أخبركِ ماذا فعل عندما رآها أول مرة في الحفل الذي أقامه والد الملك! كانت جميع الفتيات آنذاك يحومون حول الأمير أليكساندر ويرجون انتباهه! وصدقيني كل واحدة منهن كانت أجمل من الأخرى، ولكن ليس بجمال الملكة أيار بالطبع! فعندما كان يرقص ويغني ويحتفل بانتصاره... دخلت فجأة من الباب فتاة سرقت أعين الناظرين إليها، وأكاد أجزم أني رأيتُ لعاب أحدهم يسيل من فمه كالأطفال.» قالت ميلا ضاحكة.

- «ميلا توقفي!» قالت الملكة، وهي محمرة الوجه قليلًا.

- «عندها رأى الأمير أليكساندر الأميرة أيار، ولم يستطع رفع عينيه منها طيلة تلك الليلة، وعندما حاول طلب يدها للرقص رفضت! أما هو فلم يهتم بل أخذ بيدها، وبدأ يرقص بها، والجميع في حالة ذهول!» أكملت ميلا متحمّسةً بصوت مرح. وأكملت:

- «ورغم أن جميع الرّجال وقتها كانوا ليفعلوا المستحيل فقط من أجل أن يحظوا برقصة واحدة معها! فلم يتجرأ أحد منهم أبدًا، على فعل ما فعله الملك أليكساندر! وبينما كانا يرقصان، كانا يتحدثان لوهلة قصيرة، ولكن بعدها لم تتكلم معه الأميرة طيلة تلك الرقصة! ولا أحد يعرف ما الذي جرى في تلك المحادثة، حتى أنا لم تخبرني أبدًا..».

- «وصدقيني حاول التحدث معي مرارًا وتكرارًا!» قالت الملكة أيار، وأضافت مبتسمة متذكرة الماضي الجميل:

- «ولكن أردت أن أرى أي نوع من الرجال هو! لذلك كنتُ أرفضه دائمًا، كي أرى إن كان سيذهب ويستسلم أم أنه سيظل يحاول ويحاول، ويعيد المحاولة أيضًا! فقد مررتُ بعشراتِ الرّجالِ الوسيمين ومفتولي العضلات، منهم الأمراء

ومنهم الفرسان ومن الإيثاي الأقوياء، ولكن جميعهم نفس الشيء! مملونَ جدًّا وعاشوا على مبدأ أن الفتيات عندما يسمعن اسمه أو يرون قوته أو مدى ثرائه، فجميعهنّ سيرمين أنفسهن عليه! وفي كل مرة سيأخذ ما يريده دون أن يحاول.».

- «إذًا لماذا اخترتِ الملك أليكساندر؟» سألت الخياطة بفضول.

- «لأنه...» وهنا قاطعت ميلا الملكة، وأكملت وهي تضحك متحمسة:

- «لأنه لم يتوقف عن المحاولة أبدًا! حتى أنا ظننت أنه مهووس بها لدرجة الجنون! فحتى بعد انتهاء الحفل زار مملكة ريفير لاند كي يشكر الملك كوينت على حضوره، ولكن في الحقيقة نعلم جميعًا أنه قد أتى من أجل رؤيتها فقط! ودام على زياراته المفاجئة هذه كلما سنحت له الفرصة... وعندما يكون بعيدًا، يُرسل لها رسائل غزلية، وورودًا حمراء وصفراء وبيضاء ومُلوّنة! كل هذا، لأنه لم يكن يعرفُ زهرتها المفضّلة!».

- «لذلك أسميتِ الأميرة الصغيرة ڤايوليت؛ لأنها زهرتكِ المفضلة أليس كذلك؟!» سألت الخياطة وكُلّها فضول مضحك.

- «أجل الأمر كذلك.. والآن دعونا من الماضي، ولنركز على الحاضر.» أجابت الملكة، مبتسمة في عيني ميلا والخياطة، وأضافت سائلة وهي تنزع الفستان:

- «ميلا، ماذا في جدولي اليوم؟».

أخذت عندها ميلا تُقلّب في صفحات كتابها الصغير، وقالت:

- «أمور الحفل، أمور الحفل، وأيضًا أمور الحفل... ثم سنذهب لزيارة اللاجئين برفقة القائد كساندر.».

- «شكرًا لكِ، الفستان يبدو رائعًا.» أثنت الملكة على الخياطة ثم انصرفت

الأخيرة.

- «يوم آخر، وننتهي من هذا الحفل وسنرتاح قليلًا بعدها.. آه يا إلهي، لا أذكر آخر مرّة أخذتُ فيها حمامًا ساخنًا ودلكت فيها قدمي! كم تؤلماني حقًّا!» قالت ميلا، متذمّرة بلطافة وأنهت:

- «فقط يوم آخر، وسيعودُ كُل شيء كما كان.».

- «هيا بنا.» قالت الملكة أيار، وأضافت تهمس في روحها راجية:

- «ليت الأمر يتوقف مع انتهاء الحفل! حقًّا أرجو ذلك.».

الحدث الرئيسي للحفل، هو إعلان الملك أليكساندر والملكة أيار أن جميع الإيثاي اللاجئين الذين أتوا من جميع أنحاء القارة هربًا من بطش بلودغود، أنه وأخيرًا قد انتهت معاناتهم، وأن مملكة إيثيريا تعلن عن إنشاء مدينة في الشمال الشرقي باسم «دايرون»، مدينة تعطي الأمل وأخيرًا لجميع هؤلاء الذين قد عانوا من بطش وغطرسة الداركمور، وأن هذا الاحتفال سيكون بمثابة بداية جديدة لهم، في مكان يستطيعون فيه وأخيرًا عيش الحياة التي خُلقوا من أجلها في مكان يسوده الأمن والأمان.

بعد انتهاء الملكة من واجباتِ الحفل والتأكد من التحضيرات كاملة، ذهبت لزيارة معقل اللاجئين شمال مدينة «ريسيليا» عاصمة مملكة إيثيريا التي تبعد حوالي نصف ساعة عن القلعة. عندما وصلت الملكة أيار برفقة مساعدتها ميلا وقائد الجيش كساندر إلى معقل اللاجئين، كان قد حَلّ الليل بالفعل... وعلى أعتاب المعقل ترجّلت الملكة أيار من على حصانها، ونزعت معطفها، وأمرت الاثنين بفعل المثل؛ لأنها أرادت أن تختلط باللاجئين، وتتفقد أحوالهم، وتسأل عنهم، وتنغمس في أمورهم، دون أن يعرفوا شخصها الحقيقي.. بل وأمرت الجنود أيضًا أن يبقوا رفقة الأحصنة خارج نطاق المعقل، كي لا يخاف اللاجئون منهم أو يشعروا بأي تهديد بأي شكل من الأشكال.. ولكن لم يدم هذا التخفي كثيرًا! إذ تمكّن بعض اللاجئين من معرفة شخصيتها، وبدأوا بالتجمع والتجمهر حولها محتفلين! وهمّ الكبار والصغار والفتية والفتيات، يشكرونها، ويحتفلون بها. وبدأوا بالغناء حولها والرقص وأهازيجهم اعتلت في المكان صداها.. وبدأ الأطفال مشكّلين حولها دائرةً ويُغنّونَ لها بأصواتهم الشجية فرحين.

ولم يتوقف الأمر عند الملكة أيار لوحدها فحسب، بل حتى كساندر لم يسلم من نظراتِ أولئك الفتيات، وبدأوا يأخذون بيده ويُغنّونَ ويرقصون حول الملكة أيار، وميلا التي في البداية، تملّكتها الغيرة، عندما رأت بغضب لطيف الفتيات حول كساندر، ولكن إذا ببعض الفتية الشبان فجأةً أخذوا بيدها هي الأخرى، وراحت ترقص معهم ونسيت أمر كساندر بالكامل!

وفجأة رأى كساندر دمعة تسقط من عينيّ الملكة أيار وكادت تبكي، وهي تحتضن الأطفال الصغار. ولكن كساندر أسرع ومسح دمعتها، وأمسك بيدها، وشدّ عليها بلطف، ونظر في عينيها مطمئنًا إياها، وكأن عيناه تخاطبها، وتقول بدفء:

- «بقي القليل اصمدي!».

ووافقت الملكة على ذلك بعينيها وابتسمت. وعندها أخذت الملكة محتضنة ذلك الطفل، وقالت وأنظار الجميع حولها في تأنٍّ لذلك الخطاب العظيم:

- «غدًا ستبدأ حياتكم الهنيئة وستخرجون من هنا إلى الاحتفال في ساحة القصر، وسيرحب الجميع بكم! فمن الآن وصاعدًا أنتم سكان وأهل هذه المملكة، ولا فرق بينكم وبين أي أحد وُلد هنا، أو بينكم وبيني حتى! أو بين هذا الطفل وابنتي، فكلنا سواسية... ومن حق الجميع أن يعيش ويحقق الأحلام التي يريدها! وأعدكم أننا سَنُري هؤلاء الذينَ يَظُنُّونَ أننا وحوش الويل!! وطالما أتنفسُ أنا هذا الهواء، وترى عيناي هذا النور ووجوهكم الجميلة، أعدكم أنني سأحميكم بروحي، ولن أرتاح حتى أراكم سعداء وتعيشون حياتكم إلى آخرها على أكمل وجه!».

ومن ثم إذا بالرياح حول الملكة أيار، تحوم حولها، وقذفت بذلك الطفل عاليًا في الهواء والتقطته بين أحضانها والجميع ينظر إليها بانبهار وحماس! وأخذت عندها أصواتهم تعلو هاتفين باسمها:

- «أيار.. أيار.. أيار...».

وأكمل الجميع بعدها ذلك الاحتفال الصغير الذي أقاموه. وفي تلك الأثناء لمح كساندر وجهًا مألوفًا من بين الحشود دون أن ينتبه له، من بعيد ثم اختفى في لمحة سريعة! بدأ كساندر في تتبع ذلك الشخص، وبعد أن تمكّن من رصده، داخل تلك الخيمة رفقة العديد من الأشخاص مما أثار شكوكه أكثر! لذا ظل يراقب من بعيد، راجيًا أن يرى لمحة من ذلك الوجه المألوف.

ولكن عندها قفزت ميلا من خلفه قاطعة حبل أفكاره وقالت:

- «كساندر ما الذي تفعله؟!».

- «ااا.. لا شيء، ظننتني رأيتُ شيئًا مألوفًا فحسب!».

- «شيئًا مألوفًا ها! أم أنك تتربص بفتاة أخرى؟ سأخبر ڤايوليت بكل شيء، وسنرى ما ستفعله بك عندما تعلم بهذا!» قالت ميلا، وهي تُخفي غيرتها، وتضعها على ڤايوليت..

- «ااا... ااهه لا لا، حسنًا سأذهب.» أجابَ كساندر وهو يخفي وجهه الحقيقي مبتسمًا، وما زالَ يُفكر في ذلك الشخص في سره قائلًا:

- «أين رأيته من قبل؟».

عندما همّ الثلاثةُ مغادرين، ووصلوا إلى خيولهم، وقعت الملكة أيار أرضًا، وبدأت تبكي بشدة! عندها هرعت ميلا لمساعدتها ولكن كساندر اعترضها، وقال بنبرة حادة هادئة:

- «اتركيها.».

- «ولكن...».

- «ميلا أرجوكِ، اتركيها..! فهي بحاجة هذا.» اعترض كساندر ميلا، وعيناه مليئتان بغضب وحقد، فهو يعلم سبب بكائها أنه بسبب بلودغود، وما فعلوه على مر السنين بالإيثاي أو بالأصح، ما فعلوه بأخيها الأصغر عندما غدروا به، في أرض «أرلان»، عذبوه وقتلوه وقطعوا رأسه، وأرسلوه إلى قصر «ترايث» في العاصمة «وتارين» في صندوق صغير، ورسالة بكلمة واحدة:

- «شيطان.».

لذلك كان هدف الملكة منذ وقتها، أن تمحي بلودغود من على وجه الخليقة! وأن تنتقم لأخيها ولو كان هذا آخر شيء تفعله! لذا كان لزامًا على كساندر تركها تُخرج ما في قلبها، من بكاء وألم! فلربما رؤية الأطفال ذكّرها بأخيها الصغير، ولم تستطع حبس دموعها.

- «كساندر.» قالت الملكة، وهي تمسح دموعها بحقد.

- «نعم ملكتي؟» أجاب كساندر، وهو يقدم يده للملكة، كي تقف على قدميها.

وقالت، والغضب قد أصابَ عينيها، والانتقام قد ملأ قلبها:

- «عدني بأنك ستقتلهم جميعًا، وستمحي أثرهم نهائيًا.» ثم وبصوت مكسور ونبرة مهزوزة، قالت وعيناها أصابت عيناه الحادتان تلك:

- «أرجوك يا كساندر.».

وعلى وقع صدى تلك الكلمات، اقشعرّ جسد كساندر! وكادت عيناه أن تخذله! ولكنه شدّ على روحه وقلبه، فهو حقًّا لم يرَ الملكة بهذا الضعف من قبل أبدًا! حتى ميلا، كانت تنظر إليها، وهي لا تصدق ما تراه. وعندها انحنى كساندر على ركبته الواحدة احترامًا لها. ومن ثم قال ممسكًا بيدها، بصوت واثق، ونبرة حادة! والغضب قد ترسّم على وجهه، وتصميم شديد على الوفاء بهذا الوعد:

- «أعدك بأنني سأمحيهم من على وجه الخليقة! ولو كان هذا آخر شيء أفعله.».

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَاد[!] الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

[!] للانضمام إلى القناة الرسمية أدخل اليوزر التالي في محرّك بحث تيليجرام: @twinkling4

الفصل السادس..

يومُ الاحتفال

استيقظ الجميع في الصباح الباكر، وتناولوا الفطور، وبدأوا بتجهيز أنفسهم للحفل، الذي سيبدأ عصر هذا اليوم، في ساحة القصر الخارجية الكبرى، والمطلة على حديقة القصر الداخلية، والتي يفصل بينهما بوابة عملاقة سوداء اللون، ذاتُ نقوش كثيرة غريبة الشكل! كانت خُطة الحفل تتمركز حول استقبال الضيوف من الإيثاي اللاجئين داخل حديقة القصر الداخلية حيث سيتم الإعلان عن الحدث الرئيسي هناك، عند غروب الشمس تمامًا. وسيقتصر دخول الحديقة فقط على الضيوف، أما بالنسبة للمواطنين، فسيتمكّنون من مشاهدة الحدث في ساحة القصر الخارجية وسيستمر بعدها الاحتفال حتى آخر الليل.

وفي وسط تلك المعمعة، وانشغال الجميع بالتحضيرات النهائية في القصر، كانت ڤايوليت كالعادة تطيل في النوم، ولم تستطع أي من الخادمات إيقاظها! لذا أرسلت الملكة مساعدتها ميلا كي توقظها.

- «ڤايوليت هيا استيقظي لقد تأخرتِ.».

- «أريد أن أنااام، اذهبن من هنا!».

- «ڤايوليت عزيزتي هيا، لقد تأخرتِ كثيرًا! علينا تجهيزكِ للحفل، ولم تتناولي فطوركِ بعد أيضًا!» أكملت ميلا، وهي تفتح ستار نافذة الغرفة، وتسللت إليها أشعة الشمس الخجولة.

- «ابتعد من هنا أيها العبد وإلا سأقتلك! حقًّا! سوف أقتلك بحذائي القاتل!» همهمت ڤايوليت، وهي نائمة ورأسها تحت الوسادة.

- «سأقتلك».

عندها خطرت لـ ميلا فكرة شريرة، وقالت وهي تهمّ بالجلوس في طرف سرير ڤايوليت مبتعدة عنها؛ لأن ما ستقوله الآن سيجعلها ربما هدفًا لها، ولحذائها القاتل ذاك!

- «ڤايوليت عزيزتي...» بدأت ميلا بصوت هادئ، تُربّتُ على قدمها:

- «لدي أخبار لكِ عن ذلك العبد.».

- «العبد ماذا؟ ماذا به! ها؟!» سألت ڤايوليت، وهي تستعيد وعيها شيئًا فشيئًا.

عندها أكملت ميلا بصوت فاتن مضحك:

- «في الأمس رأيته يمسك بيد فتاة في معقل اللاجئين.. لا بل أكثر من فتاة!! جميعهنّ حاولن التقرب منه، وذلك العبد كان سعيدًا طوال الوقت، ولم يفكر بكِ حتى!!!».

- «ذلك العبد الوضيع فعل ماذا؟!» صرخت ڤايوليت مستيقظة فوق سريرها، بشعرها المنفوش، وملامح وجهها الغاضبة تنذر بالشر والويل.

أما ميلا، فقد أخذت بضع خطواتٍ مُبتعدةً عنها خائفة! وأكملت تحاول البقاء متزنة بشكل مضحك ولطيف:

- «ااء.. هذا ليس كل شيء، بل حتى أنني رأيته يتعقب فتاة ما إلى خيمتها، في وسط الظلام، ولم يكن حوله أحدًا! وعندما حاولت تتبعه من أجلكِ يا ڤايوليت، وجدته يتربص أيضًا بأحد الخيم وكانت فيها العديد من الفتيات الجميلات!!».

- «ماااااذاااا!!!!» صرخت ڤايوليت غاضبة، وقفزت ميلا في مكانها خائفة، وقالت مترددة بصوت مهزوز:

- «لـ.. لكن ليس بجمالكِ أنتِ يا عزيزتي بالطبع! لذلك أتيتُ هنا لأخبركِ ما حدث فحسب!» أجابت ميلا، وهي لا ترى مخرجًا من هذا الموقف! فقد كان أصعب شيء على جميع من في القصر فعله، وهو الشيء الذي يتهرب منه الجميع، ألا وهو إيقاظ ڤايوليت من النوم! فقد كانت حربًا عليهن خوضها كُل يوم.

- «أين هو!؟» سألت ڤايوليت، وهي تبحث حولها عن فردة حذائها ذاك.

- «ممم.. ماذا هل تقصدين كساندر؟» ما زالت ميلا خائفة من عيني ڤايوليت، ولم تستطع أن تتخيل ما الذي ستفعله بها إذا لم تعطها الإجابة، لأنها حقًّا لم تكن تعلم أين هو.

- «أين! هو... ذلك... العبد..؟» أعادت ڤايوليت السؤال بصيغة أكثر تخويفًا وتحذيرًا. وبدأت بالعد:

- «١..».

- «لا أعلم صدقيني.».

- «٢..».

- «إنه في الحديقة.. أجل أجل، لقد رأيته هناك!» أجابت ميلا بابتسامة متصنعة، وخوف! هي حقًّا لا تعلم أين هو، فقط أرادت الخروج من هذه الغرفة قبل أن تكون ضحية لحذائها المشهور..

- «حسنا إذًا.. شكرًا لكِ.» قالت ڤايوليت بنبرة هادئة غريبة، وهي تهمّ بالخروج من الغرفة.

وعندما خطَت أول خطوة خارج غرفتها! بدأت بالجري والصراخ بين ممرات القصر غاضبة وتنادي متوعّدة بضحكتها الشريرة:

- «أين أنت أيها العبد الوضيع ها! اخرج فلا مفر لك اليوم مني! سأنزع عينيك تلك من مكانها أيها العبد!!» وأكملت تبحث عنه، وصدى صراخها ملأ أرجاء القصر.

عندها دخلت الملكة إلى غرفتها، فوجدت ميلا مرعوبة تلتقط أنفاسها المتقطّعة. ونظرت إليها مبتسمة، ثم لم تستطع تمالك نفسها فبدأت بالضحك والضحك بشدة! في البداية كانت ميلا خائفة حقًّا! ولكن عندما رأت الملكة تضحك، وعلامات السعادة قد ترسمت على وجهها، تذكرت ذلك المشهد بالأمس عندما رأتها تبكي منكسرة! فابتسمت ميلا، وضحكت مع الملكة، وهمست في سرها:

- «وأخيرًا عدتِ لنا يا أيار.».

- «ما الذي قلته لها، كي يجعلها تستيقظ هكذا؟» سألت الملكة أيار مبتسمة.

- «أرجوكِ، لا تدعيني أوقظها مجددًا! لقد كادت أن تأكلني حية، عندما أخبرتها عن كساندر، وعن الفتيات بالأمس... ثم بدأت بالعد، وأنتِ تعرفين عندما تبدأ ڤايوليت بالعد فلا شيء سيحميكِ منها إلا إذا أعطيتها ما تريد!».

- «أستنتج إذًا أنها، أرادت معرفة مكان كساندر؟» قالت الملكة، مبتسمة العينين.

- «أجل، ولكني في الحقيقة لا أعلم أين هو، لذلك قلتُ أنَّه في الحديقة! لقد كذبتُ فقط، لأني أريد أن أبقى بعيدة عنها قدر المستطاع!» أجابت ميلا

مبتسمةً بخوف لطيف.

- «ربما إذًا لا يجدر بكِ ذكر كساندر، وكلمة فتيات في نفس الجملة أمامها!» قالت الملكة ضاحكة، وأضافت:

- «عندها ربما لن يحصل هذا، وأيضًا كساندر قد غادر القصر إلى ميناء رفيد، ومن هناك سيذهب للشمال، لذا أود حقًّا أن أعرف ما الذي ستفعله ڤايوليت، عندما تعلم أنه غير موجود! ومن الذي ستصبُّ جمَّ غضبها عليه؟».

- «ربما أنتِ محقة، تبدو تلك كفكرة جيدة حقًّا! أي أحد غيري أنا!» أجابت ميلا، بضحكة متصنعة لطيفة، وأضافت تتساءل مبتسمة في عيني الملكة:

- «وأحيانًا أتساءل، هل هي حقًّا ابنتكِ! فأنتما كالنار والماء بالفعل..».

ابتسمت الملكة أيار وقالت:

- «لا يتحقق التوازن إلا بوجودِ النَّارِ والماء معًا.».

- «يا إلهي، حتى في هذهِ ما زلتِ تجيدين الأعذار لها؟ أنتِ حقًّا غريبة يا أيار.».

في عصر ذلك اليوم كانَ كُلُّ شيء جاهز للبدء. كانتِ الخطة هي تحضير ممر شرفي عملاق ومهيب، للترحيب باللاجئين، والاحتفال بهم، حتى يصلوا إلى ساحة القصر الداخلية.

وعندما وصل الإيثاي اللاجئين، إلى أبواب العاصمة الكبرى من الخارج، لم يسمعوا أي شيء أبدًا! وشعروا بالريبة في البداية، واستمروا ينظرون إلى جدران العاصمة الضّخمة من الخارج، وتلك البوابة العملاقة أمامهم مقفلة! ولا وجود لجنود الحراسة، فوق الأسوار، مما زاد بعض التساؤلات والخوف! وكأنّ العاصمة أصبحت مدينة أشباح بالكامل لا حياة فيها!

ولكن فجأة، وفي ظل التكهنات والتساؤلات التي كانت تدور بينهم، بدأت بكرات البوابة العملاقة بالدوران، وأصوات السلاسل بالغناء، وكأنها تُرحب بهم بشوق... وعندما فُتحت البوابة بالكامل، واستوت على الأرض، رأى الضيوف منظرًا لم يروا مثله ربّما في حياتهم أبدًا. رأوا العاصمة في أبهى حلّتها، وأسعد لحظاتها، والنَّاسُ من يمينهم، وعن يسارهم تُرحب بهم... وأصوات الترحاب لم تتوقف أبدًا! وبدأ شعب إيثيريا جميعهم برمي رمل ملوّن في الهواء، وبدأت الأغاني والمعازف والأشرطة الملونة، تطير من فوقهم، وبدأ المواطنون بدعوة الأطفال، لزيارة متاجرهم وأخذ ما يشاؤون من الألعاب الخشبية، والعرائس القطنية والحلوى! حتى أن بعض الأطفال من العاصمة، بدأوا بمشاركة ألعابهم مع الأطفال الآخرين. أما بالنسبة للكبارِ من اللاجئين، فلم يستطيعوا تمالك أنفسهم وبدأوا بالبكاء، فهم لم يروا أطفالهم بهذه السعادة من قبل! بل وأنهم لم يروا أناسًا، يرحبون بهم بهذه الطريقة أبدًا!

عندها لاحظ سُكان العاصمة الدموع تتساقط من على ضيوفهم، فذهب كلُّ واحدٍ منهم وأمسك بيد الآخر، وبدأوا بالرقص والغناء، وكأنهم إذا لم يبدؤوا بفعل ذلك فسيبكي جميع الكبار، ومن ثم سيتساءل الصغار عن لماذا يبكي

الكبار؟ وعندها سيبكي الصغار كالكبار، وستكونُ كُلُّ العاصمة عندها تبكي، والمشاعر متداخلة..!

منهم من يبكي فرحًا، ومنهم من يبكي فرحًا على حزن! لذلك كان من الحكمة ألا يحدث هذا..

وتلاقت تلك العائلات المتفرقة من سنين، بسبب الحرب الأخيرة، فبدأ الجميع بالبحث عن أحبائهم وعائلاتهم واحتضانهم! فتلاقى الأب مع ابنته، والأختُ بأخيها، والعائلة بأبيها، والمعشوق بمعشوقته، والأم بزوجها... كل هذا بسبب اضطهاد مملكة ليثيونا لهم! فقد تمكن البعض منهم من الهرب أثناء الحرب الأخيرة بينما البعض لم يستطع..

وفي نهاية الممر الشرقي، تستطيع أن ترى قصر «لينمارد» العظيم في وسط العاصمة فوق تلة خضراء عملاقة، محاطًا بأسوار كبيرة، وفي منتصفها الباب الحديدي العملاق المنقوش بنقوش غريبة! الذي يفصل الساحة الخارجية عن الحديقة الداخلية، والتي سيقام فيها الحدث الرئيسي. القصر كان كبيرًا للغاية! لدرجة أنه بإمكانك رؤيته من أي زاوية من زوايا العاصمة.. والأعلام المنسدلة من أعلى جدرانه العملاقة، تفرض هيبة ذلك القصر المهيب!

ومناراته الشاهقة التي كادت أعلامها المرفرفة أن تلامس أعتاب السماء.. ومن حول القصر ذاك، تلك المدينةُ ذاتُ الطلّةِ البهية.. وتدعى «ريسيليا»، العاصمة لمملكة إيثيريا.. وتعتبر مدينة ريسيليا من أكثر المدن تحصينًا في القارة بسبب الأسوار العملاقة التي تحيط بالعاصمة، والجنود من فوقها يحرسونها..

منهم الإيثاي أيضًا بقواهم السحرية، ولكن ما يميز هذه الأسوار، هو بواباتها الأربعة العملاقة من كل جهة... شمال، جنوب، شرق وغرب العاصمة، توجد أربع بوابات ضخمة، وبكراتها وسلاسلها عملاقة جدًّا، لا تُفتح بالقوة البشرية وحدها أبدًا! فلا بد من سحر الإيثاي، بالتحديد سحر «التايروستراث»، ولكن

ليس بإمكان أي أحد يملك سحر قوى «تايروستراث» من فتح البوابة، فما يميزها هو التعويذة الملقاة عليها، ولا أحد يعرفُ هذه التعويذة سوى عائلة «لوك» التي صنعت، وبنت هذه البوابات، وألقت عليها التعويذة المتوارثة بينهم...

حتى البوابة الحديدية ذاتُ النقوش الغريبة، في منتصف أسوار حديقة القصر كذلك أيضًا.

في هذه الأثناء كان كساندر في طريقه إلى ميناء رفيد الغربي، كي يستقبل جيش الملك كوينت، وعددهم ثلاثونَ ألف جندي، منهم سبعة آلاف من الإيثاي... وعندها سيقودهم إلى ما قبل الشمال في المعسكر المتفق عليه، ومن هناك سيتجه كساندر إلى الجيش الأول في الحدود الشمالية، بينما سيظل «ديمون» اليد اليمنى لكساندر، قائدًا ثانيًا على جيش كوينت... وسيبقون هناك إلى أن يأتي الملك أليكساندر بعد الاحتفال ويقودهم بنفسه إلى مُلاقاة كساندر وجيشه الأول في الحدود الشمالية كما هو متفق عليه.

وفي طريقه إلى هناك ما زالَ كساندر يُفكر فيما قد رآه بالأمس...

- «من ذلك الشخص؟ أين رأيته من قبل؟!» حاول كساندر أن يترك الأمر على حاله، ولكن كان هناك شيء صغير، في قلبه ينغزه، ويحذّره مما قد رآه بالأمس في تلك الخيمة! ولكنه في الأخير، ترك الأمر لوقت آخر، فلديه أمور أهم عليه الاعتناء بها الآن. فجأة عطس كساندر بقوة، وكاد أن يسقط من على حصانه:

- «يا إلهي ما هذا؟ الطقس حتى ليس بتلك البرودة! لا بد أن هناك أحدًا يتكلّم عني بسوء...» قال كساندر، وهو يبتسم ابتسامةً ضاحكةً، متذكرًا إياها، وقال بين نفسه:

- «اهه لا ليس أي أحد.. بل هي بالتأكيد.».

في القصر كانَ كُلُّ شيء في حالة فوضى بسبب ڤايوليت بالطبع!

- «أين هو ذلك العبد سأقتله! سأقتله!» بدأت ڤايوليت غاضبة بين ممرات القصر، غاضبة ومتوعدة إياه بالويل!

- «كيف له أن يغادر من دون إذني ها؟! سأنتظر رجوعك يا كساندر، وعندها سأشوّه وجهك الجميل.. أقصد الطويل، اااء كساندر!!» قالت مُتَنرفزة بعدما خانها لسانها وقلبها. وأنهت قائلة:

- «سأحتفظ بهذا الحذاء خصيصًا لك، وأعدك أنك لن تفلت مني أيها العبد!».

وهكذا كان الحال في القصر، ولم تستطع أي من الخادمات إسكاتها أو حتى جعلها ترتدي فستان الحفل! عندها دخلت سعاد الغرفة ورأسها منحني خوفًا من حذاء ما قد يصيبها أو شيء آخر، وقالت بابتسامة خجولة:

- «ڤايوليت انظري.. ما رأيك بفستاني؟؟».

ولكن ڤايوليت لم تعطها أي انتباه أبدًا! وأكملت الصراخ ورمي الأشياء حتى أن بعض الأقمشة كانت عالقة في رأسها، وشعرها منفوش كالعادة! ومع ذلك ما زالت تصرخُ وترمي الأشياء في كل مكان.. وهنا أعادت سعاد طلبها بهدوء ونبرة حادة:

- «ڤايوليت! انظري! ڤايوليتتت!! قلتُ لكِ انظري!!!» صرخت سعاد بأعلى صوتها وقد نالت كفايتها.

وعندها توقفت ڤايوليت، وهي واقفة على رجل واحدة فوق سريرها، وشعرها على وجهها كان! تلهث من شدّة التعب والغضب، ونظرت بعدها إلى سعاد، وكانت خائفة بعض الشيء منها قليلًا، ولأول مرة! فلم ترها بهذا الشكل المرعب من قبل!

- «ما رأيك بفستاني؟» سألت سعاد مرة أخرى وهي تبتسم بعد الوجه الشرير الذي أظهرته قبل ثوان!

- «ااء.. إنه رائع..» أجابت ڤايوليت بنبرة مهزوزة وهي تحاول عدم إظهار خوفها مما رأته قبل قليل بشكل ظريف.

- «هل تظنين أنه سيعجب نايف؟» سألت سعاد بخجل، وأتاها الرد بسرعة من ڤايوليت لاجمة إياها غير مبالية:

- «إذا رأى وجهكِ الآخر هذا، صدقيني سيكون الفستان آخر اهتماماته!».

- «ڤايوليتتت!!!» صرخت سعاد، وانقضّت على ڤايوليت بشراسة، وبدأوا في معركة أخرى من معاركهم الكثيرة.. هذه تشدُّ شعرَ هذه بقوة، والأخرى تحاول عرقلتها، وفي الأرض وقعوا ولم تستسلم أحدهما أبدًا!

وبينما هما عالقانِ داخل معركتهما الصغيرة تلك، دخلت الملكة أيار، وفرقتهما عن بعضهما غاضبة، وقالت بنبرة صارمة:

- «إذا كنتما تتصارعان في كُلّ مرةٍ هكذا، فسيكون كساندر من نصيب فتاة أخرى، هل فهمتما!! لذا سأقولها مرة واحدة فقط!» ثم نظرت إليهما، وهما يتنفسان بسرعة، يحاولان التقاط نظم أنفاسهما بصعوبة! وعيناهما كلّها شر لبعضهما، وأضافت مُهدّدَةً إيَّاهما بنبرة حادة، وعيناها جاحظتان تنذر الويل:

- «إذا لم أراكما في الحفل، بعد عشر دقائق، سوف أزوج كساندر بنفسي لميلا هل سمعتما؟».

هز الاثنان رأسهما للطاعة..

وعندما همّت الملكة بالخروج من الغرفة برفقة سعاد، سمعت ڤايوليت تهمس بين نفسها، بصوت خافت:

- «ذلك العبد هو ملكي أنا، وسأقتله قبل أن أجعل أحدًا آخر يحصل عليه.»
-ولكن الملكة سمعت ذلك، وقالت محذرة:

- «ڤايوليت!».

- «لم أقل شيئًا!» أجابت ڤايوليت بنظرة مضحكة.

- «عشر دقائق يا ڤايوليت!!» أعادت الملكة ما قالته بنبرة تحذيرية، ثم انصرفت، وعيناها مبتسمة لكلمات ابنتها المتوعدة.

الفصل السابع..

اللقاء الأول

{في غرفة الملك..}.

- «سيكون كُل شيء جاهزًا للرحيل، عندما تنتهي من إلقاء كلمتك يا صاحب الجلالة.».

- «شكرًا لك، يا رامي.» أجاب الملك أليكساندر مخاطبًا حارسه الشخصي رامي.

وبينما همَّ رامي بالخروج من الغرفة، كان السيد شهاب على عتبة الباب، وتبادلا نظرات الاحترام لبعضهما بصمت. وبدأ عندها السيد شهاب قائلًا:

- «أيها الملك، هل أنت مستعد؟».

- «لقد وُلدتُ مستعدًا يا شهاب.» أجاب الملك أليكساندر مبتسمًا، وأضاف:

- «كيف أبدو؟».

- «تبدو را...».

- «تبدو هممم..؟! لا بأس بك!» قال أحدهم من خلف السيد شهاب مقاطعًا.

- «لا بأس بي.. حقًّا؟!» أجاب الملك بعينين مبتسمتين، لتلك الحسناء أمامه.

- «أهلًا، أيتها الملكة.» رحّبَ السّيد شهاب بالملكة أيار. وأضاف، يُطريها:

- «تبدين جميلة يا ملكتي.».

- «شهاب لا داعي للشكليات، فلا يوجد أحد هنا.. ناديني بأيار فقط، فنحنُ أصدقاء بعد كُل شيء!» قالت الملكة، وهي تدخل الغرفة، وأضافت مبتسمة في عيني أليكساندر:

- «ولكن لا ضير من أن تمدحني أكثر، بالأخص عندما يكون هناك أناس حولنا.».

- «أمرك أيتها المـ... اهه، أقصد يا.. أيار.» أجابَ السّيدُ شهاب، مترددًا بشكل طريف.

- «انظري إليك.. تبدين...» قال الملك أليكساندر، محاولًا اختيار الكلمات المناسبة.

- «رائعة وجميلة كالعادة!» قاطعت أيار زوجها أليكساندر، بابتسامة وثقة تامة.

- «أجل، كالعادة.» أكد الملك، على كلامها ضاحكًا.

- «حسنًا إذًا، أنا أستأذنكما، سأذهب لكي أعطي الأمر بفتح بوابة الحديقة الداخلية.» قال السيد شهاب، يستئذنُ الخروج.

- «شهاب!».

- «أجل ملكتي! أقصد أيار.».

- «اذهب إلى سمر أولًا، فهي في انتظارك.. ولا تنسَ أن تخبرها كم تبدو جميلة!» قالت الملكة أيار، وأضافت مُحذرةً إياه بعينين مبتسمة: - «وإلا سأقول لها، أنك كنت تنظر إليّ...» قالت الملكة مستدرجةً إياه إلى فخها مبتسمة، وهي تنظر إليه بشكل مضحك.

- «ولكني لم..ااه حسنًا حسنًا.» أجاب السيد شهاب، وهو لم يستوعب

الفخ إلا بعد فوات الأوان. وغادر الغرفة وهو يضحك قائلًا:

- «أنتِ حقًّا وحش مخيف، يا أيار.».

عندها ضحك الملك أليكساندر، وقالَ مُقتربًا منها بخطوات صغيرة هادئة:

- «أنتِ حقًّا مخيفة! ولكن جميلة أيضًا... كيف لهذا أن يحدث؟» وتبادلا النظرات للحظة، لم تقل أيار فيها أي شيء وكأنها ما زالت تريده أن يتغزل بها أكثر. وهناك اقترب أليكساندر منها بصمت وابتسامة، وكل ما خطى خطوة اتجاهها، زاد نبض قلبها، وفقدت وقع نظم أنفاسها شيئًا فشيئًا! ولم تستطع النظر في عينيه بعدها، فأزاحتهما من عينيه السوداوينِ الحادتين تلك! وأصبح وجهها محمر الخدين، وعيناها خجولتان فاضحتان لها. أصبحت المسافة بينهما قريبة جدًّا، يكاد يسمع فيها أليكساندر نبضات قلبها المتسارعة! وعندها أخذ بيده على ذقنها، ورفع رأسها ببطء، لتتلاقى عيناه العاشقتان بعينيها أخيرًا... أما هي، ما تزال تحاول صرف نظرها بعيدًا عنه! وكأن عيناه والطريقة التي ينظرُ بها إليها، تجعلها ضعيفةً وخجولة! تجعلها تفقد الإحساس بنفسها وتنسى كل ما حولها!

عندها أخذت أيار خطوتين للخلفِ مُبتعدةً عنه بخجل، ولكن كُلُّها تواقة للمسته وحضنه!

- «أيار..» بدأ أليكساندر، بصوت دافئ، وفي نفس الوقت مهيب وحاد.

لم تُجب أيار، ولكن اكتفت بالنظر في عينيه الآسرتين، ومن ثم صرفتها عنه، وكأنها بتلك النظرة قد أجابته. وعندها أخذ بيدها فجأة، وشدها إليه متيمًا، وراح بيده حول خصرها، وتلامست أجسادهما، وخانتها أنفاسها الدافئة، وقلبها المتعطش لقربه! وهناك أخذت تبلع ريقها، وعيناها تقابل عيناه اللامعتان تلك.. وأكمل أليكساندر، وقال وهو يرى انعكاسه داخل عينيها الآسرتين:

- «هل يمكنني أن أحظى بهذه الرقصة معك أيتها الغريبة الجميلة؟».

- «هل تقول هذا لجميع الفتيات اللاتي تراهن؟».

- «وهل ستصدقيني، إذا قلتُ لكِ أنكِ الوحيدة؟».

- «أصدق ما تراه عيني فقط!».

- «حسنًا إذًا.».

- «إذًا ماذا؟».

- «إذًا سأريكِ أنكِ الوحيدة.».

كانت هذه المحادثة هي نفسها تلك التي دارت بينهما، في أول لقاء لهما! وعندها بدأت الملكة تهمهم على أنغام تلك القطعة الموسيقية نفسها، التي كانت تُعزَفُ أثناء رقصتهما أول مرة! تهمهم عليها، وعيناها لا تفارق عيناه ما زالت! وأكملا الرقص، وكلاهما ينظر إلى عيني الآخر، ويرى فيها كُل ما مرا فيه معًا... ذكريات كثيرة بدأت، وكأنها تنعرض في عينيهما كالمرآة! أول وردة، أول رسالة، وأول قبلة! وكل ما قد أنجزاه معًا إلى الآن كان بسببِ حُبّهما لبعضهما! وأعظم إنجاز لهما، هو تلك الطفلة التي جعلتهما يحاربان كل الصعاب فقط من أجلها، ومن أجل أن تكبر في مكان يعمه الأمن والسلام...

وهناك بدأت، عيني الملكة أيار، بذرف الدموع والبكاء، واحتضنت أليكساندر بقوة وقالت بصوت باكٍ، وجسدها يرتجف قليلًا:

- «أنا خائفة يا أليكساندر.. أنا خائفة حقًّا!!».

عندها أخذ أليكساندر يمسح دموعها، وقال بنبرة دافئة وهو يتمعن عينيها بنظرات مطمئنةً إيَّاها:

- «لا تقلقي، سيكون كل شيء بخير.. فقط قليلًا، وسينتهي كُل هذا الكابوس إلى الأبد. وأعدكِ أني سأعود مهما كلفني الأمر!».

- «وأنت لا تعلم ما الذي سيحدث! لو ذهبتَ!» قالت أيار، وهي تنظر إلى عينيه السوداوين وصوتها يهتز من شدّةِ البكاء والخوف، وأضافت: - «لو ذهبت يا أليكساندر، فأنا لن أسامح نفسي أبدًا.».

عندها أخذ أليكساندر بها واحتضنها بقوة! وبصوت دافئ، قال مطمئنًا إياها:

- «أنتِ قوية يا أيار، وذكية... ولو حدث لي أي شيء، ستكون المملكة بيد أمينة.. فأنا أثق بذلك، وأنا أثق بك!» وهناك أبعدها عنه قليلًا ممسكًا بكتفيها، وأخذ ينظر إلى عينيها المنهمرتين بالدموع الكثيرة، وقال بنبرة جادة وعينين واثقتين:

- «وعليكِ أن تحاربي ليس فقط من أجل المملكة! بل من أجل ڤايوليت أيضًا، فهذا واجبنا! لذا علي الذهابُ والدفاع عن حلمنا، وأن أنهي هذا الكابوس للمرة الأخيرة، وإلى الأبد.».

- «اهه ڤايوليت تلك ستكون وجعًا في الرأس بالتأكيد!» قالت أيار، وهي تكسر دموعها بابتسامة، وصوت مُحب.

- «هي كذلك حقًّا!» أجاب أليكساندر ضاحكًا.

- «تضحك هاا هي كذلك؛ لأنها مثلك! فأنتَ أيضًا تُسبّب لي وجعًا في رأسي.» أكملت أيار، وهي تبتسم في عيني زوجها.

وهناك قال، واعدًا إياها ومطمئنًا قلبها:

- «أعدكِ أنني سأجد طريقي إليكما، مرة أخرى يا عزيزتي.» وعد أليكساندر قلبه، ولامس رأسه مقابل رأسها، وأضاف مؤكّدًا وعده مُغمضًا عينيه:

- «أعدكِ.».

وعندها...

- «هل أنتما على وشك أن تُقبّلا بعضكما؟!!» بدأت المتطفلة ڤايوليت.

- «إيبو هذا مقرف!» قالت متقززة.

- «أهلًا.. انظروا أخيرًا، من قررت أن ترتدي فستانها! تبدين رائعة يا عزيزتي.» قال الملك مبتسمًا.

- «أبدو وكأنني طفلةٌ مُدللة بهذا الفستان!» اشتكت ڤايوليت.

- «أنا متأكدة أنّهُ سَيُعجِبُ كساندر!» قالت الملكة أيار محاولة إخفاء ضحكتها.

- «ماذا كساندر؟ هل عاد.. أين هو.. ها؟ هل هو هنا؟ هل أبدو جميلة؟ ليس وكأنني أهتم! ولكن أريده أن يذوق طعم حذائي الجديد!» أجابت ڤايوليت، ووجهها محمر خجلًا.

ما زالت الملكة أيار تحاول مسك ضحكتها، واضعةً يدها على فمها، وعيناها مبتسمتان كانت. وعندها قال الملك مبتسمًا، وهو ينظر إلى زوجته ثم إلى ابنته، بنظرات محبة:

- «اقتربي يا ڤايوليت. أريد أن أحتفظ بهذه اللحظة في عقلي كي لا أنساها أبدًا.».

واحتضن الأب ابنته وزوجته، وعندها بدأ نبض قلبه بالتسارع فجأة، وكأن قلبه يبكي... وكان بإمكان أيار سماعه بفضل سحرها، ولكن لم ترد أن تقول شيئًا لذلك، اكتفت تحتضنه بقوة.

وفي تلك اللحظة...

- «ذلك العبد...» همست ڤايوليت، بنبرة غاضبة.

وعندها ضحكت الملكة أيار أولًا، وتبعها الملك يضحك وهو لا يدري لماذا، ولكن كان بحاجة لها حقًّا! فضحك الاثنان بشدّة، أما ڤايوليت فأخذت تنظر إليهما جاحظة العينين تتساءل ما بهما! وقالت باستغراب مضحك:

- «لماذا تضحكان! يا إلهي، لقد فقدا عقليهما حقًّا؟!» وعلى وقع هذه الكلمات، اعتلت أصوات ضحكات والديها عاليًا... وما زالت ڤايوليت تنظر إليهما بدهشة ثم ابتسمت وأضافت بادئة بالضحك معهما بضحكتها الغريبة تلك:

- «تبدوان كالأطفال الآن حقًّا!».

في تلك الأثناء كان كساندر، قد وصل إلى ميناء رفيد برفقة بعض من تابعيه الجنود، وديمون أيضًا. وبحسب التوقيت المتفق عليه، كان يجب على الجيش أن يصل في هذا الوقت تقريبًا، ولكن ربما بسبب الغيوم الرمادية، والأمواج العالية، والرياح العاتية، قد واجهوا بعض التأخير. ولكن لم يكن الوضع بتلك الخطورة حتى الآن، لذا فإنّ وصولهم سيكون قريبًا.

كان كساندر في انتظار وصولهم، مع من معه في مستودع كبير، مطل على البحر.

وفي ظل هذه الأثناء كان ديمون وكساندر، يراجعان الخطة مرة أخرى بكل تفاصيلها. أولًا، عندما يصل الجيش الذي يترأسه نائب قائد جيش الملك «كوينت ثورنهارت»، القائد «لاتيان ليد»، عندها سيطلعونه على الخطة بشكل مبسط، وسيتوجهون بقيادة القائد كساندر أولًا إلى المعسكر ما قبل الشمال، ومن هناك سيتجه القائد كساندر لوحده إلى الشمال لملاقاة القائدِ «ليون أليرون» والجيش الأول المرابط على الحدود الشمالية. أما ديمون فسيكون برفقة القائد «لاتيان ليد»، والجيش الثاني، وسيكونون هناك في انتظار الملك أليكساندر، الذي سيقودهم بنفسه، بعدها إلى حيث جيشه القابع في الحدود الشمالية، بقيادة قائد الجيش الأول كساندر راثمور.

وأثناء مراجعة الخطة، ما زال كساندر يشعر بشيء غير صحيح! شيء في غير محله أبدًا! وكأن الخطة أسهل مما يجب أن تكون! فهو يعلم أنه ربما ليثيونا لا تعلم بشأن هذه الخطة تمامًا، ولكن بلودغود لديهم جواسيس في كل مكان! ولا بد أنهم قد علموا بشأن هذه الخطة، وأنّ جيشَ إيثيريا الآن، يفوقهم عددًا بمراحل! وليس من الحكمة أن نفكر أنهم لم يفعلوا شيئًا حتى الآن بشأن هذا، فهدوئهم هذا ينذر بشيء ما، شيء مرعب سيحصل! وكساندر أعلم بهذا الهدوء المخيف أكثر من الجميع.

«ليون ڤاريس أليرون»

هو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، طويل القامة، صاحب عينين زرقاوين آسرتين، وشعر أسود قصير. لطالما كانت عائلة أليرون من العوائل التي أنجبت أنبل الفرسان وقادات جيش مملكة إيثيريا على مر السنين. يرى ليون كساندر وديمون كأخويه اللذين لم يحظَ بهما قط، لذا فهم قريبون جدًّا من

بعضهم البعض. فثلاثتهم ربما لا يربطهم الدم، ولكنهم يثقون ببعضهم البعض كما لو أنهم إخوة بحق. كان القائد الثاني المرشح بعد القائد كساندر راثمور لقيادة الجيش، لذا ففي غياب كساندر بسبب أمر ما أو تم طلبه في مكان آخر، يكون ليون المسؤول من بعده. وهذا بعدما جاء من توصية كساندر له عند الملك أليكساندر. ليون معروف بذكائه وحكمته والتعامل مع الظروف المفاجئة في حين حدوث أمر ما.

- «سمر.. سمر، ها أنتِ ذا يا عزيزتي.» بدأ شهاب باحثًا عن زوجته. وأضاف داخلًا الغرفة، وهي بتلك الطلة البهية، مرحبًا بابتسامة ونبرة عاشقة:

- «انظري إليكِ، كم تبدين جميلة!» قال وهو يتذكر ما قالته الملكة أيار مبتسمًا بخوف.

- «من أنت؟!» أجابت صاحبة العينين العسليتين متفاجأة منه. وأضافت مبتسمة بغرابة وصوتٍ رحبٍ، مُرتدية ذلك الفستان الآسر للأنفاس:

- «ليس من عادتك قول شيء كهذا فجأة!».

- «وهل يجب أن يكون هناك شيء ما، كي أخبر زوجتي كم تبدو جميلة؟!» احتج شهاب، مؤكدًا. وأضاف:

- «أين سعاد؟».

- «أظنها برفقة نايف.» أجابت، وهي تعاين نفسها أمام المرآة.

- «نايف..؟! هل تقصدين، نايف ابن السيد مالك؟».

- «لقد كانت تتربص به، منذ أن حطت عيناها عليه.» ضحكت سمر قليلًا، ثم أخذت تنظر إليه من انعكاس المرآة وأشارت بعينيها له، بنظرة مضحكة:

- «هل تذكرك بأحد ما؟!».

- «من! أنا؟» أجاب شهاب محاولًا إنكار ذلك ونظرات عينيه الرماديتان فاضحتان له، بشكل طريف ومضحك.

- «من شابه أباه فما ظلم.» قالت سمر مبتسمةً، ثمّ بخطوات صغيرة اتجهت نحوه، وقدمت له قلادة كي يلبسها إياها.

- «أنتِ حقًّا مخيفة، هل تعرفين ذلك؟!» قال شهاب، وأضاف وهو يُمرر يديه حول رقبتها من الخلف وهما يشاهدان ذاتهما تنعكس في المرآة أمامها. وأكمل مبتسمًا:

- «حقًّا لا أعلم من الأكثر إخافة أنتِ أم الملكة!».

- «بالطبع هي أكثر إخافة مني!!» أجابت سمر وهي تنظر إلى عينيه بنبرة ضاحكة مستنكرة!

وأضافت مؤكدة بصوت دافئ واثق:

- «ولكن هذا ما يجب أن تكونه، فهي الملكة!» وأضافت بصوت حاد، وهي تنظر لعينه بشكل جدي ومخيف بعدما دارت بجسدها وقابلت عيناه:

- «أما أنا فيكفي أن أخيفك أنتَ فقط! حتى لا تنظر إلى امرأة أخرى!».

وعلى صدى تلك الكلمات بلعَ شهاب ريقه مُتجمّدًا في مكانه جاحظ العينين!

- «يا إلهي، انظر إليك كم أصبح وجهك شاحبًا!!» من وجه مرعب، إلى وجه مبتسم وضاحك كانت سمر فجأة!

- «ليتك ترى وجهك الآن.» قالت وقد هلكت روحها من شدة الضحك عليه.

- «هه.. الآن أعرفُ بالفعل من الأكثر إخافة!» قال شهاب بوجه مرتعب وابتسامة متصنعة، وأضاف:

- «حقًّا لا أستطيع تخيُّل ما الذي سيحدث لو كنتما أعداءً لأحد ما. يا إلهي، فقط التفكير في الأمر يجعل جسدي يقشعر.».

ضحكت سمر، وعندها سألت:

- «هل رأيت رامي اليوم؟».

- «أجل، لقد رأيته قبل قليل في غرفة الملك.».

- «لقد كبر طفلنا حقًّا، انظر إليه لقد أصبح حارس الملك، وها هو الآن يرافقه إلى الحرب!» قالت فخورة بابنها، وأضافت بنبرة الأم الخائفة على ابنها وهي تتذكر الماضي القريب وكأنه الأمس:

- «أشعر أنه بالأمس كان يرفض أن ينام إلا في أحضاني.».

عندها أخذ شهاب ممسكًا بكتفيها وراح ينظر في عينيها العسليتين بكُلِّ حُب يُطمئنها، وقال:

- «سمر عزيزتي لا تقلقي.. ابننا لم يصبح حارس الملك إلا لأنه قوي.. وأيضًا هذا واجبنا نحن عائلة «آزر» في أن نحمي وننصح ونؤازر عائلة «آلنور» بِكُلِّ ما نملك! فهكذا كُنا لأجيال، وهذا إرثنا ونفتخر بذلك.. وأيضًا هم أصدقاؤنا قبلَ كُلِّ شيء، وسيفعلون المثل لنا دائمًا.».

- «أعلم ذلك، ولكني خائفة أن يحصل لكما شيء ما، أو الأسوأ! أن يقبض عليكما الداركمور، عندها ستكبر سعاد من دون أبيها أو أخيها وربما...».

- «لا تقلقي يا أمي، سأتأكد من أن أعود لأحضانك، قبل أن يحدث هذا.» قاطع رامي بصوت دافئ مبتسمًا في وجه أمه يطمئنها، وأضاف: - «فكما قال أبي هذا واجبنا، ولكن لدي واجب أكثر أهمية من ذلك، ألا وهو أن أتأكد أنكِ سعيدة وآمنة طوال الوقت... لذلك أعدكِ أنني سأفعل ما بوسعي كي نعود ثلاثتنا سالمين وأن أرفع اسم عائلتنا مرة أخرى.» -قال بنبرة فخورة بنفسه، وأضاف ممازحًا وهو يخطو ليحتضنها بين يديه ليُريح القلق من قلب أمه ولو قليلًا:

- «وأيضًا عليّ العودة لرؤية من هذا الفتى نايف، الذي تطارده سعاد في كل مكان بالقصر!».

- «هل رأيتِ؟ كما قلتِ يا عزيزتي، ابننا قد كبر حقًّا وها هو يتحدث مثل أبيه!» قال شهاب مبتسمًا وبنبرة مهزوزة تتحامل البكاء بشكل مضحك.

عندها ضحكت سمر والدمعة عالقة في عينيها، وشدّت على قلبها، وقالت بثقة، وصوت حاد:

- «افعلوا ما بوسعكم هناك، ولا تقلقوا سنكون بخير.» ثم نظرت إلى زوجها مبتسمة وبنظرة حادة ونبرة واثقة وأنهت:

- «فهذه المملكة لديها وحشان مخيفان بالفعل! ولن تدعا أي مكروه يصيب هذه المملكة أبدًا.».

الفصل الثامن..

الحدث الرئيسي

{ميناء رفيد الغربي..}.

- «أيها القائد كساندر، لقد رصدنا سُفن القائدِ لاتيان.» بدأ أحد الجنود..

- «حسنًا إذًا لنذهب.» أمر كساندر، وأضاف:

- «هل وصل أي خبر من ليون؟».

- «لا ليس بعد، ولكن يجب أن يصل الرسول في أي لحظة الآن.» أجاب ديمون صاحب العينين السوداوين.

- «لقد تأخر الوقت، كان يجب أن تصل الرسالة قبل وقت طويل!».

- «لا تقلق، أنا متأكد أن ليون مُمسك بزمام الأمور في الشمال.» أجاب ديمون، محاولًا أن يُريح قلقَ صديقه كساندر قليلًا.

- «إذًا لماذا أشعر أني قد نسيتُ شيئًا ما؟! كُل شيء يبدو سهلًا جدًّا؟!».

- «ربما الحظ معنا هذه المرة!» احتج ديمون.

- «ربما... أرجو ذلك حقًّا.» أجاب كساندر بعينين قلقة.

«ديمون تارث»

يبلغ ديمون من العمر اثنان وعشرون سنة. طويل القامة، وصاحب عينين كلؤلؤتين سوداوين ساحرتين، وشعر أسود قصير. يتيم الأب وفاقد لأخته منذ صغره بسبب مرضها. صديق كساندر الأمين، ويده اليمنى، ويراه هو وليون كالأخوين الأكبرين اللذين لم يحظَ بهما أبدًا.

في هذه الأثناء، وقبل غروب الشمس، وصل الاحتفال إلى الساحة الخارجية للقصر، وتجمَّعَ النَّاسُ حول البوابة العملاقة المزخرفة التي تفصل الحديقة الداخلية عن الساحة الخارجية للقصر. عندها أمر السيد شهاب الحارس، «جيمس أديلان لوك» حارس البوابة الداخلية للقصر، بفتح البوابة لبدء الحدث الرئيسي.

«أتوس لڤيندا ميرو ماتوس.».

كانت هذه التعويذة التي ألقاها جيمس على البوابة..

وعندها وأمام الملأ جميعهم، بدأت الزخارف المنقوشة في البوابة العملاقة بالتحرك وتشكيل شكل مختلف تمامًا! فرغم الزخارف الجميلة التي كانت منقوشة على البوابة، إلا أنها كانت عشوائية، أي لا شكل لها، ولكن عندما ألقى جيمس التعويذة تلك، بدأت هذه النقوش بتشكيل شكل، ربّما أقرب للحيوان كالأسد! لا.. ليس أسدًا بل ذئبًا! وبدأت النقوش تتحرك وتشكّل صورة ذئب أسودًا، وكثيف الشعر، ذو عينين حمراوين كالياقوت! وتجمّد الضيوف في دهشة، ممّا تراه أعينهم من جمال ذلك الذئب الأسود المهيب!

وعندما تراصّت النقوش، وكشّر الذئب عن أنيابه، بدأت البوابة تُفتَحُ على مصراعيها يمنة ويسرة، وأخذت الرياح تهب بنسيمها البارد المنعش، ملامسة أولئك الذين يقفون أمامها. وهناك ذُهِلَ الحاضرون من جمال تلك الحديقة، وكادت أفواههم أن تسقط من شدّة روعتها وجمالها الساحر!

حديقة خضراء خلّابة! مليئة بالزهور الملوّنة، والأشجار المثمرة، والطيور المعشعة! ونسيم الهواء البارد، والمحمل بعبق رائحة تلك الزهور والورود، عبق زاد من حدّة وجمال تلك الجنة الخضراء الكبيرة! كان منظرًا يحبس الأنفاس بحق! فلم يرَ أحد هذه الحديقة إلا وفقد قدرته على الكلام.

دخل الضيوف، وبدأوا يمشون في ذلك الممر الطويل وغروب الشمس من على يمينهم. وفي منتصف الحديقة تواجدت تلك المائدة الكبيرة الطويلة جدًا! ومحاطة بشمعدانات كثيرة، وأنواع مُشكّلة من الأطعمة الشهية تراصّت فوق تلك المائدة. منها البحري والدجاج واللحم، والكثير من الحلويات الشهية واللذيذة المختلفة بألوانها وأحجامها! وقناني النبيذ اللذيذ وكُلُّ ما تشتهيه الأنفس!

وأمام المائدة تواجدت تلك الشمعدانات العملاقة متراصّة تنير المكان وتؤدّي إلى نهاية الممر، حيث هناك منصة كبيرة تضم فيها العائلة الملكية في انتظارهم.

وهناك أتى السيد شهاب مرحبًا بهم بابتسامة:

- «أهلًا بالجميع.. بالهناء والشفاء، كلوا قدر ما تشاؤون، وعندما تنتهون اتبعوا هذه الشمعدانات، كي تقودكم إلى المنصة الملكية.».

توافد بعدها الضيوف إلى المنصة الملكية والمطلة على الحديقة الداخلية والساحة الخارجية، والتي كانت على مسافة مرتفعة من الأرض تقريبًا، بحيث يمكن لجميع الحاضرين داخل وخارج الحديقة من رؤية ما يحدث.

وعلى مدى أنظار الجميع تواجدت العائلة الملكية بدءًا بالملك أليكساندر، والملكة أيار، والأميرة ڤايوليت، ومساعدة الملكة، ميلا فوق المنصة، وأيضًا عائلة آزر، زوجة السيد شهاب سمر، وابنهما الأكبر رامي حارس الملك الشخصي، وابنتهم الصغرى سعاد. وأخيرًا حرس القصر المتمركزين في أطراف الحديقة وبعض الجنود القليل أيضًا، في ساحة القصر الخارجية، للحفاظ على الأمن والتنظيم.

تجمّع الضيوف، وكُلٌّ واحدٍ منهم يحمل بيده فخذ دجاج أو لحم ضأن ونبيذًا بيده الأخرى.

والأطفال أفواههم مملوءة بالحلويات والكعك حتى أن بعضهم أخذ يُخفي الحلوى، وملأ بها جيوبه ليأكلها لاحقًا! وهناك رأتهم ڤايوليت وسعاد، وتبادلتا النظرات الساخرة بينهما بابتسامة، وكانتا على وشك الضحك، لولا أن السيدة سمر رمقتهما بتلك النظرة التحذيرية!

وبعد دقائق قليلة انضم جميع الضيوف أمام المنصة الملكية، وبدأوا يتهامسون فيما بينهم، وعندها وقفت الملكة أيار وهتف الحاضرون والمواطنون مُرحبين بها، والأطفال فوق ظهور آبائهم يصرخون، وأفواههم مليئة بالحلوى، والجميع في أوجّ حماسهم! وكان في أطراف الحديقة مجموعة من إيثاي الهايروستراث مُوزعين بدقة في أرجاء المكان، كي يبثوا صوت الملكة

من أجل أن يصل صدى صوتها، إلى أبعد نقطة ممكنة في الساحة الخارجية. فبإمكان إيثاي الهايروستراث تضخيم الصوت عن طريق التلاعب بالرياح كما يشاء، وتزيد قوته كُلما كانت الرياح أقوى.

أخذ الملك، عندها بضع خطوات بجانب زوجته، وبدأ بابتسامة وصوت كُلّه ثقة:

- «أهلًا بكم جميعًا.».

{قبل ثلاثون دقيقة، في ميناء رفيد..}.

وصلت سُفنُ القائدِ لاتيان ليد إلى المرفأ وأخيرًا.

- «أهلًا أيها القائد لاتيان.. أرجو أن رحلتكم كانت خالية من المتاعب!».

- «إذًا أنت هو القائد كساندر المشهور ها!» أجاب لاتيان مرحبًا. وأضاف:

- «لقد سمعت الكثير عنك.».

- «أرجو أن يكون الكثير الحسن!» أجابَ كساندر.

- «أيها القائد، لقد وصلت رسالة القائد ليون!» بدأ ديمون مقاطعًا.

- «وأخيرًا!!» أجاب كساندر بصوتٍ قلق.

- «هل كُلُّ شيء على ما يرام؟» بدأ القائد لاتيان وهو يرى علامات القلق على وجه القائد كساندر.

- «لا أظن ذلك.» أجاب كساندر بعينين قلقتين، وأضاف:

- «أيها القائد لاتيان، هل لي أن أحادثك على انفراد؟».

- «بالطبع.» أجاب اتيان وهو يتبادل النظرات مع ديمون باستغراب.

- «ديمون ابقَ هنا، وتأكد من أن كُل شيء يسير على ما يرام.».

- «أمرك أيها القائد كساندر.».

وفي تلك الأوقات، بدأت السحب الرعدية تغطي السماء، والرياح العاصفة بدأت بالهدير المخيف وكأنها نذير لشيء ما سيحدث... شيء مرعب.

في المستودع، كان القائد كساندر يراجع الخطة بشكل سريع مع القائد لاتيان، وأيضًا مناقشة جاهزية الجيش للتحرك فجر اليوم التالي. وخلال حديثه، كان القائد كساندر باله مشغولًا بما جاء في تلك الرسالة، وما قد رآه ذلك اليوم في معقل اللاجئين، وذلك الشخص الذي بدا مألوفًا له.

لاحظ القائد لاتيان شرود ذهنه، فبادر وسأل:

- «هل أنت بخير؟ يبدو أن شيئًا ما قد حدث أليس كذلك؟».

أخذ كساندر نفسًا عميقًا، وعيناه قَلِقتان، ثم مرر الرسالة إليه من فوق الخريطة وقال حائرًا يتساءل:

- «انظر، ألا يبدو ذلك غريبًا؟! كلانا يعلم أن الحرب ستقوم في أي لحظة، وأن في هذهِ الحروب، العدد هو الأهم! فالإيثاي لوحده يفرق في نتائج أي قتال! وهم أعلم بذلك من غيرهم! إذًا لماذا بدأت تنسحب قوات الداركمور من الجبهة الأمامية الآن؟ فهم الأكثر تدريبًا وقساوة، وأعلم بقدرات الإيثاي وكيفية التصدي لها من الجميع!».

- «وبمعرفتي المتواضعة عن قصر بلودغود وقوات الداركمور، فلا بد وأنهم على علم بتحالفنا، وأن هذا يُرجعُ الكفة لصالحنا!» قال لاتيان، وهو يحاول إيجاد سبب مقنع لإقدامهم على فعل هذا.

ثم أكمل كساندر وهو يفكر بقلق:

- «إذًا لماذا تنسحب قوات بلودغود الآن... لماذا في هذا الوقت بالذات؟! وكأنهم ليسوا قلقين أو مهتمين بأمر تحالفنا! فمن المستحيل أن يُقدم بلودغود بفعل أمر طائش كهذا... إلا إذا...» وهنا استوت الفكرة لدى كساندر أخيرًا! وقال بنبرة ناكرة مستنكرة غير مصدق لذلك أبدًا، وعيناه جاحظتان تمامًا:

- «إلا إذا كانت ليس لديهم نية، في بدء هذه الحرب من الأساس! وأن كُل هذا... فقط مُجرد تضليل!! يا إلهي.. هذا مستحيل! ولكن منذ متى...».

- «ديمووووووووون!!» صراخ عالٍ أتى من داخل المستودع. صوت كالرعد يدوي، صوت دبَّ في قلب من سمعهُ رعبًا، وجعل من كيانه يهتز خوفًا!

اتجه ديمون مسرعًا، وبضعة من الجنود معه إلى جهة المستودع، وعندها رأوا كساندر على سرج حصانه «ريث»، وغضب عارم جدًا قد ترسم في عينيه! غضب اعترى وجهه، ودبَّ الخوف في قلب كل من رآه! حتى ديمون لم يُميز ذلك الشخص أمامه أبدًا! وتجمّد الجميع في مكانهم خوفًا، وكأن الوقت قد توقف! ولم ينطق أحد بأي كلمة أو يتجرأ ليأخذ نفسًا واحدًا حتى! وكأنك إن فعلت ذلك، سيكون آخر نفس لك!

وعندها كسر صوته مرة أخرى حاجز الزمن، وقال بنبرة حادة قاتلة، وعينان حاقدتان تلتهمان روحَ كُلُّ من ينظرُ إليها:

- «هيا بنا!!!» صرخ كساندر مبتعدًا.

أخذ الجميع أكثر من خمس ثوان، كي يعودوا إلى وعيهم، ونبضات قلبهم إلى نبضها الطبيعي! عندها رأوا أن كساندر قد ذهب بالفعل، فبدأوا باستيعاب الأمر بسرعة، وهناك وبصوت عالٍ أمر القائد لاتيان جميع الجنود باللحاق خلف كساندر بسرعة:

- «لقد سمعتم ما قاله، هيا بسرعة فلنذهب!!».

تحرك جميع الجنود واتجهوا شرقًا بأقصى سرعة ممكنة، وكان كساندر متقدمًا عنهم بفارق كبير.

- «هذا لا يمكن!! منذ متى وقد خططوا لِكُلِّ هذا؟؟ لقد كنتُ حذرًا جدًا! خُطَة شيطانيةٌ كهذه لا بد وأنها من صنعه!!» قال كساندر قاصدًا شخصًا ما، وهو يربط الأحداث ببعضها مسرعًا كالبرق باتجاه العاصمة.

{في هذه الأثناء، في حديقة القصر...}.

- «أهلًا بكم جميعًا.. أهلًا بالجميع، نرجو أن تكون المائدة قد حازت على رضاكم.» بدأ الملك أليكساندر بابتسامة ويدٍ مرحبةً، وأضاف بمزحة:

- «ربما تظنون أنني أجيد الخطابات، بما أني الملك! ولكني في الحقيقة أتوتر وينعقد لساني، في حضور أعدادٍ كبيرة كهذه.» ثمّ نظر الملك إلى زوجته الملكة أيار، وأكمل مبتسمًا:

- «لذلك تتواجد معي هذه الحسناء، دائمًا في مناسبات كهذه، كي تتأكد من ألا أصبح أضحوكة أو ربما مهرجًا كما أنا الآن!».

- «لا عليك، تبدو رائعًا أيها الملك.» قالت فتاةٌ من بين الحضور.

- «لدينا معجبين هنا!» أجاب الملك بنظرة مضحكة، وهو ينظر إلى زوجته، التي رمقته بنظراتِ الويل بشكل طريف. وأضاف:

- «يا إلهي انظروا، لقد استيقظ الوحش الغيور، أنا آسف.».

وعندها قالت الملكة بابتسامة وعيناها تنظر إليه، متوعدة إياه بلطافة:

- «سأتفاهم معك بالداخل لاحقًا.».

وفي تلك اللحظة ضحك الحضور بشدّة، وبدأت أصوات الضحكات والفرح تعلو في المكان أجمع. وهناك رأى الملك دمعة فرح في عيني زوجته فذهب ممسكًا بيدها وشدّ عليها وقال بنبرة حُبّ دافئة وعينين مبتسمتين:

- «هيا يا عزيزتي، إنه دورك.».

عندها تقدمت الملكة أيار إلى حافة المنصة، وأخذت الأنظار تتجه إليها بصمت، وقالت بصوت مهيب صوت يليق بملكة، ونظرة حادة وجميلة،

سرقت فيها أعين الناظرين إليها:

- «على مر الأجيال، لطالما عانى الإيثاي من سخط الداركمور! عانوا من سخطهم وحُرموا من أبسط حقوقهم، ألا وهو الحياة! حُرموا من العيش وتحقيق أحلامهم، وتكوين عائلة والعيش في مكان الجميع فيه سواسية.. حُرموا من لذة العيش والأمان، وكانوا طوال حياتهم مطاردين من أولئك الذين يظنّونَ ويوهمون أنفسهم أنهم يطبّقون حكم الآلهة! مطاردين من قبل أولئك الذين حكموا علينا أننا نسل الشيطان!! وأن قوتنا هي قوى غرضُها التدمير والقتل وأننا لا نستحق العيش! لذا تم قتلنا وحرقنا وتقطيعنا، صغارًا وكبارًا أمام الجميع! ورُميت أجسادنا إلى الحيوانات كي تتغذى عليها، وكأننا لسنا بشرًا مثلهم!! على مر السنين وضعوا رؤوسنا في أسياخ وعرضوها في كل مكانٍ عظة وعبرة، وفوق كل هذا يقولون أننا شياطين، وأن أفعالهم هي تطبيق لحكم الآلهة!! لا ولا ولا!!

ففي كل مخلوق، وكُل جنس هناك الطيب وهناك الشرير! فكما للبشر جانب سيئ، فأغلبيتهم تحكمهم الطيبة!! وكما للإيثاي جانب طيب، فهناك السيئ! ففي الأخير نحن جميعنا بشر، وتحكمنا أفعالنا لا أفكار غيرنا فينا! أو ما فعله أجدادنا! فهم لم يعاشرونا ولم يأكلوا معنا، ولم يناموا في بيوتنا وتحت سقوفنا!! لذا فبأي حق لهم أن ينعتونا بالشياطين؟!! ولكن هذا لا يهم الآن... الأمر سيتغيّر من هنا وصاعدًا، سوف ننهي هذا العذاب، مرة أخيرة وإلى الأبد... فهدفنا هذه المرة ليس الدفاع عن حياتنا فقط، لا لا، هذه المرة سنستهدف ونستأصل رأس الحية مباشرة! هذه المرة سننهي ما لم يستطع أجدادنا فعله من قبل! هذه المرة بلودغود ستكون هي الهدف!! ولكن قبل أن نبيدهم عليهم أن يعلموا أن الإيثاي الذين فرّوا بجلدتهم خوفًا من بطشهم، ها هم هنا ينعمون وأخيرًا بالسلام الذي يستحقونه... لذا فإني أنا ملكة مملكة إيثيريا، والوريثة الشرعية الثانية لمملكة ريفيرلاند، وفرد من شعب الإيثاي.. أنا الملكة

أيار كوينت ثورنهارت، وباسم زوجي ملك مملكة إيثيريا، الملك.. أليكساندر رآل فيلب آلنور، أُعلن هنا والآن...»

وقبل حتى أن تُنهي الملكة أيار كلمتها، إذ بأصوات تلك الإنفجارات المدوّية! أصوات انفجارات وصرخات ملأت أرجاء العاصمة أجمع! انفجارات قرب القصر الملكي!

وصرخات تعالت خوفًا داخل العاصمة!

أصوات سيوف تتلاحم!

وقوى سحرية تتصادم!

وصرخات الأطفال ملأت أرجاء المدينة!

عندها وبسرعة، أمر السيد شهاب بأعلى صوته بإغلاق البوابة! ولكن الحارس جيمس لم يكن له أثر في المكان! فجأة، «يا إلهي، لقد مااات!!» صرخت امرأة بأعلى صوتها من بين الحشود.

عندها التفتت جميع أنظار من في الحديقة إلى ما كانت تنظر إليه تلك المرأة. وهناك كانت الصدمة! كان جيمس ملقى على الأرض ومات مختنقًا بدمه! إذ أن أحدًا ما قد مر بسكّين من على حنجرته ونحر عنقه وجعله يموت ميتة بطيئة مختنقًا بدمه، كي لا يتسنّى له إلقاء التعويذة وإغلاق البوابة.

- «يا إلهي.. إنه الحارس جيمس!» قال أحد حراس القصر بصوت متردد.

ثم عاد بصوت عالٍ:

- «إنه الحارس جيمس لوك، لقد...»

وقبل أن يكمل الحارس كلمته، ظهر شخص من خلفه وكأنه كان مختبئًا في ظله ولم يحس به أحد، ومر بالسكين ونحر عنقه أمام الجميع... وهناك بدأ المكان بالهيجان، وصرخات الكبار والصغار ملأت المكان!

رؤوس تتطاير هنا وهناك، وانفجارات متتابعة في ساحة القصر الخارجية، أجساد تفجّرت، ودماء تسيل كالنهر بين أرجل الهاربين والمستنجدين بحياتهم! إذ هرع الكثير من المواطنين إلى حديقة القصر الداخلية؛ خوفًا على حياتهم وطلبًا للنجدة!

بينما من كان داخل الحديقة من اللاجئين، أرادوا الخروج من ذلك المكان بسبب ما رأوه من رؤوس تتطاير وأعناق تُنحر! حتى أن بعض المواطنين واللاجئين من الإيثاي، استخدم سحره كي يشق طريقه خارج الحديقة أو لداخلها بالقوة، وغير مبالين لما يحدث من حولهم. أما البقية فكانوا ضحية دعس ودهس من أولئك الذين أرادوا الخروج من الحديقة بينما هم أرادوا الدخول، فتضادّت الجهتان متسببة بدهس وقتل بعض أولئك الذين لا حول لهم ولا قوة.

عندها أمر الملك أليكساندر، حارسه رامي بأن يأخذ زوجته والبقية إلى داخل القصر وبسرعة!

وڤايوليت وسعاد، تشاهدان برعب المشهد بعينين جاحظتين والجميع يحاول النجاة بحياته، والعاصمة أمامهما تحترق!

عندها صرخت الملكة أيار بأعلى صوتها:

- «إلى داخل القصر هيا بسرعة!».

فجأة، قاطع كلامها رمح قُذف من مكان ما، واخترق بطنها! ورأت ڤايوليت وسعاد برعب وخوف ما حدث، وتجمّد كيانهما ولم تستطع أرواحهما الحراك!

عندها التفتت الملكة أيار ببطء، والرمح في جسدها قد استقر، ورأت الخوف في أعين طفلتها، وكادت أن تسقط، ولكنها تحاملت الألم، وصرخت تنادي بصوت حاد متألم وجسد ثابت في مكانه:

- «رامي، ميلا، أخرجا سعاد وڤايوليت من هنا هيا بسرعة!».

وراحت تنظر من على المنصة إلى حيث زوجها أليكساندر بين الحشود الهائجة. تجمّد رامي في مكانه دون حراك، في تلك اللحظة التي بدت وكأنها أطول خمس ثواني في حياته! إذ نظر إلى الملكة ورأى الرمح يخترق بطنها!

ونظر إلى الملك أليكساندر، وكان قد قفز من على المنصة يحارب برفقة والده شهاب، وبقية الحراس! وبجانبه أخته الصغرى ووالدته سمر. ومن ثم توجهت عيناه العسليتان إلى الجميع وهم يُقتّلون ودماؤهم في كل مكان وبدأ الخوف يجتاح قلبه ولم يستطع عندها سماع أو فعل أي شيء!

مجرد أفواه تتحرك حوله طالبة النجدة...

- «رامي! رامي!» صرخت سمر والدته وشدت على يده وأكملت بخوف:

- «لقد أُجتيحت العاصمة! ڤايوليت وسعاد أنقذهما أرجوك!».

نظر رامي إلى والدته وأخذ يحاول الحفاظ على رباط جأشه، وشدّ على قلبه، وقال وأخيرًا بنبرة مهزوزة خائفًا:

- «سوف أنقذهما لا تقلقي، ولكني سأعود لكم جميعًا، أعدكِ.».

نظرت سمر إلى ابنيها، وهي تعلم أنه الوداع ولكن لم تُظهر ذلك، بل وضعت يديها على خدهما، وقالت وهي تحاول إمساك دموعها، بنبرة مهزوزة وعينين مودعة:

- «أعلم ذلك.. أعلم ذلك يا فتاي الشجاع!» ثم أكملت بصوت دافئ وعينين

دامعة:

- «سعاد، رامي.. احميا بعضكما دائمًا مهما كلف الأمر! وڤايوليت كذلك فهي أختكما الصغرى، وتأكدا من سلامتها، فهذا واجبنا هل سمعتما؟!» عندها بدأت دموع سعاد وصوتها الباكي يتسلّل لقلب والدتها العطوف، ولكن سمر شدّت على يد ابنتها وقالت وهي تحاول الإبقاء على صوتها الثابت:

- «لا تبكي..» ولكن لم تستطع، وأعادت بصوت باكٍ ومهزوز:

- «لا تبكي.. عليكِ أن تكوني قوية، وأيضًا أنتِ أختُ ڤايوليت الكبرى! ما الذي ستقوله إذا رأتكِ تبكين الآن ها! هيا امسحي دموعك قبل أن تراها هيا...».

أما ڤايوليت فقد كانت في أحضان ميلا، وعيناها ما زالت ترى ذلك الرمح مخترقًا جسد أمها! وأخذت تردد بصوت ناكر مستنكر لما تراه عيناها الآن وهي تتجه إلى أمها بخطوات مُتردّدةٍ مترنحة، كل خطوة كانت أثقل وأصعب من التي قبلها!

- «ماااماااا!».

- «ڤايوليت عودي إلى هنا هذا خطر!!!» صرخت ميلا عندما استوعبت أن ڤايوليت لم تعد بين أحضانها.

عندها أحسّت الملكة بشيء ما يحتضنها من الخلف.

- «ڤايوليت!» قالت الملكة وهي تنظر في عيني ابنتها الباكية.

- «ماااماااا!» بدأت ڤايوليت بالبكاء والصراخ! وكيف لطفلة في عُمرِ الثانية عشرة، أن تبقى صامدة متزنة بعد كُل ما رأته! أرواح تُقتل، ورؤوس حولها تتطاير، وأعناق تنحر.. والآن ذلك الرمح قد اخترق والدتها أمامها! وكأنّ ڤايوليت في تلك اللحظة، تتمنّى وترجو أن يكونَ كُل هذا مجرد حلم، وأنها قد

طالت في النوم مرة أخرى فحسب.

عندها حاولت الملكة أن تتجاهل الألم، وأخذت تنزع الرمح ذاك من بطنها صارخةً من شدة الألم، في مشهد دموي مخيف، وراحت بعدها تدنو من ابنتها متجاهلة الألم المميت، وقالت بصوت دافئ مهزوز النبرة، ويداها حول ابنتها تحتضنها:

- «ڤايوليت حبيبتي، يا ملاكي الصغير.. لا تقلقي كُلُّ شيء سيكون بخير.» ثم نظرت إلى عيني ڤايوليت، ويدها على خدها الأيمن والأخرى على كتفها وحاولت ألا تذرف الدموع، ولكن لم تستطع تمالك نفسها فأكملت بعينين باكيتين وهي تحاول الابتسام في عيني ابنتها:

- «عيشي حياتك كما تُحبّين، ولا تنسي كُلَّ ما علمتكِ إياه، وانصتي إلى كل ما تقوله ميلا...» ثم نظرت الملكة أيار إلى ميلا ثم ابنتها مرة أخرى مبتسمةً رغمَ الألم، وأكملت بصوت مهزوز وقلب باكٍ:

- «ميلا تخافُ منكِ كثيرًا، وقد أخبرتني ألا أجعلها توقظكِ مرة أخرى، ولكن سيكون عليها أن تعتاد على ذلك.» كل هذا وڤايوليت تنظر إلى والدتها وكيانها ذبل تمامًا، من شدة الخوف والبكاء عليها.

وفجأة! بدأ الدم يسيل من على فمها، ولكنها ما زالت تحاول البقاء صامدة متزنة أمام ابنتها وأكملت قائلةً بصوت حاد ونظرات واثقة وقلب من حديد:

- «عيشي حياتك على أكمل وجه! وعندما تكبرين ستصبحين جميلة جدًا تمامًا كوالدتكِ.. بل أجمل حتى! وسيحاول العديد من الرجال فارغي العقول التقرب منكِ، لذا تأكدي أن تختاري الرجل الذي يُحبكِ، والأروع على الإطلاق! فأنتِ تستحقين الأروع يا طفلتي الجميلة.» وأعطتها قبلة على جبينها واحتضنتها

مرة أخيرة. وأنهت كلامها بوصية:

- «عيشي.. عيشي يا ملاكي الصغيرة.».

عندها نظرت الملكة أيار لمساعدتها ميلا، ومن نظرة واحدة علمت ميلا وهي تذرف الدموع الباكية، ما الذي يجب فعله. أسرعت تأخذ بيد ڤايوليت ورامي بيد أخته سعاد، وقبل أن يتركوا المنصة ويدخلوا القصر، صرخت الطفلتان رافضتان الرحيل بِكُل قلب متألم باكٍ:

- «ماااماااا!!!!» صرخت الطفلتان، حتى بُح صوتهما وذبلت روحهما تمامًا.

وفي تلك اللحظة التفتت سمر والملكة أيار، إلى صرخات ابنتيهما، ووقعت الأعين تنظر بعضها لآخر مرة، والدموع أصبحت نهرًا تجري، في وجنتي تلك الطفلتين، وكانت هذه آخر نظرة وآخر ذكرى وآخر لمسة، لتلك الطفلتين لأمهما!

ذكرى مؤلمة..

ذكرى شنيعة..

ووداع أخير..

عندها أخذت أيار وسمر نفسًا عميقًا ونظرتا إلى بعضهما البعض بنظرة حادة وعزيمة لا متناهية، واتجهتا إلى مقدمة المنصة وأخذتا وضعية القتال الأخير.

- «هل أنتِ بخير؟» بدأت سمر وعيناها صوب تلك المجزرة.

- «أجل.» أجابت الملكة أيار صديقتها بابتسامة وأخذت تمسح الدم من فمها.

- «بالطبع أنتِ كذلك.. فأنتِ وحش بعد كل شيء!» أجابت سمر بابتسامة صغيرة.

- «إذًا لنرِ هؤلاء القتلة ما ستفعله بهاتان المتوحشتان!» أجابت الملكة أيار بصوت حاد، وبدأ الهجوم المضاد.

{قبل بضع دقائق..}.

- «يا إلهي ما الذي يحدث ما هذا الانفجار؟» بدأ السيد شهاب.

- «عليّ أن أغلق البواب...»

- «ليس بهذه السرعة يا لوك! فما زلنا بحاجتها مفتوحةً لبعض الوقت!» همس صوت من خلف جيمس وهو ينحر عنقه، وأكمل يهمس لتلك الظلال من حوله آمرًا:

- «انتشروا.».

فجأة! صراخ جذب الحاضرين إليه...

- «يا إلهي، لقد مات!!» صرخت امرأة بأعلى صوتها من بين الحشود.

- «يا إلهي.. إنه الحارس جيمس!» قال أحد حراس القصر بصوت متردد.

ثم عاد بصوت عالٍ:

- «إنه الحارس جيمس لوك لقد...» وقبل أن يكمل الحارس كلمته، ظهر شخص من خلفه وكأنه كانَ مُختبئًا في ظِلّه ولم يحس به أحد، ومر بالسكين ونحر عنقه أمام الجميع. وهناك بدأ المكانُ بالهيجان، وصرخات الكبار والصغار ملأت المكان! رؤوس تتطاير هنا وهناك! وانفجارات متتابعة في ساحة القصر الخارجية! أجساد تفجرت، ودماء تسيل كالنهر بينَ أرجل الهاربين والمستنجدين بحياتهم!

- «رامي أخرج الجميع من هنا هيا!» أمر الملك أليكساندر صارخًا.

- «شهااب!» صرخت سمر وهي تبحث عن زوجها بين الحشود الهائجة «شهاااب..!!».

عندها بدأت أعين أليكساندر في البحث عن شهاب من بين الحشود وقد وجده مباشرة ولكن!

- «يا إلهي شهاب!» قال الملك بخوف وهو يرى شخصًا يتسلّل خلف شهاب ليقتله! فقفز عندها مسرعًا من على المنصة متجهًا إليه وظل ينادي ويصرخ بأعلى صوتهِ ليُحذّره، مُصارعًا تلك الحشود الكثيرة!

- «شهاب..!!» ولكن صرخات الناس طالبة النجدة، كانت أعلى وأطغى.

وفي طريق الملك أليكساندر إلى السيد شهاب اعترضه أحد القتلة فجأة فاستل الملك سيفه من غمده بسرعة، ولكن القاتل كان يحمل فقط سكينًا صغيرة، ولكن لم يكن هذا الغريب فحسب، فقد أوقع ذلك القاتل السكين أرضًا، وأخذ وضعية القتال بيديه العاريتين! الملك أليكساندر ليس شخصًا سهل التعامل معه أبدًا، فلم يكسب وسام أقوى فارس من فراغ. وهناك حدث ما لم يكن بالحسبان أبدًا...

- «ماذا؟ ما الذي يحدث!» بدأ الملك أليكساندر وهو لا يُصدّق ما تراه عيناه أبدًا!

- «لماذا؟!» قال ناكرًا مستنكرًا لما يراه!

كانَ ذلك القاتل فردًا من إيثاي التايروسترات الذين آوتهم مملكة إيثيريا تحت جناحيها!

- «ولكن لماذا؟!» ولكن لم يكن هناك وقت للتساؤل، إذ هجم ذلك القاتل بسحره وبدأ القتال بينهما. هجم الملك بكل قوته فهو يعلم أن هذا النوع من القتال مميت، فصاحب سحر التايروسترات باستطاعته التلاعب بالتربة كيفما يشاء، بل وتزيد قوتهُ كُلّما كانَ في بيئة تناسب قوته... وهما الآن يقفان على

أكبر حديقة في العاصمة وكل ما هو موجود هنا يخدم صالح ذلك القاتل على أكمل وجه!

وفي خضم القتال كانت القنابل ما زالت تنفجر في كلّ مكان والنَّاس تستنجد بحياتها والجنود تحارب هنا وهناك..

- «يا إلهي ما الذي يحدث؟» قال أحد حراس القصر وأضاف: «علينا أن نرسل إلى القائد كساندر، فليس لدينا عدد كافٍ للتصدي لكل هؤلاء!! سنخسر هكذا بالتأكيد!».

- «اسمعوا أيها الجبناء!» قال صوت من خلفهم وأضاف: «علينا أن نحمي القصر بكل ما لدينا!! فإذا سقط القصر سقطت العاصمة والمملكة كلها!! علينا أن نحمي الملك ولو كلفنا ذلك حياتنا!» كان هذا الشخص هو نورمان أحد أقوى الإيثاي في المملكة.. فهو من رشحه أحد جنرالات الجيش سابقًا، في اجتماع القادة، في غرفة الحرب، كي يكون مشرفًا على تدريب الإيثاي اللاجئين، كي يكونوا سَندًا وعونًا للجيش الأول وورقة رابحة! فهو يُعد المعلم الأول في العاصمة، وتخرّج من تحت جناحيه العديد من الإيثاي الأقوياء.

السيد شهاب، مستخدم لسحر الأرض، لذلك بإمكانه الإحساس بكل خطوة تُخطى الأرض القريبة منه! إذ أحسّ هو بشخص ما يتسلل من خلفه وخطوات أقدامه كالقطة المتربّصة على فريستها، ورغم وجود العديد من الناس الذين يركضون في المكان للنجاة بحياتهم، إلا أن شهاب، كان بإمكانه الشعور بذلك المغتال أيضًا، فبعد كل شيء، السيد شهاب فارس من فرسان «أرلان»، الذين يتميزون بخفة الحركة، والتسلل كالفهود دون أي صوت أو أي أثر. عندها هجم ذلك المتسلّل، على السيد شهاب، ولكن كان ذلك أكبر خطأ ربما قد ارتكبه ذلك المختال في حياته! ودون حتى النظر إليه، قام شهاب بنزع رأسه عن جسمه بسحره بسرعة جنونية!

وعندها هجم عليه شخص آخر من على يمينه بسحر التايروستراث، ولكن السيد شهاب، تصدى له بعد أن سيّر النباتات من تحت الأرض كي تحوم حوله وتحميه. ثم أخذت تلك الأغصانُ تلتف حول قدم ذلك الشخص وتجره إلى باطن الأرض بقوة مخيفة تكاد تسمع صوت عظامه تتكسر، وانسلخ جلده تمامًا ولم يبق إلا رأسه فوق الأرض. وهناك التفّت النباتات الشائكة حول رأسه ووجهه وعصرته، حتى خرجت عيناه من مكانهما وتفجر دماغه ومات.

بينما في الجهة الأخرى كان الملك أليكساندر يواجه بعض الصعوبات في قتاله، إذ أن الملك أليكساندر لا يملك أي قوى من سحر الإيثاي، والشخص الذي أمامه يملك أفضلية المكان والسحر. ولكن ما لم يعلمه ذلك الشخص أن الذي أمامه قد تغلّب على قوى لا يمكنه هو حتى تخيلها.. وفي تلك اللحظة، ومن لا مكان في أرض المعركة، إذ بذلك الرمح يُقذفُ من بعيد فوق الجميع مخترقًا جسد الملكة أيار! وتبعه صوت انفجار آخر مدوّي، وهناك غرس الملك سيفه في قلب خصمه والتفت نحو السيد شهاب ورآه متجهًا نحوه برفقة بضعة من الجنود وحرس القصر.

- «هل أنت بخير يا أليكساندر؟» بدأ شهاب.

- «أجل، ما الذي يحدث هنا؟!!» أجاب أليكساندر حائرًا لا يدري ما الذي يجري حوله.

- «لا أدري! ولكن يبدو أن بعضًا من اللاجئين لم يكونوا حقًا لاجئين!».

- «ولكن كيف؟ لقد تحققنا من الجميع!!» احتج أليكساندر.

وهناك نظر شهاب إليه بنظرات حادة، وقال ناكرًا:

- «نحن لم نفعل يا أليكساندر! كساندر هو من فعل ذلك.» أجابَ شهاب وأكمل مخاطبًا أحد الجنود: «أرسلوا في طلب فرد من عائلة لوك! جيمس قد

مات، وعلينا أن نقفل البوابة الآن! فهم لم يبدأوا به أولًا، إلا لأنهم أرادوا البوابة مفتوحة كي تخدمهم لاحقًا، وأكاد أجزم أن هناك بقية لم يظهروا بعـ...»، وقبل حتى أن يُنهي شهاب كلامه، إذ بهؤلاء القتلة يظهرون من العدم. منهم من يحمل السيف، ومنهم من يُلوّح بتلك الرماح في المكان وتلك الخناجر أيضًا، وأحاطوا بالملك أليكساندر والسيد شهاب وجميع جنود القصر، وصُدم الجميع عندما رأوا ملابس أولئك القتلة!

- «يا إلهي كيف حدث ذلك؟! كيف وصلوا إلى هنا؟!!» قال أحد الجنود مرتعِبًا.

- «إنهم الداركمور!!» قال الملك أليكساندر بصوت حاقد ووجه غاضب.

وهناك نظر السيد شهاب إلى الملك أليكساندر، وبنظرة واحدة فهم الإثنان ما يجب فعله.

«أروم بُثينتا لاريس كاتوس ڤاس.».

ألقى السيد شهاب تعويذة قوية كي يَسُدّ البوابة العملاقة بنباتات شائكة وصلبة، وقال بنبرة حادة:

- «بما أن جميعكم قد وصل، فلن ندع أحدًا منكم يغادر من هنا على قيد الحياة حتى ولو كنتم تغلبوننا عددًا.».

عندها بدأ الهجوم من كلا الطرفين. الداركمور، وقتلة الإيثاي من جهة، والملك والسيد شهاب ونورمان، وحرس القصر، من جهة أخرى. وقبل أن تتشابك القوتان، إذ بسحر الهايروستراث، وسحر التايروستراث يرجم الأعداء من مكان عالٍ، نظر الملكُ أليكساندر خلفه فإذا بالملكة أيار وسمر على عتبة المنصّة يقفانِ بِكُلِّ قوّة وشراسة، عندها قال السيد شهاب بابتسامة ونشوة القتال:

- «ها قد ظهرت المتوحشتان وأخيرًا.».

«شهاب روان آزر».

شهاب ذو العينين الرماديتين، صاحب الاثنين والأربعين سنة. طويل القامة، وقوي الجسد، وشعره رمادي بالكامل، وطويل بعض الشيء قليلًا. وبربطة أهدته إياها زوجته سمر، يربط شعره وكأنه ذيل أرنب صغير. يعد شهاب فردًا من الإيثاي بالتحديد إيثاي التايروستراث، وهو يعتبر من أقوى الإيثاي في الوجود. وُلد في العاصمة الملكية ريسيليا، وكان هو والملك أليكساندر أصدقاءً منذ الطفولة. فكان والده الراحل روان آزر مستشار الملك رآل فيليب آلنور. لطالما كانت عائلة آزر على مر الأجيال جنبًا إلى جنب تؤازر وتنصح وتحمي العائلة الملكية دائمًا. فكان عندما يكبر ذكور أطفال عائلة آزر قليلًا، يتم إرسالهم إلى مملكة «آزمر»، حيثُ تكمن في مدينة «أرلان» بالتحديد، واحدة من أكبر مدارس العلم تدعى بـ «ذارون»، حيث يتم تعلميهم التاريخ، وكيفية القيادة والتفكير، وحل المشكلات، وكيفية القتال بالتأكيد! فبعد كل شيء، خريجي فرسان «ذارون» يُعدّون من أقوى الفرسان وأنبلهم، وأكثرهم قيمة! فجميع النبلاء والأغنياء من كل مكان دائمًا ما يبحثون عن الحماية والنصح أو مُعلّم لأبنائهم ربما، ولأشياء عدة أخرى.

- «يا إلهي، أيار؟!!» صرخ الملك أليكساندر وعيناه لا تصدق ما تراه.

- «لا تقلق، أنا بخير.» أجابت أيار بفجوة في بطنها، تتحامل الألم.

- «سنغطي ظهوركم من الأعلى، فهنا نملك رؤية واضحةً، وهجماتنا ستكون أكثر فعالية.» بدأت سمر.

- «أيار، ولكنكِ لستِ بحالة تسمح لكِ بالقتال؟!!» احتج أليكساندر ناهيًا.

- «أليكساندر!!» قالت الملكة أيار بصوت غاضب وحاد. وأكملت بنبرة صارمة:

- «ليس هذا وقت النقاش! علينا الاستعانة بكل يد تستطيع القتال! وأنا لن أخلف وعدي، وسأحارب حتى آخر رمق!».

أنهت الملكة أيار ردّها بعينين حازمتين تمامًا. وهناك انصاع أليكساندر رغماً عنه، فهو يعلم أنها لن تتراجع عن قرارها أبدًا. وراح ينظر إلى العدوّ ذاك أمامه، وقال بنبرة حاسمة:

- «حسنًا إذًا.. لنُري هؤلاء الشرذمة، معدن مملكة إيثيريا وقوتهم.».

واشتبكت القوات ببعضها وبدأت السيوف تتلاحم وأصواتُ الرّعد والبرق بدأت تهيمن في السماء، والرعب حَلَّ على العاصمة أجمع. أنهار من الدماء تجري، وأناس تحت الأنقاض ترتجي، ورؤوس عن أجسادها تائهة، وقتلة الإيثاي ما زالوا يعيثون في العاصمة فسادًا! فرغم وجود العدد الكبير من الإيثاي اللاجئين، إلا أنهم ليسوا مقاتلين أبدًا. فقد أمضوا حياتهم في ليثيونا، في إخفاء قوتهم عن بلودغود، ولم يتسنَّ لهم تحسين قدراتهم وتقويتها! أضف إلى ذلك، أن العديد منهم مُجرد أطفال صغار لم يبلغوا الحُلم، ولم تظهر قواهم بعد. حتى الشبانُ منهم والشابات لم يملكوا الشجاعة لفعل أي شيء، وكيف لا وهم عاشوا حياتهم في سخط وخوف والآن بعد أن ذاقوا طعم الأمل وأخيرًا، أتى شخص ما وانتزعه منهم، وها هم الآن ينظرون إلى موطنهم الجديد يُدَمَّر ويُؤخذ منهم... والأفجعُ من هذا كُلّه، أنّ هؤلاء المغتصبين بعضهم من بني جنسهم الإيثاي أيضًا!

في هذه الأثناء، كان رامي وميلا وڤايوليت وسعاد، متوجهين إلى قبو القصر. فهناك توجد أنفاق وممرات تحت أرضية بُنيت لأجل إذا ما قد حصل واجتيحَت العاصمة من قبل الأعداء فإنها ستؤدي إلى بر الأمانِ خارج أسوار المدينة. وفي طريقهم إلى هناك، انتبه رامي إلى أن هناك شخصًا ما يتبعهم في الخفاء دون أن يُظهر نفسه. عندها أمر رامي ميلا أن تأخذ سعاد وڤايوليت إلى القبو وتسلك الممر الأرضي.

- «ميلا اسمعيني جيدًا، هناك شخص ما خلفنا!» بدأ رامي محذرًا. وأضاف:

- «خُذي سعاد وڤايوليت واتجهي إلى القبو مباشرة، ومن هناك اسلكي الممر الغربي.. وفي نهايته ستجدين نفسك داخل غابة ما خارج أسوار العاصمة، وإذا سلكتِ الطريق الغربي، ستصادفين أمامك مباشرة كوخًا صغيرًا.».

- «كوخ من؟!» قالت ميلا تتساءل خائفة.

- «إنّه لكساندر، اعتدنا الذهاب إليه برفقة ديمون وليون في حين رغبنا بالصيد.» قال رامي، وأضاف:

- «اختبئي هناك وانتظريني هل سمعتِ؟ ولا تُشعلي نار المدفأة أبدًا. وإذا حصل ورأيتِ أي شخص غريب، ستجدين بعض الأحصنة مربوطة اللجام خلف الكوخ.. اتجهي مباشرة إلى ميناء رفيد ولا تنظري إلى الخلف أبدًا.».

- «أجل، حسنًا فهمت.. الممر الغربي، غابة صغيرة، كوخ صغير، ولا أشعل نار المدفأة أبدًا، وأتجه إلى ميناء رفيد في حال أتى شخص غريب.» أجابت ميلا

وهي تُردد الخطة بخوف.

- «حسنًا اذهبي ولا تتوقفي أبدًا.».

سعاد وڤايوليت، كانتا جسدين بلا روح، فما رأتاه قبلاً جعل أعينهما البريئة لا ترى سوى ذلك المشهد البشع المخيف، وآذانهما لا تسمع سوى صرخات تلك الأرواح التائهة المتألمة، ترتجي لحياتها.

- «حسنًا إذًا أظهر نفسك.» بدأ رامي وقد استل سيفه من غمده.

- «هل تظن أنك حقًّا ستتمكن من اللحاق بهم؟» قال ذلك المتربص من مكان ما.

- «لقد وعدت أنني سأنقذهم مهما كلف الأمر! لذلك لن أموت هنا أبدًا.» أجاب رامي مُلوّحًا بسيفه في اتجاه ذلك الصوت.

- «كلمات قوية من شاب تافه.» أجابَ ذلك الصّوت، وعندها خرج من بين الظلالِ بسيف أحد الحراس الذينَ قتلهم.

- «وأخيرًا لقد خرج الفأر من جحره!» قال رامي وهو يحوم حول ذلك الشخص.

- «احذر فحتى الفئران تعض إذا أغضبتها!».

- «ماذا تريد؟».

- «أريد تلك الفتاة فقط، لذا ما رأيك أن تتنحى جانبًا وتدعني أقتلها ببساطة وتحافظ أنتَ على حياتك!».

- «على جثتي.» أجاب رامي بصوت حاد، وبدأ الهجوم.

{في الحديقة الداخلية..}.

كانت المعركة في أوج قوتها!

الملكة أيار تحارب بِكُل ما تبقى لها من قوة وهي تترنّحُ من شدة الألم، ومع ذلك ما زالت صامدة وتقاتل بكل شراسة. وسمر تساندها بسحر التايروسترات خاصتها من أعلى المنصة. وفي الأرض تواجد الملك أليكساندر بسيفه، والسيد شهاب بسحر التايروسترات خاصته، ونورمان بسحر المايروسترات، ومن بقي من حُرّاس القصر على قيد الحياة وجنود العاصمة القليل. بينما في الجهة الأخرى تواجدت قوات العدو من الإيثاي القتلة، وجنود الداركمور، وكانوا ضعف عددهم تقريبًا.

وفي خضم القتال صاح شهاب على أليكساندر، وبنظرة واحدة علم الأخير المقصود وانحنى مباشرة، وقذف عندها شهاب، رمحًا كان قد التقطه من الأرض، على أحد قتلة الإيثاي فجأة، ولكن الأخير تفاداها بفضل سحر التايروسترات خاصته، إذ تصدى لها بكل سهولة. وهناك أمطرت عليهم سمر نيرانها من فوق المنصة ولكن تمكن أفراد إيثاي المايروسترات من التصدّي لها بصعوبة تامة. وهذا لم يمنعهم أبدًا من الهجوم بعدها، إذ أقدم أحدهم مُمسكًا بيده أسهمًا صغيرة، وقذف بها بسحره في الهواء اتجاه المنصة، ولكن تمكن نورمان من التصدي لها بسحر المايروسترات بسرعة خاطفة..

أما بالنسبة للملكة أيار، فكانت عيناها على شخص ما بدا وكأنه يتربّصُ وينتظر اللحظة المناسبة كي يغرس سيفه في ظهر الملك أليكساندر. وفجأةً إذ به يهم

بهجومه الغادر على الملك، وقبل أن يلامس سيفه ظهره، إذ برياح هبّت، وقذفت به بعيدًا على أسوار الحديقة المدببة الحادة واخترقت جسده بالكامل.

أما بالنسبة للسيد شهاب، فكان تقريبًا هو الأقوى في ساحة المعركة تلك، فالسيد شهاب يعرفُ خفايا هذه الحديقة عن ظهر قلب، ويعرفُ نقاط ضعفها وقوتها. وفي لحظة واحدة سريعة، اغتال شهاب ذلك الذئبُ صاحب العينين الرماديتين، اثنين من الداركمور في هجوم واحد دون أن يشعروا بهجومه وانقض على ثلاثة آخرين كالبرق في لمح البصر. إذ غرس وبسرعة خاطفة سيفه في أعناقهم وأنهى على الأخير بتعويذة، بهجوم موحش دموي:

«ريڤيس كاتوس روم.».

أطبق الذئبُ مُلامسًا بيده رأسه، وألقى التعويذة تلك وهمّ مغادرًا للفريسة الأخرى دون أن يكترث له، عندها بدأ الأخير بالصراخ فجأة، حتى خرجت من بين عينيه ومن فمه وأطراف أصابعه أغصان شائكة تزداد حجمًا كُلّما تغذّت على دمه في مشهد مقزز، مرعب، ومخيف! ولن تتوقف حتى تستنزف كُل قطرة منه ويصبح بعدها جزءًا منها.

عندها رأى الأعداء مدى خطورة صاحب تلك العينين الرماديتين، فقد كان كالذئب ينقضّ على جميع فرائسه، واحدة تلو الأخرى بسرعة مخيفة. لذا علموا أن عليهم التخلص من هذا الشخص وبسرعة، وهناك هم بالهجوم عليه أربعة من الإيثاي القتلة وثلاثة من الداركمور دفعة واحدة، إذ تمكن أحدهم

بسحر التايروستراث من تثبيت إحدى قدميه بغصن التفّ حول قدمه ومنعه من الحراك. وبينما كان شهاب يحاول الفرار، انقض عليه اثنان من الداركمور وكادا أن يغرسا سيفهما فيه لولا تدخّل أليكساندر والملكة أيار من فوق المنصّة في الوقت المناسب.

- «هل أنت بخير..؟» بدأ أليكساندر مقاتلًا.

- «أجل أنا كذلك، ولكن بدأت طاقتي تنفذ.» أجاب شهاب محاولًا الحفاظ على نُظم أنفاسه المتقطعة.

- «علينا أن نأتي بخطة ما، وإلا ستكون نهايتنا محتومة!» احتج أليكساندر.

لم يترك العدو لهما مجالًا للتفكير أبدًا، إذ بدأت هجماتهم تصبح أقوى وأقوى، وكُلّما طالت المعركة، كلما زادت فرص العدو في الانتصار!

- «سمر اسمعيني جيدًا، لقد تم تسميمي!» بدأت الملكة أيار بصوت جهوري حاد.

- «ماذا؟!!!» أجابت سمر بعينين جاحظتين غير مصدقتين أبدًا.

- «لم يتبقى لي وقت، لذا انصتي إلي جيدًا، هناك شخص مختبئ هو ذاته الذي هاجمني.. أنا أشعر بحضوره بالفعل!» ثم نظرت إلى سمر بنظرة جادة وقالت بنبرة حادة قلقة:

- «سمر، إنه خطر جدًا، يمكنني الإحساس بذلك! ولكني لا أستطيع استدراجه ولا أراه في أي مكان!».

- «ماذا ستفعلين إذًا؟!».

- «هذا ما سوف نفعله!» قالت الملكة أيار وأخذت تشرح الخطة لسمر.

- «أيار هذا مستحيل! خطة كهذه، بحالتك هذه ستقتلك حتمًا!» اعترضت سمر بشراسة على خُطَّةِ أيار رافضةً تمامًا.

- «انظري حولك يا سمر، جنودنا ليسوا ندًا لهم ونحن هنا نتحدث عن الداركمور! وأيضًا شهاب لن يصمد طويلًا، وأليكساندر مستهدف من الجميع وأنا لم أعد أستطيع...» أخذت الملكة نفسًا عميقًا مؤلمًا جدًا، وجسدها كان يغلي حرارة من أثر السم. وأكملت بما تبقى لها من نفس: - «لا مفر من هذا!».

- «أيار أرجوك، لا بد من حل آخر!».

- «سمر علينا فعل هذا الآن، وإلا سنخسر هذه المملكة وكُلُّ ما عملنا من أجله!» أجابت الملكة أيار بنبرة راجية فلا مَفَرَّ غير ذلك.

وبتلك النظرات المُلحّة، استسلمت سمر موافقة، وقالت:

- «حسنًا لنفعلها.».

فجأة صرخت سمر بأعلى صوتها، وهي تشاهد الملكة أيار تسقط من على المنصة محاولة إمساكها، ولكن دون جدوى، فقفزت خلفها مباشرةً واحتضنتها بين يديها وارتطمتا بالأرض. لفت ذلك الصراخ العالي انتباه أليكساندر وشهاب في صدمة وهما يشاهدان ذلك السقوط الحاد، وهرعا مسرعين إليهما ولكن العدوّ اعترض طريقهما بهجوم مباغت.

فجأة، وبردة فعل سريعة، إذ بنورمان يُعيق هجومهم بسحره وقال مقاتلًا:

- «اذهبا سأغطي ظهركما!»

- «سمرر!!!».

- «أيار!!!».

حاول الجنود حماية الملك أليكساندر وشهاب بكل ما لديهم من قوة وتلقى نورمان أكثر من طعنة في جسده، ولكن ما زال على قدميه يحارب ويدافع عن الملك.

وقبل أن يصلا إليهما، إذ بشخص ما ظهر من العدم فجأة قُرب سمر وأيار وأخذَ يُصَفّقُ بيديه وكأنه انتهى من مشاهدة مسرحية مسلية، وبدأ ينظر إليهما مبتسمًا:

- «يا إلهي لمَ العجلة؟!».

ولكن أليكساندر وشهاب لم يُعطياه أي اهتمام وانقضّوا عليه بسرعة مخيفة، وقبل أن يقتربا من محيطه، إذ بذلك الشخص يُخرجُ رمحًا من معطفه، وأشار به إلى عنق سمر!

- «شهاب توقف توقف!!!» صرخ أليكساندر منبهًا بسرعة وأكمل قائلًا:

- «انظر إلى حد الرمح! إنه مسموم!».

- «أحسنت يا جلالتك، بصيرتك وحواسك فذة وقوية كما يقال عنك.» أثنى ذلك الغريب على الملك مستهزءًا. وأضاف، بنبرة جادة:

- «أخبر رجالك أن يتركوا أسلحتهم على الأرض فورًا يا صاحب الجلالة.».

- «حسنًا.. حسنًا..» قال أليكساندر ورمى بسيفه على الأرض بهدوء، وأضاف محذرًا:

- «ليضع الجميع أسلحتهم على الأرض فورًا!».

انصاع الجميع لأوامر الملك، وعلى رُكبهم كانوا جميعًا. وأمر ذلك الغريب جنوده بأن يلازموا سيوفهم على رقابهم وأن ينحروا أعناقهم في حال قام أي أحد بحركة مفاجئة.

- «اتركها وشأنها، هذا بيننا نحن فقط!» قال شهاب غاضبًا.

- «أوه لا أظنُّ ذلك، ألم ترَ كيف كانت تُحارب في الأعلى؟!!» أجاب ذلك الغريب منبهرًا وأكمل:

- «لقد كانت مفترسةٌ حقًا! جعلت من رجالي يعانون كثيرًا مثلك تمامًا.».

- «إذا لمستها بسوء أقسم أنني سأسلخ جلدك حيًّا! وستتمنى لو كنت ميتًا!» تهجم شهاب بغضب كبير وحقد ترسم في عينيه الرماديتين.

- «أرجوك اتركهما وشأنهما وسأكون رهينتك أنا!» قال الملك أليكساندر مستسلمًا بحذر ومتخوف. وأضاف راجيًا:

- «فبعد كُلّ شيء، أنتم هنا من أجل رأسي أليس كذلك؟! لذا اتركهما أرجوك!».

- «في الحقيقة نحن هنا من أجل زوجتك بالتحديد!» قال الغريب صاحب العينين الزرقاوين والشعر الأشقر، وأضاف وكأنه يشرح طرفةً عفنة بأسلوب مقزز ضاحكًا:

- «بالطبع سوف تموتون جميعكم، وابنتك كذلك، ولكن رأسها هو ما نريد.» قال مُشيرًا للملكة أيار داخل أحضانِ سمر.

- «ماذا؟!» سأل أليكساندر متعجبًا بقلق في عينيه، وأكمل:

- «أتيتم هنا من أجلها بالتحديد!! لماذا؟! مشكلة بلودغود معي أنا، رأسي مقابل عائلتي!».

- «زوجتك أغضبت قائدنا حقًا!» قال الغريب وراح يضحك منبهرًا منها، وأضاف:

- «في الحقيقة لم أره غاضبًا من أحد هكذا من قبل، لذا أعطاني تعليمات أن

أقتل زوجها وابنتها أمامها ميتة بطيئة ومؤلمة أولًا إذا أمكن، ثم أجلب له رأسها! ولكن لم تجر الخطة كما أردت، فالرمح الذي أصابها كان موجهًا في الحقيقة للطفلة الصغيرة!».

- «ماذا؟!» قال أليكساندر وشهاب ناكرين لذلك الفعل.

وهناك أكمل الغريب قائلًا:

- «ولكنها شعرت بي قبل ذلك، واعترضت مسار الرمح بسرعة مبهرة، وحتى في خضم القتال كنتُ أشعرُ بعينيها تبحث عني.» ثم ابتسم الغريب وقال بعينين جاحظتين مبتسمًا بشدة:

- «أوه لقد جعلت من شعر يدي يقف حقًا، ورغم أنني حاولت إخفاء نفسي، وصدقني لقد حاولت قدر ما أستطيع، إلا أنها كانت قد أحست بي منذ البداية، ولكن ولحسن حظي السم الذي كان في حد الرمح أعطى مفعوله وأخيرًا في الوقت المناسب، رغم أن السم كان يجب أن يقتلها على الفور، إلا أنها استطاعت تحمل الألم، وتغلّبت على السم لوقت قصير!».

ثم أخذ ينظر إليها ملقاة بالأرض، وأنهى خطابه الطويل بنظرات الرعب والخوف، بنبرة مجردة من المشاعر:

- «زوجتك هذه حقًا مُرعبة جدًا، مرعبة لدرجة أنها ربما تقارن به؟!» قال مُشيرًا إلى قائده.

- «أنت مجنون يا هذا!» اعترض شهاب وقد تملكه الغضب تمامًا.

فجأة رأى أليكساندر يد سمر تتحرّك وعيناها تنظر إليه معلنةً أنهما بخير دون أن ينتبه لها ذلك الغريب. لذا كان على أليكساندر تنبيه شهاب دون أن يشعر ذلك الغريب بالريبة، ولكي يحظوا بعنصر المفاجأة..

- «شهاب هل تذكر ما كانت تفعله ڤايوليت وسعاد كُل مرة نداهمهما ليلًا؟!» بدأ أليكساندر ممثلًا دور شخص يتذكرُ لمحات من حياته قبل موته.

- «ماذا؟!» اعترض شهاب باستغراب.

- «كم هذا جميل.. أن تكون آخر ذكرى لكما هي لابنتكما، كم هذا جميل حقًا! لو كانت الظروف مختلفة لدمعت عيناي.» ثم وفي لمحة سريعة تغيرت فيها ملامح أليكساندر في عيني شهاب وأشار بنظرة خاطفة إلى جهة سمر.

عندها علم شهاب المقصود ولكن كلاهما يعلم أنهما لا يستطيعان فعل شيء، وتلك الخناجر موجهة على رِقَابِ الجنود!

- «أرجوك فقط دع جنودي يذهبون، فليس لهم ذنب، لديك نحن الأربعة، أهم من في المملكة، ألا يكفيك هذا؟» وبينما كان أليكساندر يحاول إقناعه بذلك، كان يعلمُ أَنَّهُ لن يستمع إليه أبدًا، كان فقط يحاول كسب الوقت لشهاب، كي يُحذِّر بقية الجنود عن الهجوم المضاد كي يتفادوا الخناجر الموجهة على أعناقهم في الوقت المناسب.

وبينما كان شهاب على ركبتيه مطأطئًا رأسه مستسلمًا، كانَ في الحقيقة يُركز تركيزًا تامًا على تمرير أغصان صغيرة جدًا من تحت التربة باتجاه نورمان والبقية بهدوء تام حتى لا ينتبه إليه الأعداء. وكان على أليكساندر أن يكون منفعلًا قليلًا كي يجذب الأنظار إليه. وعندما بلغت الأغصانُ الصغيرة نورمان والبقية، كان على شهاب أن يكون حذرًا جدًا الآن، فيوجد أكثر من خمسة إيثاي من التايروستراث هنا وأي حركة عشوائية سيشعرون بها فورًا وسينحرون أعناق الجميع..

بدأ شهاب وبحذر شديد بجعل الأغصان تتجه إلى سطح الأرض وتنقر على ساقهم من الخلف فتلك المنطقة لينة جدًا ولن تجذب إحساس إيثاي الأرض بنقرها أو إيثاي الرياح بصوتها. وبدأ شهاب بإرسال رسالته المشفّرة إلى الجميع

بحذر، وعندما انتهى، بدأ الجزء الأصعب، ألا وهو أن يخلق إلهاءً ولو لثانيتين فقط كي يتسنّى للجنود الهرب بأعناقهم ويبدأ هو وأليكساندر هجومهم المضاد.

وبعد أن نفذت جميع الأفكار لديه كانَ الحلّ الوحيد هو إلغاء التعويذة التي ألقاها على بوابة الحديقة، هذا الحل الوحيد الذي سيعطي بقية الجنود ونورمان الوقت الكافي كي يُخرجوا أنفسهم من وضعهم الحرج. وبالفعل بدأ شهاب يهمس بين نفسه كلماتٍ غير مسموعة ولكن وفي تلك اللحظة تمكّن ذلك الغريب من سماعه وعندها بدأت النباتات التي كانت تغطي البوابة بالتحرر وجذب صوت أغصانها المتحركة أنظار الجميع لوهلة.

وفجأة صرخ الغريب آمرًا:

- «اقتلوهم جميعًا!!!».

وعندها همّ الملك أليكساندر وشهاب واستلا سيفيهما من على الأرض وبدءآ الهجوم المضاد!

قذفت سمر بذلك الغريب بعيدًا بسحر النار، وفعّل شهاب بسرعة سحره واحتوى سمر وأيار داخل شبكة أشجار نباتية كروية الشكل، وانقضّ أليكساندر بسرعة البرق على ذلك الغريب، ولكن اعترض طريقه حوالي سبعة من الداركمور دفعة واحدة واختفى ذلك الرجل مرة أخرى بين ظلمات الليل وظلال الشجر، وكأنهُ أصبح جزءًا من تلك الظِّلال. ولكن لم يدع ذلك يوقف اندفاعه أبدًا وبدأ يقاتل بكل ما أوتي من قوة ضدهم، أما شهاب فقد راح يُكمل مجزرته على بقية أولئك القتلة بكل غضب وحقد.

- «شهاب خلفك!» حذر نورمان.

- «يا إلهي نورمان هل أنت بخير؟».

- «أنا بخير.. علينا حماية الملك أليكساندر.» أجاب نورمان وجسده كان متخمًا بالجراح الكثيرة.

تمكن بعض الجنود من الإفلات بأعناقهم في اللحظة التي خلق فيها شهاب الإلهاء، ولكن قوات الأعداء لم يعطوهم مجالًا لالتقاط أنفاسهم أبدًا إذ بدأوا بتضييق الخناق عليهم، واشتد القتال مرةً أخرى.

اتجه نورمان وشهاب لمساعدة أليكساندر الذي بدأ مجزرته الخاصة بالفعل. فقبلًا كان أليكساندر يقاتل العديد من الإيثاي القتلة دفعة واحدة، ويتطلب الأمر كمًّا هائلًا وقوة كبيرة للقضاء عليهم. لذا كان قتالهم مُرهقًا بالنسبة له بعض الشيء. أما الآن...

- «شهاب لا أظن أنه بحاجة إلى مساعدتنا..» قال نورمان منبهرًا، إذ رأى أليكساندر يقاتل بطريقة وحشية لم يسبق له أن رأى أحدًا يقاتل مثلها قط!

- «ولا يهم إذا كانوا من الداركمور أم لا؟! إنهم بشر فحسب! لذا فأكبر تهديد لهم على وجه الخليقة الآن، هو أليكساندر بنفسه!» أجاب شهاب، وأضاف يبحث في المكان حوله:

- «نورمان هل ترى ذلك الشخص في أي مكان؟!».

- «لا، يبدو وكأنه اختفى تمامًا، لا أستطيع استشعار وجوده أبدًا!».

أخذ شهاب نفسًا عميقًا بعدها، ثم أخذ نظرةً واسعةً على أرض المعركة، وبدأ يُرتِّبُ أفكاره، وقال وأخيرًا بصوت واثق:

- «نورمان لدي خطة، ولكن أولًا علينا مساعدة الملكة أيار، وإبعادها من هذا المكان فورًا!».

- «حسنًا، لك هذا.» أجاب نورمان مغادرًا.

- «هل تحتاجان أي مساعدة هناك؟» نادى أليكساندر وهو يقاتل جاهدًا، وأضاف راجيًا:

- «مساعدة بسيطة ستكون حقًا رائعة!».

وهناك بدأ شهاب يشق طريقه بين الأعداء باتجاه أليكساندر بشراسة وضراوة. وعندما استوى ظهره بظهر الملك، قال أليكساندر بابتسامة حادة:

- «دعنا نفعل هذا، مثل الأيام الخوالي...».

- «لك هذا!» أجاب شهاب بنبرة قاتلة.

وبدأ أقوى فارسي القارة هجومهما المضاد والأخير.

«سمر آزر»

سمر معروفة بجرأتها وحكمتها وقوتها كذلك، فهي أيضًا أحد خريجي فرسان «ذارون» حيث التقت بشهاب زوجها هناك أوّل مرة. لبقة في الحديث، ذكية وجميلة أيضًا، فجمالها ينبع من أصل آزمر، بلونها البرونزي وقُصر قامتها الجذاب، وعينيها العسليتين، وشعرها الطويل جدًا وناعم الملمس، ولكن دائمًا ما تبقيه على شكل ضفائر طويلة. حظيت سمر بابنها الأكبر رامي في السنة الثانية من زواجها بشهاب، وهي في سن صغيرة، وأنجبت سعاد، عندما كانت الملكة أيار، حاملًا بابنتها ڤايوليت. لطالما كان الجميع يضعونها في مقارنة مع الملكة أيار، من حيث الجمال والقوة، ولكن لم يكن هذا الأمر يحظى باهتمامها أو الملكة أيار أبدًا، فهما صديقتان منذ أن وقعت أعينهما على بعضهما أو كما يقول السيد شهاب: «الوحوش تعرف بعضها».

- «أليكساندر.. اسمعني جيدًا.» بدأ شهاب خُطته وهو يحارب بجانب أليكساندر، وأكمل:

- «لديَّ خُطة، ولكنها خُطة لمرة واحدة فحسب! إذا فشلنا سوف تكون نهايتنا.».

- «هات ما عندك.» أجاب أليكساندر.

- «سوف أبني متاهة..».

- «انتظر!! هل قلت متاهة؟».

- «أجل متاهة، فقوة العدو تكمن في عددهم مجتمعين... لذا إذا فرقناهم فـ...».

«فسيكون الأمر كاصطياد فريسة داخل متاهة عملاقة!» قاطع أليكساندر.

- «كما قلت تمامًا.. وأيضًا ذلك الرجل سيكون من الصعب عليه تحديد أماكننا.».

- «لو لم نكن نقاتل الآن لقبّلت عقلك الجميل.» قال أليكساندر مبتسمًا، وأضاف يصرخُ مُقاتلًا:

- «أيها الجنوووود استعدووووا!».

ثم بدأ يحارب بكل قوته جميع من حوله دفعة واحدة، وذلك كي يتسنّى لشهاب تركيز طاقته وإنشاء المتاهة العملاقة. ولكن بينما أليكساندر يقاتل بشراسة، تمكّن شخص ما من الداركمور وأخيرًا من إيجاد ثغرة في هجومه وانقض عليه مباشرة، ولكن إذ بتلك النَّار المهيبة تخترق صفوف الأعداء، وتنقذ أليكساندر في آخر لحظة من موت محتم. عندها فتح شهاب عيناه، فهو يعلم لمن تكونُ حدّة النَّار هذه!

- «سمر ما الذي تفعلينه هنا؟!».

- «لقد أخبرني نورمان بالخطة! وهو الآن يعالج أيار ليكسبها بعض الوقت حتى يأتي كساندر.».

- «كساندر؟ وكيف له أن يعلم بما يحدث هنا؟! لا بد وأنه في طريقه إلى الشمال بينما نتحدث!» تساءل أليكساندر بتعجب.

- «لقد أرسلت في طلبه بعد أوّل انفجار حدث!» قال شهاب، وأضاف:

- «ولكن أخافُ أن الرسالة لم تصله!».

- «لا أدري، ولكن عندما أتى نورمان لمساعدة أيار استيقظت لوهلة وأمسكت بيدي قبل أن أتوجه إليكم وهمست: كساندر.. قادم أنا متأكدة.».

- «حسنًا، سوف أبدأ، احميا ظهري.» بدأ شهاب بعينين واثقتين، وبدأ بالتركيز وتجميع طاقته، بينما سمر وأليكساندر يقاتلان الأعداء من كُلِّ جهة.

نار حارقة تقطع فيها تقدّم الأعداء، وفارس بضربة سيفهِ هَزَّ كيان عدوه. كان الأعداء حقًا في موقف لا يُحسد عليه رغم أنهم الأكثرية، ولكن لم يحارب الداركمور قبلًا مع الإيثاي جنبًا إلى جنب، لذا فصفوفهم مبعثرة قليلًا، وهجماتهم غير متناسقة، والآن ما يواجهونه أمامهم هو أقوى فارس في القارة، وفي اليد الأخرى، واحد من أقوى إيثاي العصر، الذي ذاع صيته بسبب قوته وذكائه الفذ، وكذلك زوجته، التي ما زالت تُسبّب الكثير من المتاعب منذ البداية.

- «شهاب أي وقت الآن سيكون جيدًا!» صرخت سمر راجية الخلاص.

- «شهااب!!» أضاف أليكساندر بصوتٍ عالٍ، ما زال مُقاتلًا.

عندها فتح شهاب عينيه بثقة وبدأ بصوت حاد:

«روم ڤلاري ميرو كثيدريا...».

وبينما كان شهاب يلقي التعويذة، إذ بالأرض من تحت أقدام الجميع بدأت تنشق فجأة! وبدأت جذور الأشجار والنباتات تتضامّ ببعضها البعض بغية تكوين المتاهة! وأنظار الجميع اتجهت إلى حيث خطواتهم خوفًا من أن تبتلعهم الأرض تلك، ولكن.. فجأة، وقعت سمر على الأرض تلتقط أنفاسها بصعوبة فهرع شهاب على ركبتيه يصرخُ مُناديًا:

- «سمر! سمر! سمر!» صرخ شهاب وانحنى يمسك بها، وهناك زاغت عيناه خوفًا، وقال مُتردّدًا:

- «يا إلهي جسدك؟! إنه يحترق من الداخل!!».

- «لا.. لا.. تتوق...».

- حاولت سمر جاهدةً ولكن جسدها كان يغلي من الداخل. عندها رأى شهاب آثار عروق سوداء على رقبتها، وبدأ يتتبع مصدرها:

- «إنه سم! ولكن متى؟ هل يعقل!».

- «شهاااااب!» صرخ أليكساندر بِكُل صوته وهو يرى بعينيه الجاحظتين ذلك الرمح مُتجهًا إلى رأس صديقه وأخيه!

توقفت جُذور الأشجار والنباتات وأصوات تلاحم السيوف، والقتالات. واتجهت أنظار الجميع إلى ذلك المشهد المرعب ولم يصدر أي صوت أو أي حركة من أي روح كانت! وكأنّ الزمن قد توقف بالكامل! ظل شهاب ينظر إلى سمر بين يديه عاجزة، تحاول التقاط أنفاسها المتقطعة بألم، ثم توجهت عيناه الرماديتان الجاحظتان ببطء أمامه بقلق وخوف. وهناك كان يقفُ، وأمام عينيه، والرمح في جسد صديقه قد استقر. وراحت عيناهما تتبادلان النظرات في لحظة توقف الزمن فيها تمامًا. وقع أليكساندر على ركبتيه مبتسمًا وظل في مكانه يشاهد انعكاسه داخل عيني ذلك الشهاب، وهمس بنبرة الوداع:

- **«ڤا... يوليت...».**

وسقطت منه تلك القلادة التي حملت معها سرًا للمستقبل البعيد، قلادة لم تفارق عنق أليكساندر أبدًا. وأراح جبينه على كتف شهاب، ومال جسده ووقع أرضًا.

بدأ المطر يهطل وعينا شهاب لا تصدق ما تراه، صديق طفولته واقع أمامه والرمح قد اخترقه، وقد فارق الحياة.. وزوجته بين يديه تختنق على وشك الموت ولم يستطع هو حماية أي أحد منهما! واستقرت حبات المطر على خديه، وبدأت تسيل ممزوجةً بتلك الدمعة الواحدة الهاربة!

وظل ذلك الذئب الجريح في مكانه ساكنًا، ناكرًا مُستنكرًا ما تراه عيناه في صدمة وذهول، حتى كسر حاجز الزمن صوتُ ذلك الغريب!

- «حسنًا حسنًا وأخيرًا!» قال بنبرة منتصرة مستفزة:

- «عليك أن تعترف! أنا حقًا أجيد التدخل في الوقت المناسب!» أجاب ذلك الغريب فخورًا بنفسه مُستهزءًا..

وبهدوء وعينين لا يطرفُ لهما جفن، نظر شهاب إلى ذلك الغريب، ثمّ إلى صديقه ملقًى بجانبه ميتًا، وزوجته بينَ يديه تلفظ أنفاسها الأخيرة متألمة على شفير الموت، وبدأ قلبه يمتلئ بالغضب، وكيانه بالحقد، وروحه بالشر، عيناه مفتوحانِ دون أن يرتدّ إليها جفنها، مفتوحتان لا ترى سوى الظلام، ورأس ذلك الغريب بين يديه.

- «ماذا هل ستظل هكذا؟ أم ستقول شيئًا؟!» قال ذلك الغريب مُستفزًا إياه، وراح بخطوات قليلة حتى استوى أمام ذلك الشهاب الجريح، وأخذ ممسكًا بشعره الرمادي، وقال بنبرة خبيثة لعوبة:

- «أرجوك عليك الصراخ، فهكذا تجري الأمور عادة! أو ربما تجعل الأمر سهلًا علي وتجعلني أقتلك!».

وأضاف بعد ذلك مبررًا له عذره:

- «هكذا لن تشعر بالأسى والندم؛ لأنكَ كنتَ سببًا في موت صديقك وزوجتك! وأنا أرجح هذه الفكرة؛ لأنها ستُسهل الأمر علي حقًا ولا تُسبّب لي الصدا...».

فجأة، صوت جلجلة فرس أمام البوابة العملاقة جذبت جميع الأنظار إليها بلونها الأسود وشعرها المجعد وراكبها الفارس الأسود، كانت «ريث» تَصهَل وتُجلجل بكلِّ صوتها أمام الجميع، ونظرات فارسها الأسود كساندر المرعبة تتجه إلى ذلك الغريب بكل غضب وحقد وانتقام، ودبّت تلك النظرة القاتلة في قلب ذلك الغريب رُعبًا لم يسبق له أن شعر بمثله قط واقشعر جسده خوفًا ورعبًا من ذلك الفارس الأسود، وقال غير مُصدّق لما تراه عيناه الزرقاوان الجاحظتان:

- «كساندر؟؟؟!! هذا لا يمكن!!!!».

- «ثيوووووو!!!!!!» صرخ كساندر باسم ذلك الغريب، وهمّ مرتجلًا من على فرسه لقتله!

عندها، وفجأة، حطت رياح قوية عالية ساخطة وبدأت تَتشكَّل كإعصارٍ مُدوٍ وضخم وأخذت تتمركز حول نقطة معينة.. لا.. بل شخص معين!

السماء بدأت تتلون باللون الرمادي والأمطار أخذت تهطل كالسهام الحادة. الرعد يدوي بصوته، والبرقُ يضرب بقوته، وأغصان الأشجار تَتَراقص وكأنها تصرخ رعبًا وخوفًا، والأرض تهتز من تحت أرجل الجميع ورائحة الجثث المحترقة ملأت المكان.

الدماء المتناثرة بدأت تطفو في الهواء أمام أعين الجميع متجهة إلى مركز ذلك الإعصار، وأسوار الحديقة العملاقة بدأت تهتز بغضب وتنتفض من شدة الرياح، والرماح والسيوف الواقعة في أرض المعركة، تتلاحم ببعضها البعض بأصوات ملأت قلوب الجميع بالخوف والصراخ!

عندها بدأ الإعصار المهيب ذاك يبتعد مركزه عن الأرض ويرتفع فوق الجميع في السماء، وهناك أخذت الرّماح والسيوف تتجه بسرعة إلى حيثُ ذلك الإعصار في الهواء وبدأت تلتف حوله بسرعة هائلة وأعين الجميع امتلأت خوفًا ورعبًا.. فكان شيئًا لم يره أي أحدٍ منهم قبل قط، شيء لن تُصدِّقه إلَّا أعين من رأته.. فقد كان المشهد مثل حكاية مخيفة كانت تُحكى للأطفال قبل النوم من أجل إخافتهم لا أكثر من هذا!

فجأة، توقفت الرماح والسيوف عن الدوران حول الإعصار، وانقشع ضباب ذلك الإعصار المهيبِ مُعلنًا عن صانعه!

نظر شهاب إلى الأعلى فإذا بها هناك تطفو في الهواء والإعصار يمرُّ من خلالها، والرماح تحت تصرفها تسير، وعيناها موجهة إلى ذلك الغريبِ بِكُلِّ حقد وغضب وجبروت وانتقام! فجأة، إذ بذلك العبق الأسود بهالته المرعبة، يخرج من جسدها وعيناها مغطاة بالكامل باللون الأسود المخيف، وكأن قلبها وروحها، قد ملأهما الظلام ولم يُميز شهاب تلك المرأة أبدًا، فقد كانت هي الشر بعينه! ولكن كان الشرُّ هوَ مُبتغاها!

- «أيار؟!!» بدأ شهاب يُتمتم بين نفسه وقلبه قد تملكه الخوف بقدر لم يسبق له أن شعر بمثله قط. ثم نظر إلى كساندر بعينين جاحظتين مُرتعبتين، وصرخ مستوعبًا لما سيحدث:

- «لاااا تقترب!!!» صرخ بأعلى صوته محذرًا كساندر!

عندها أمر ثيو صارخًا ومتخوفًا جنوده بالانسحاب فورًا ولكن جميعهم قد خانتهم أرجلهم وتصلّبت عضلاتهم وذبل كيان روحهم تمامًا، وهم يعاينونَ ذلك الشر فوقهم يتربّص بهم متوعدًا!

وكأنك إذا نويت حتى أن تخطو خطوة واحدة، ستنتشلك من على الأرض التي تقف عليها. وفي غفلة عين وهفوة من ثيو، انقضّ شهاب عليه وأمسكه بإحكام وأمر صارخًا بكلِّ ما أُوتيَ من قوة:

- «أيااار الآن!!!!».

وابل من الرماح بدأت تغزو أجساد الجميع. ولم يكن لكساندر أي شيء لفعله، ظل واقفًا في مكانه أمام البوابة العملاقة يشاهدُ بِرُعب هول المنظر.. السماء تضرب صارخة ببرقها، والأشجار تُقتلع جذورها من شدّةِ الرّياح، والأرض تهتز من وابل الرماح. ظل ينظر للملكة أيار وإلى ما صارت إليه، وإلى ذلك الرمح المستقر في جسد الملك أليكساندر. ثم نظر للخلف، فإذا بالعاصمة مشتعلة بكاملها، وصرخات الجميع تعلو طالبة النجدة! رؤوس عن أجسادها ترتجي، وأطفال تحت الأنقاض عن أهاليهم تبتغي، وأجساد دُهست، وأعناق نُحرت، ودماء الأبرياء سُكبت على بَتَلاتِ الزهور والورود.

عندها وفي لمحة سريعة، توجهت عينا كساندر إلى السماء فإذا بالغيوم السوداء كشفت عن قمرنا المُختبي بينها! فإذا به أصبحَ قَمرًا أزرقًا شديد الزرقة!

و... فجأة، بدأ عقل كساندر بالصراخ من شدة الألم! ذكرى غريبة اعترضت حبل أفكاره ومجال رؤيته، ذكرى بدت وكأنها شخص يُردِّدُ ضَاحكًا، ووجهه مليء بالدماء:

- «انظر إلى ما فعلته يداك.. هه أنت فعلت هذا! أنت السبب!! حتى أن قومك وأهلك قد تلاعبوا وغدروا بك كي يصلوا إلى مبتغاهم! هل ترى الحقيقة الآن؟؟».

اعترض كساندر بخوف تلك الذكرى الشنيعة وقال ممسكًا برأسه متألمًا يحاول الحفاظ على نظمِ أنفاسه المتقطعة:

- «ما هذا يا إلهي رأسي؟! إن رأسي يؤلمني!!».

ثم نظر إلى الملكة أيار، وإلى بقية الرماح المستقرة في أجساد الجميع بلا استثناء. ولكن تلك الذكرى عادت وبقوة: «انظر! هذه حقيقتكم! فأنتم مجرد شياطين تقتلون وتغدرون حتى بأحبائكم فقط كي تحققوا أهدافكم الأنانية.».

ثم طفتْ إلى السطح ذكرى أخرى، ذكرى أخرى، لمائدة صغيرة مليئة، بكل ما لذ وطاب، والأطفال الصغار حولها مجتمعين، ولكن مهلًا! مهلًا! كانت الأجساد بلا رقاب! وكانت الأطباق تحمل، رأسَ كُلِّ طِفل أمامه...

وعلى الجدار مكتوب بدمائهم جميعًا... عندها أغمض كساندر عينيه، رافضًا تلك الذكرى الشنيعة! المرعبة! المخيفة!

وعندما حاول فتح عينيه، سمع ذلك الصوت قائلًا:

- «أما ما حدث هنا، أيها الفتى الصغيرُ، فكلَّه بسَبب قوتك!» ثم استوت عيناه على الحديقة فإذا بالهجوم المرعب قد انتهى. كانت الرماح قد استقرت في أجساد الجميع..

والحديقة الخضراء أصبحت حمراء، وألوان أزهارها وورودها البهية أصبحت ملطخة بالدماء.. والأشجار اقتُلعت جذورها، والأغصان خسرت أوراقها، ورائحة الدماء ملأت المكان، وكأن لم يكن لرائحة الورود والأزهار أي وجود قبل ذلك.. أصبح المكان، أرضًا ميتة.. أصبح المكان، وكأنه حكايةٌ مُرعبة.

نظر كساندر إلى الأعلى فإذا بأعين الملكة أيار السوداء تنظر إليه للحظة طويلة بغرابة، ثم أشارت نحوه بيدها وهي في السماء مازالت. وفجأة أغمضت عينيها وبدأ جسدها بالسقوط وكأن الأرضَ تُطالب بقاتلها.

صرخ كساندر مسرعًا لإمساكها ولكن قبل أن تصطدم بالأرض، إذا بسحر المايروستراث يحوم حولها ويضعها على الأرض برفق.

- «أيار! أيار! هل تسمعينني أيار!» بدأ كساندر ينادي على ركبتيه وعيناه تفيض دمعًا، وبين يديه مُمسكًا الملكة أيار.

- «أيار، أرجوك استيقظي!».

- «كك... كساندر!» حاولت الملكة أيار جاهدة.

- «نورمان! افعل شيئًا!» صرخ كساندر غاضبًا والدموع على خديه تسيل.

ولكن نورمان هز برأسه مطاطئًا أنه ليس بإمكانه فعل أي شيء أبدًا، لقد فات الأوان.

- «كك.. كسا.. كساندر!» حاولت أيار جاهدة لفظ آخر كلماتها بعناية، ولكن الكلمات كانت تأبى الخروج.

عندها أمسك كساندر بيدها ووضعها على خده ودموع عينيه تسيل على وجنتيه ممزوجة بماء المطر، وتسقط قطرة قطرة على خديها وهي تنظر إليه مبتسمةً وفي دمائها تختنق.

- «أرجوك، لا تتكلمي سوف تأتي النجدة الآن، فقط اصمدي قليلاً أرجوك.» حاول كساندر التمسك بالأمل راجيًا.

ولكنها اكتفت بالابتسام إليه ثم نظرت إلى نورمان فعلم الأخير ماذا يجب عليه فعله.

وضع يديه على صدرها وبدأ يستخدم سحره كي يتلاعب بالدماء الموجودة داخل رئتها ويسمح لها بالتنفس قليلاً، ولكي تستطيع قول آخر كلماتها.

- «ما الذي تفعله؟» سأل كساندر متهجمًا وهو يشاهدها تستفرغ دمًا من فمها فجأة!

- «أعطيها ما تريد.» أجاب نورمان بنبرة باكية وهو يحاول حبس عينيه من أن تفيض الدموع. «لذلك أنصت جيدًا.».

عندها بدأت الملكة أيار تلفظ أنفاسها البطيئة بهدوء وراحت بعينيها الزرقاوين إلى عيني كساندر وقالت مبتسمة وصوتها مهزوز النبرة تمامًا:

- «كساندر.. ما حدث لم يكن خطأك.. كان هذا خطئي أنا! لذا يجب عليك ألا تلوم نفسك أبدًا! فالمملكة الآن تحتاجك أكثر من أي وقت مضى! الإيثاي يحتاجونك الآن أكثر من أي وقت مضى!».

عندها بدأت أيار تذرف الدموع وهي خائفة تبكي بحرقة تحاول الابتسام، وعيناها تذرفُ تلك الدموع المنهمرة. ولامست عندها بكف يدها الملطخة بدمائها خده، وقالت راجية إياه بصوتٍ متألم فاقد باكي:

- «ڤايوليت.. أرجوك احمي طفلتي يا كساندر.. أرجوك!».

- «أعدك بذلك.» أجاب كساندر وسيل من الدموع على خديه يجري بلا توقف، وجسده يهتز ويرتجف من شدة البكاء.

عندها ابتسمت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقالت:

- «عليك أن تكون قويًا من أجل الجميع، من أجل ڤايوليت... من أجل...».

وهناك بدأ نور عينيها ينطفئ شيئًا فشيئًا، وقبل أن تتلامس جفونها همَسَت:

- «من أجل... ذلك الوعد...».

ووقعت يدها على الأرض مُخلَّفةً بصمات أصابعها على خده، وتلامست جفون عينيها وانطفأ نورهما إلى الأبد.

ظل كساندر في مكانه ينظر إليها غير مُصدّق لما تراه عيناه، وبدأ يهمس بين نفسه كلمات بدت وكأنه يلوم نفسه على كُل ما حدث.

- «كساندر! أفق من بأسك!» بدأ نورمان يصرخُ في وجه كساندر وهو يذرف الدموع غاضبًا.

- «ألم تسمع حقًا ما قالته الملكة الآن؟! ما حدث هنا لم يكن خطأك!! لم يكن خطأ أي أحد!».

عندها توجّهت عينا كساندر إلى السماء والغيوم الرمادية السوداء، وحبات المطر تلامس وجهه ممزوجة مع دموع عينيه الباكية. ثم أغمض عينيه لبضع ثوان، وشدّ على قلبه، وفتح عيناه إلى السماء، وأخذ يصرخُ غاضبًا مُزمجرًا بِكُلِّ قوته!

وعندما انتهى، أخذ نفسًا عميقًا، وبدأ بنظرة حادة ومرعبة:

- «أين هي ڤايوليت؟»

- «لا أدر...»

- «كساندر!» صوت ينادي من مكان ما، صوت بدا مألوفًا!

- «هل سمعت؟ هذا صوت شهاب!».

- «أجل، إنه كذلك.» أجاب كساندر باحثًا داخل تلك الأرض الميتة.

- «أين هو؟».

- «انظر، هناك قُرب السياج!».

هرع الاثنان إلى السيد شهاب لنجدته، ولكن...

- «يا إلهي! انظر إلى ذراعه!» قال نورمان متخوفًا إذ كان السيد شهاب، مقذوفًا جسده بينَ الطِّينِ والمطر، وذراعه اليمنى محترقة بالكامل!

- «ولكن كيف؟» بدأ كساندر متعجبًا.

- «لقد رأيتك مُمسكًا بـ ثيو قبل الهجوم، كيف انتهى بك المطافُ هنا؟!».

حاول السيد شهاب الكلام، ولكن كان عسيرًا عليه ذلك. وعندها ساعده كلًّا من كساندر ونورمان على الجلوس.

- «أرجوكم ساعداني على النهوض، أريد أن أرى سمر وأليكساندر.» قال السيد شهاب ووجهه مُلطخ بالدماء وعديم الملامح.

- «هل أنت بخير؟» سأل نورمان قلقًا ولكن لم يجد الإجابة.

اتجه الثلاثة إلى حيث كانت سمر، وهناك كانت الصدمة! كان جسد سمر ممددًا بجانب جسد ثيو، وثلاثة رماح قد استقرت في جسده، واحدة اخترقت رأسه، والثانية استقرت في قلبه، أما الثالثة فكانت رد الجميل في بطنه. أما سمر، فقد أصابتها عدة رماح في ظهرها، مخترقًا قلبها مباشرة.

- «عندما بدأت أيار هجومها، أنشأت شبكة من النباتات حول سمر وأليكساندر...» بدأ السيد شهاب وهو على ركبتيه يحمل زوجته بين يديه.

وأكمل بصوت مهزوز:

- «أنشأت شبكة حولهما كي لا يصلهما الهجوم! وعندها هرعتُ مُمسكًا بقاتلهما، وكان يجدر بي أن أموت معه. ولكن قبل أن يصلنا الهجوم، تحررت

سمر من شبكتها وأبعدتني مستخدمةً سحرها، وقذفتني بعيدًا باتجاه السياج.».

وعندها اتجهت عيناه الرماديتان عديمتا الملامح إلى أليكساندر والرمح المستقر في جسده، وإلى الملكة أيار الممددة على الأرض، ونور الحياة منهما قد اختفى. وبدأ شهاب مهتز الكيان يبكي ويجيب يلوم نفسه:

- «موتهم كان بسببي! فقط لأنني لم أكن منتبهًا كفاية! كل هذا بسببي!».

- «ما حدث هنا، هو خطؤنا جميعًا، ولكن موتهما من أجلك لم يكن خطأك أبدًا!» قال كساندر وراح يضع يده على كتف السيد شهاب.

وأضاف:

- «فأنتَ كُنت لتفعل لهما المثل.».

- «نورمان! ألم أقل لك أن تُخرج أيار من أرض المعركة؟!» تهجم السيد شهاب غاضبًا بشدة وعيناه تذرف الدموع وتسقط علي خدي زوجته قطرة قطرة.

- «صدقني، أردتُ ذلك!» بدأ نورمان وهو يعض شفته من الندم وعيناه مليئتان بالحسرة والقهْر، وأكمل:

- «ولكن عندما استيقظت الملكة، كان السم قد استحوذ على جسدها بالكامل، ولم يكن بيدي أي شيء لفعله! وعندما أردت أن أحملها إلى داخل القصر، شاهدت هي أليكساندر، وهو يُقتل بذلك الرمح. عندها تغيّرت ملامحها وكانت غاضبة جدًا وبدأت تتمتم بكلام غير مفهوم، وتحولت عيناها إلى اللون الأسود فجأة!».

- «شهاب لدينا أمور أهم الآن، دع الندم لوقت لاحق! علينا البحث عن الفتيات، هل تعرفُ أين هم؟» سأل كساندر.

- «إنهم برفق...»

- «أبي! ككساندر...».

التفت الثلاثة فإذا برامي مصاب بجروح بليغة، ويمشي مرتكزًا على عمود غمد سيفه.

- «رامي!» هرع كساندر لمساعدته وهو يضعه أرضًا.

- «يا إلهي عينك، ما الذي حدث؟!».

كان رامي قد خسر القتال، وكلّفه ذلك عينه اليسرى، وأصيب بطعنات أدت إلى جروح بليغة.

- «أبي! أين هي أم...».

عمّ الصمت للحظات، وشاهد رامي المشهد المرعب المفجع! شاهد أمه بين يدي أبيه ممددة، والدم كان قد تخثر! وجسدها مليء بالثقوب خلفتها طعنات الرماح. وجانب أبيه الأيمن محترق بالكامل! ثم اتجهت عينه إلى الملك أليكساندر وبدأت دائرة الندم والحسرة تسيطر عليه كما والده.

- «لقد.. فشلت!» بدأ رامي وعينه الواحدة أصبحت جامدة لا يرتد إليها جفنها.

- «لقد فشلت!».

أعاد بصوت مهزوز وجسد مرتعش مُستسلم مُسلّم:

- «لم أنقذ الفتيات، ولم أنقذ الملك، ولم أستطع حماية أمي! لقد فشلت!».

عندها أخذ رامي ينظر لمن حوله وبدأ يضحك بشكل هستيري من شدة الألم،

ومن شدّة الضعف! من شدة الحسرة والقهر! وبسرعة راح شهاب يضمّه إلى حضنه، قبل أن يُصبح ذلك الشاب مكسورًا إلى الأبد!

كساندر ظل واقفًا هناك، يشاهد بلا حراك، وجسده ينتفض من شدة الغضب والحقد، حتى كاد من حوله يشعر بتلك الهالة الغاضبة المنبعثة منه! هالة غاضبة! حاقدة! نادمة! ومرعبة! هالة تجعل الأبدان تقشعر. أما عيناه، فقد كانت تنظر للأمام، دون أن تُحدد هدفها. لا، بل كانت تلك نظرة انتقام! أما بالنسبة للهدف، فقد كان رأسه وعدًا، قطعه للملكة أيار، ولن يهدأ له بال حتى يُحقق ويوفي بذلك الوعد.

- «يا إلهي ما الذي حدث هنا؟!» سأل صوت متخوفٌ ونظرة مرتعبة، من عند بوابة الحديقة.

كان ديمون والقائد لاتيان ليد، قد وصلا، ومن خلفهما الجيش.

- «لقد وصلنا متأخرين.» أجاب كساندر بنظرة الحسرة والندم.

- «رامي! هل تعلم أين هن الفتيات؟» سأل السيد شهاب وهو ينظر إلى عين ابنه بنظرة جادة وفي نفس الوقت مكسورة.

- «الفتاتان متجهتان برفقة ميلا نحو الكوخ.» أجاب رامي وراح بعينه الواحدة اتجاه كساندر، وقال:

- «الكوخ في الغابة، وأخشى أن القاتل يعلمُ بأمر القبو والممرات الأرضية، وهو في طريقه إليهم!».

- «ديمون! هيا معي.» أمر كساندر، وهو يهم بركوب فرسه ريث، وأضاف:

- «لاتيان! أخبر جنودك أن يبحثوا عن أي مُصابينَ وإسعافهم مباشرة، وأن يأخذوا الحيطة فلربما تبقّى بعض الأعداء في الأرجاء.» وأنهى كساندر كلامه

قائلًا:

- «نورمان، سأدعُ السيد شهاب ورامي تحت رعايتك.».

- «كساندر...» أخذ رامي ممسكًا بعباءة القائد وصديقه كساندر السوداء، وقال منبهًا، بصوتٍ جاد:

- «توخ الحذر، فذلك الشخص لديه الكثير من الخدع في جعبته.».

هز كساندر برأسه موافقًا، وهمّ مغادرًا الحديقة برفقة ديمون إلى حيثُ ميلا والفتاتان.

- «أيها الجنود!» بدأ لاتيان آمرًا بصوت عال:

- «انتشروا في المدينة وابحثوا عن أي مُصابين وتوخوا الحذر جيدًا! وأريد بعض المسعفين هنا وبسرعة!» ثم أخذ يشير بيده وأضاف مفكرًا:

- «وأغلقوا حدود العاصمة كُلّها! لا أريد أحدًا يدخل أو يغادر منها، هل هذا مفهوم؟!»

- «أجل أيها القائد.» أجابَ الجنود.

- «وابعثوا برسالة إلى الجيش الأول في الشمال، وأخبروهم أن يفعِّلوا الدفاعات إلى أقصى حدودها! وتأكّدوا أن أخبار هذا الهجوم لا يصل إليهم أبدًا! هل سمعتم؟!».

- «أجل أيها القائد.».

الفصل التاسع..

الحلم

««مملكة إيثيريا»»

««العاصمة ريسيليا»»

{سابقًا..}.

- «ميلا اسمعيني جيدًا، هناك شخص ما خلفنا!» قال رامي محذرًا، وأضاف:

- «خُذي سعاد وڤايوليت واتجهي إلى القبو مباشرة، ومن هناك اسلكي الممر الغربي.. وفي نهايته ستجدين نفسك داخل غابة ما، خارج أسوار العاصمة، وإذا سلكتِ الطريق الغربي، ستصادفين أمامكِ مباشرة، كوخًا صغيرًا.».

- «كوخ من؟!» قالت ميلا، تتساءل خائفة.

- «إنّه لكساندر، اعتدنا الذهاب إليه برفقة ديمون وليون في حين رغبنا بالصيد.» قال رامي، وأضاف:

- «اختبئي هناك وانتظريني، هل سمعتِ؟ ولا تُشعلي نار المدفأة أبدًا! وإذا حصل ورأيتِ أي شخص غريب، ستجدين بعض الأحصنة مربوطة اللجام، خلف الكوخ.. اتجهي مباشرة إلى ميناء رفيد، ولا تنظري إلى الخلف أبدًا.».

- «أجل، حسنًا فهمت.. الممر الغربي، غابة صغيرة، كوخ صغير، ولا أشعل نار المدفأة أبدًا، وأتجه إلى ميناء رفيد في حال أتى شخص غريب.» أجابت ميلا

وهي تُردد الخطة بخوف.

- «حسنًا اذهبي ولا تتوقفي أبدًا.».

سعاد وڤايوليت، كانتا جسدين بلا روح، فما رأتاه قبلاً جعل أعينهما البريئة لا ترى سوى ذلك المشهد البشع المخيف، وآذانهما لا تسمع سوى صرخات تلك الأرواح التائهة المتألمة، ترتجي لحياتها كأشباح علقت أرواحها في أرض الأحياء ترجو خلاصها..

وبعد مدة طويلة، تمكّنت ميلا والفتاتان من الوصول إلى نهاية الممر الأرضي.

ووجدن أنفسهن مُحاطات بأشجار عملاقة والسماء فوقهم تضرب ببرقها، والرعد يدوي بصوته وهديره المخيف!

والأمطار تسقط كالرماح الحادة. وبعد دقائق داخل تلك الغابة الموحشة، لمحت ميلا الكوخ الصغير أمامها، بعدما أنار البرق للحظة سماء الغابة.

عندها وفي لمحة سريعة، توجهت عينا ڤايوليت إلى السماء، فإذا بالغيوم السوداء كشفت عن قمرِها المختبئ بينها! فإذا به أصبحَ قَمرًا أزرقًا شديد الزرقة!

و... فجأة، سقطت ڤايوليت أرضًا مغشيًا عليها.

- «ڤايوليت! يا إلهي أنجدني!» صرخت ميلا خائفةً تضرب بكفِّ يدها وجه ڤايوليت كي توقظها ولكن دون فائدة.

وفجأة بدأ دم يسيل من بين فخذي ڤايوليت..

- «ميلا انظري!» بدأت روح سعاد، أخيرًا بالعودة، وأضافت خائفة تصرخ:

- «انظري إنها تسيل دمًا يا ميلا؟!!».

- «هل يعقل..؟» راحت ميلا تفكر بشيء ما، ثم أخذت تحمل ڤايوليت بين يديها تحت حبات المطر، وقالت بنبرة قلقة وقلب تائه:

- «سعاد هيا بنا! الكوخ ها هو أمامنا.».

وعندما أقبلتا الكوخ، إذ بصوت أحدهم ينادي:

- «من هناك؟!» صرخ صوت رجل كبير في السن وفانوسه الصغير من على عتبة باب الكوخ، أخذ يشير به إلى الفراغ أمامه، فإذا به يرى صاحبة العينين الزرقاوين تحمل بين يديها فتاةً صغيرةً، والمطر الغزير كان قد تمكن من ثلاثتهم جميعًا.

- «سيدي أرجوك عليك أن تساعدنا!» احتجت ميلا تصرخ وتنظر عن يمينها ومن خلفها خوفًا وتوترًا.

- «ما الذي تفعلونه هنا؟!» طالب الرجل المسن بالإجابة.

- «نحن أصدقاء رامي وكساندر.» أجابت ميلا صارخةً وأضافت راجية:

- «سيدي أرجوك، دعنا نحتمي في الداخل! هناك شخص ما يريد قتلنا!».

- «كساندر؟؟!» قال الرجل المسن بنبرة حائرة وأشار لهما بالدخول بسرعة.

وعندما دخلت ميلا الكوخ، وضعت فايوليت على الأرض مُستعجلة، وأضافت آمرة بخوف!!

- «سعاد آتيني بذلك الفانوسِ الصّغير هناك بسرعة! جسد ڤايوليت يرتجف من البرد!»

قالت ميلا، وأضافت متوترةً، مُشوّشة الذهن!!

- «سيدي أرجوك أطفئ المدخنة وكُلَّ فانوس وبسرعة!»

وهمّ الأخير بفعل ذلك، لا يدري مالذي يحصل!

وهناك هرعت ميلا، مُسرعةً تحمل ذلك الإبريق، خارجًا عند عتبة باب الكوخ كي تملؤه بماء المطر ...».

- «ما الذي يحدث لها؟هل أصيبت؟!» قالت سعاد قلقة وبخوف..!!

- «ليس تمامًا...» أجابت ميلا، ويداها ترتجف محاولةً إشعال الفانوس الصغير بسحرها .. ثم راحت تأخذ الإبريق الممتلى بماء المطر، واقتربت عندها من فايوليت وأخذت ممسكة بذلك الإبريق بكلتا يديها، وبدأت تردّد:

«فارموت رويمت لاريوس كوستاس.».

عندها بدأ الماء داخل الإبريق بالغليان شيئًا فشيئًا، وأخذت ميلا تقطع جزءًا من لباسها وهمت تضعه في الماء الحار.

- «هل ستكون ڤايوليت بخير؟!» قالت سعاد وبدأت عيناها تذرف الدموع خوفًا على صديقتها.

- «أجل، ستكون بخير ياعزيزتي!» أجابت ميلا وهي تحاول إخفاء قلقها الحقيقي، وبدأت تهمس في روحها:

- «لماذا أُغشي عليها هكذا فجأة؟».

- «ما الذي يحدث هنا؟» قال الرجل المسن بعدما أطفأ جميع الفوانيس بالكوخ وأضاف خائفًا متوترًا:

- «هل قلتي إن هناك أحدًا ما يريد قتلكما؟!» ثم أكمل وهو يفتح باب الكوخ بهدوء يعاين أي غريب في المكان:

- «لقد أتيتُ فقط كي أتفقد الخيول بالخلف بسبب العاصفة والآن هناك قاتل متجه إلى هنا!!» ثم أنهى متذمرًا وهو يبحث في المكان عن أي سلاح قد يجده للدفاع عن نفسه:

- «اللعنة! كساندر لا يدفع لي كفاية من أجل هذا الهراء!».

- «أين أنا؟ ما هذا المكان المظلم؟! هل أنا ميتة؟ لماذا لا أشعر بجسدي؟ أمي! أبي.! أين أنتم؟ سعاد!!» بدأت ڤايوليت داخل ذلك الظلام العظيم تُنادي، ولكن لم تلق إلا صدى صوتها يرتد إليها في النهاية. أخذت تمشي في الظلام الحالك دون أن ترى وجهتها، خائفة تائهة!

وعندها تعثرت على شيء ما، فتحسست تحتها، فإذا بها فردة حذائها! أخذت تحمله بين يديها وأكملت تمشي وتنادي داخل ذلك الظلام الدامس وحدها، ولا حياة لمن تنادي. بدأ الخوف والرعب يسيطر على قلبها، فراحت تجري في كُل مكان، ولكن لا وجهة لسعيها، فالظلام كانَ يُحيط بها من كُلِّ جهة. وبعد مدة كانت كالدهر بالنسبة لها، سلّمت للأمر الواقع، وراحت على ركبتيها مستسلمة بدموع منهمرة، وقالت بنبرة منهزمة وقلب تائه ممسكة بفردة حذائها ذاك:

- «لقد مُتُّ أليس كذلك؟ ليتني فقط أعرف ما الذي حدث؟! هل الجميع بخير؟ أمي أبي.. هل هما بخير؟ سعاد.. هل نجت؟» وهناك بدأت عيناها تذرف الدموع الباكية ترجو الخلاص لروحها!

- «يا إلهي أرجوك لا أمانع أن تأخذ روحي، ولكن أريد فقط أن يكون الجميع بخير.» ثم وبصوت مكسور قالت نادمة على حالها بنبرة مهزوزة وقلب باك:

- «لو كنتُ فقط أقوى!! لو... لو أنني فقط استمعت لكلام أمي وتدربتُ مع سعاد لما حصل هذا! ولأوفيت بوعدي لها.. لكان بإمكاني حماية الجميع!!» وبدأت ڤايوليت بالبكاء الشديد، وصوتها يَصْدَى في المكان المظلم وحيدة.

فجأة، صوت ينادي من مكان ما داخل ذلك الظلام العظيم، صوت كسر صَدَى صوت بكاء ڤايوليت.

- «هل تريدين إنقاذ الجميع حقًا؟!».

- «من هناك؟!» صرخت ڤايوليت، خائفةً تنظر حولها وفي كل مكان، وهي تحمل بيدها فردة حذائها خائفة.

- «لقد كانت أعيننا عليكِ مُنذُ ذلك اليوم.».

- «من أنتم؟ من هناك، أظهروا أنفسكم؟!» قالت ڤايوليت وهي تلوح بفردة حذائها نحو ذلك الصوت.

- «نحنُ نَرى ولا نُرى.. نحنُ النّورُ القابع في الظلام.. نحن الماضي والحاضر والمستقبل.. نحن من وُجدنا لنردع...».

- «ااااه يا للإزعاج!! لا أهتم لهذا الهراء! قلتُ أظهروا أنفسكم وإلا ستذوقون طعم حذائي هذا!!».

- «هل تريدين حقًا إنقاذ الجميع؟» أعادَ ذلك الصوت قائلًا.

- «أجل، أريد ذلك!» أجابت ڤايوليت بنبرة هادئة وأخيرًا.

- «حتى لو تطلب ذلك بعض التضحيات؟!».

وعلى صدى وقع تلك الكلمات، توقفت ڤايوليت عن التلويح بحذائها وراحت تجلس متربعة بين نفسها تفكَّر تائهة في روحها، وقالت بعدها بصوت هادئ حزين ونبرة بريئة:

- «أريد أن أنقذ أمي وأبي أولًا.».

- «وماذا لو تطلب إنقاذك للجميع، خسارتك لهما؟ هل ستتوقفين عن حماية الجميع عندها؟».

وهناك أخذت ڤايوليت تفكر فيهما، وفي صديقتها سعاد، ميلا، السيد شهاب، سمر... ثم راحت تنظر إلى ما بين يديها، إلى فردة الحذاء تلك، وتذكرت كساندر... ثم أفصحت عما في قلبها بحزن شديد، ونبرة مهزوزة:

- «لا أريد العيش في عالم، لا وجود فيه لمن أحب... فما فائدة إنقاذ الجميع، إذا لم أستطع إنقاذ من هم عزيزون على قلب..».

وقبل أن تُكمل، اعترض حبل أفكارها خطابَ أمها الملكة أيار! وتذكّرت أولئك الأطفال، الذين كانوا في الحديقة يضحكون ويمرحون ويخبئون تلك الحلويات في جيوبهم! وتسأل نفسها عن مدى سعادتهم ببعض الحلوى التي كانت تحصل عليها هي في كُلِّ مرة أرادتها، وفي تلك الدمى القماشية التي جعلت من أرواحهم تبكي فرحًا... وكيف أنهم عاشوا أول حياتهم في خوف ورعب واختباء بينما هي كانت تعيش حياة هانئة وفي أمن وأمان! كم فقدوا من أهاليهم وأصدقائهم كي يصلوا إلى هذه المرحلة؟! كم كانت تلك الابتسامة والشعور بالأمان أمنية لهم؟ كانت هي تملكها دون أن تشعر! كم مرة استيقظوا وهم في خوف أنه وربّما سيكون هذا يومهم الأخير!

ثم تذكرت ذلك الوعد الذي قطعته لسعاد تحت تلك الشجرة، وعدها أنها ستحمي الجميع بصفتها الأميرة لهذه المملكة.

وهناك رفعت الوردة وأخيرًا رأسها، وقالت بكل ثقة:

- «لا أريد العيش في عالم، لا وجود فيه لمن أحب! ولكن أريد أيضًا أن أرى تلك الابتسامة على وجوه الأطفال مرة أخرى.».

وفجأة، إذا بتلك الشعلة أمامها ظهرت! فوقفت عندها على قدميها ومسحت دموعها وقالت بعينين واثقتين وصوت حازم وعزيمة قوية:

- «وإذا كنتُ أملك القوة لفعل هذا، فسأفعل ذلك حتى لو كلفني ذلك الكثير! فهذا ما كانت لتريده أمي أن أفعله، أنا متأكدة! وأيضًا هذا وعد قد قطعته، ولا أفكر أن أنكث به أبدًا.».

عندها ظهرت تلك الأيادي الكثيرة فجأة! وأخذت تمسك بيدي ڤايوليت وتقودها إلى حيثُ تلك الشعلة المضيئة في الظلام أمامها التي بدت وكأنها شعلة صغيرة من بعيد، ولكن كُلّما اقتربت منها، رأت حقيقة ماهية تلك الشعلة، كانت تتجسد تلك الشعلة على هيئة رجل ما! وراح ينظر إلى عينيها الزرقاوين مبتسمًا وقدم إليها يده المشتعلة التي في البداية أخافت ڤايوليت قليلًا، ولكن كُلّما اقتربت منه أحست بتلك الطمأنينة والراحة العارمة، وفي نفس الوقت، أحست بتلك القوة تتخلل جسدها الصغير.

وقبل أن تُلامس ڤايوليت يدها تلك الشعلة أو ذلك الغريب، قال وعينه قد ذرفت تلك الدمعة الواحدة:

- «أرجوك أنقذيه...».

وعندها تبدد الظلامُ العظيم وتلاشى تمامًا وكأن تلك الشعلة التهمت ذلك الفراغ المظلم في اللحظة التي تلامست يداهما معًا.

- «أنقذ من؟؟» استيقظت ڤايوليت تصرخُ مُردّدة وهي تحاول الحفاظ على نظم أنفاسها المتقطعة.

- «أنقذ من؟!».

- «ڤايوليت! لقد استيقظتِ أخيرًا!» بدأت سعاد وهي تحتضن ڤايوليت بين ذراعيها وتبكي فرحًا!

- «يا إلهي، هل أنتِ بخير؟» هرعت ميلا تحتضن ڤايوليت خائفة.

- «ڤايوليت.. لماذا تبكين؟» قالت سعاد متعجبة.

- «أبكي؟! ولماذا أبكي؟» وهناك أخذت ڤايوليت تمسح بيدها على عينيها فإذا بها تذرف الدموع لا تدري لماذا أو كيف حصل هذا.

- «ڤايوليت! أخبريني هل حلمتِ بشيء ما غريب؟» سألت ميلا وهي تنظر إلى عيني ڤايوليت بقلق.

- «أجل..» أجابت الصغيرة مشوشة الذهن.

- «هل وجدتِ أن بإمكانك التلاعب بعنصر ما، كالرياح مثلًا أو شيء؟».

- «لا.. أقصد أجل، ولكن..!» أجابت حائرة تحاول التذكر.

- «ولكن ماذا؟».

- «لقد وجدتُ نفسي في مكان مظلم جدًا! ولم يكن حولي أي شيء أو أي أحد! ورحتُ أمشي وأمشي إلى ما لا نهاية داخل ذلك الظلام المخيف، حتى ظننت أنني مُتُّ!».

- «ماذا؟» قالت ميلا بتعجب واستغراب.

- «وعندها سمعت صوتًا ما يناديني وفجأة خرجت تلك الأيادي تقودني إلى مكان ما.. لا أتذكر جيدًا ما حدث، ولكن بدأ كل شيء غريبًا جدًا، في تلك اللحظة!».

- «صوت ما يناديك؟» سألت سعاد بتلك العينين الفضوليتين.

- «هل تتذكرين ما قاله لك ذلك الصوت الغريب؟» قالت ميلا.

- «لقد سألني إذا ما كنتُ أر...».

- «ششش! هناك أحد ما بالخارج!» قال الرجل المسن منبهًا، ثم هرعت ميلا تطفئ نار الفانوس بسرعة. وأخذ المسن ينظر إلى الخارج من النافذة الصغيرة بهدوء وحذر، وقال منصتًا للحظة إلى الفراغ أمامه بنبرة هادئة جدًا:

- «هناك شخص ما بالخارج.».

- «لا بد من أنه رامي.» قالت سعاد متفائلة.

- «سعاد! ششش! انتظري!» اعترضت ميلا وهي تتمعن النظر من النافذة.

وبعد ثوانٍ معدودة لمحت شخصًا ما يَتَسَلَّلُ من بين أشجارِ الغابة وقالت مسرعة خائفة:

- «هذا ليس رامي! علينا الخروج من هنا، وبسرعة هيا!!!».

- «ماذا؟ ولكن رامي..» قالت سعاد وهي تُحاوِلُ ربط الأحداث ببعضها.

- «رامي بخير، أنا متأكدة من هذا، ولكن الآن علينا الخروج من هنا وبسرعة!» قاطعت ميلا أفكار سعاد قبل أن تصل إلى الاستنتاج الأخير والتي هي أيضًا خائفة من صحته.

- «من هنا، هيا...» أمر المسن وذهب بهم من الباب الخلفي للكوخ نحو الأحصنة بالخلف.

وبخطوات صامتة في الأرض المبتلة والأشجار المتراقصة والمطر المتساقط على ورق الشجر، هرع الأربعة بهدوء خارج الكوخ بحثًا عن خلاصهم من ذلك القاتل الغريب!

- «حسنًا إذًا..» بدأ المسن قائلًا عندما أقبلوا الإسطبل الصغير وأضاف بعجلة:

- «هنا ثلاثة أحصنة، سآخذ واحدًا، وسأستدرجه بعيدًا عن هنا، بينما أنتم تهربون بعيدًا، هل فهمتم؟!».

وافقت ميلا برأسها وهمست بهدوء وهي تحاول تحرير لجام الحصانين:

- «سعاد أنتِ فارسة أفضل من ڤايوليت، لذلك ستأخذين هذا الحصان لوحدك، وأنا وڤايوليت سنأخذ الآخر.».

- «هي، وأنا أيضًا!» احتجت ڤايوليت غير راضية، ولكن بنظرة حادة واحدة من ميلا، انصاعت ڤايوليت لكلامها وأن هذا ليس وقت التحدي.

ساعد المسن ميلا وڤايوليت أولًا ثم سعاد في ركوب حصانهما، وأمرت بعدها قائلة بعينين حذرة:

- «سعاد! ابقي بجانبي هل سمعتِ؟».

هزت سعاد برأسها موافقة. وقبل أن يهم الاثنان بالرحيل، إذ بذلك الفأس يطير من بينهما ويستقر في رأس ذلك المسن أمامهما وانتهى به الأمر ميتًا في لحظتها.

هاج الحصان خوفًا، وفقدت سعاد توازنها ووقعت من على حصانها على رأسها مباشرة. وفور أن اصطدم رأسها بالأرض، فقدت وعيها وبدأت تنزف دمًا!

- «سعاااااد!!» صرخت ڤايوليت مستنجدة، ولكن إذ بذلك الغريب يظهر من بين ظلال اللَّيل، مُصوبًا فأسه الآخر عليهما!

لم تعلم ميلا ماذا يجب أن تفعله، لا وقت كافٍ لنجدة سعاد، ولا وقت للتفكير حتى! فأخذت الأخيرة تمسك بعنان لجام حصانها، وقادته بعيدًا وعيناها تذرف الدموع متأسفةً نادمة.

- «سعاااااد، علينا مساعدة سعاد!!» صرخت ڤايوليت باكية وعيناها جاحظتان من الخوف.

- «لقد فات الأوان!! علينا الهروب يا ڤايوليت!» صرخت ميلا وهي تحاول البقاء صامدة متزنة ولكن نظرات عينيها تعكس القلق والخوف في قلبها، وراحت تهمس في سرها:

- «يا إلهي. ما الذي يجب أن أفعله؟ هل علي الرجوع وقتاله؟ ولكن حتى رامي لم يكن ندًا له! فما الذي بإمكاني فعله أنا؟».

وبعد لحظات، إذ بخطوات سريعة تقترب منهما بسرعة. التفتت ميلا خلفها، فإذا به ذلك القاتل راكبًا حصان سعاد متجهًا إليهما بسرعة، حاملًا فأسه الملطخ بالدماء الكثيرة!

- «علينا أن نسرع... ڤايوليت تمسكي جيدًا.» قالت ميلا بينما ڤايوليت كانت تجلس أمام ميلا مقابلة لها.

وفي تلك اللحظة، رأت ڤايوليت ذلك القاتل راكبًا حصان سعاد فبدأ رأسها يؤلمها والذكريات تتدفق من جديد، وما قالته تلك الأصوات لها: - «هل تريدين إنقاذ الجميع حقًا؟!».

واستوت عندها عيناها الزرقاوانِ الحادتان على ذلك الغريب وكل ما كانت تراه هو قاتل صديقتها!

فأخذت تُشير بكف يدها اتجاهه، وفي تلك اللحظة، أحست ميلا بطاقة ڤايوليت المنبعثة والحقد في قلبها، وصرخت قائلة:

- «ڤايوليت! ما الذي تفعلينه؟!».

فجأة، قذف ذلك القاتل بفأسه نحوهما، وكانت فأسه موجهة إلى ظهر ميلا مباشرة! وقبل أن تخترقها، إذا بتلك النيران العظيمة تأكل فأسه بالكامل! وتبعه هجوم آخر من ڤايوليت، إذ أمطرت عليه نيرانًا جعلت من المطر المتساقط يتبخّرُ من شدة حرارتها. ولكن تمكن القاتل ذاك، من تفاديها بصعوبة، وأعطى ذلك ميلا الوقت الكافي للهروب، وتوسيع المسافة بينهما.

- «إذًا لقد حصلتِ على عنصر النا...».

- «سوف.. أنقذ.. الجميع!» قاطعت ڤايوليت ميلا بصوت مهزوز وعينان ناعستان ومن ثم وضعت رأسها على حضنها وفقدت الوعي.

- «لا بد وأنكِ استخدمتِ كمًّا كبيرًا من السحر في مرتك الأولى! علينا أن نسرع فهذا لن يؤخره طويلًا!».

أكملت ميلا، ومضت مسرعةً إلى ميناء رفيد مباشرة.

- «كساندر، ها هو الكوخ أمامنا.» بدأ ديمون..

- «ديمون توقف!» بدأ كساندر محذرًا وأشار إلى باب الكوخ:

- «انظر، إنه مفتوح!».

- «لا أستشعر وجود أي أحد داخل الكوخ!» أجاب ديمون.

ترجل كساندر وديمون من على أحصنتهما، واستل كلّ واحد منهما سيفه. واتجها متسللين بحذر شديد إلى الكوخ أمامهما.

المطر بدأ بالتوقف، وأخذت الغيوم تكشف عن سمائها ونور القمر بدأ يستعيد هيمنته بنوره الأخّاذ، وقوارض الغابة تتسلل خارجة من جحورها الصغيرة. وبطرف سيفه لامس كساندر الباب بهدوء فاتحًا إياه ثم أخذ ينظر في المكان ونور القمر الخافت مُتسللاً الكون يُنير القليل.

- «لا وجود لآثار اقتحام! ربما فُتح الباب بفعل الرياح القوية فحسب..» قال ديمون متسائلًا.

- «لا.. انظر لقد كانوا هنا.» أجاب كساندر، وأضاف يتفحص المكان حوله:

- «انظر إلى الأرض المبتلة، وإلى الفانوس بجانبه!» ثم أخذ كساندر بيده مُتحسّسًا حرارة الفانوس و... هرع كساندر فجأة وبسرعة إلى الخارج كي يُسلّط ضوء القمر على يده وهو يتحسس ذلك السائل الثقيل بخوف:

- «دم.! يا إلهي.».

- «ماذا؟».

- «يوجد بقايا دم على الفانوس! يبدو أن إحدى الطفلتين قد أُصيبت.» أجاب كساندر بصوت حاد وأضاف بنبرة قلقة:

- «علينا التحرك بسرعة فهم لم يبتعدوا كثيرًا، ما يزال الفانوس دافئًا.».

وبنظرة واحدة من كساندر، تفرّقا بحثًا عن آثار أقدام حول الكوخ وإذا كانوا مطاردين من قبل أكثر من شخص.. وعندها تلاقى الاثنان أمام إسطبل الأحصنة، فإذا بهما في صدمة مفجعة! رأوا تلك الطفلة ممددة على الأرض بجانب ذلك المسن ميتًا!

- «سعاااد!!!» صرخ كساندر يجري محتضنًا إياها بينَ ذراعيه وعيناه جاحظتان تمامًا، وبدأ يتحسس عن أي نبض وأمل:

- «سعاد!! سعاد!! أرجوك استيقظي!» أكمل يصرخُ ويداه مُلطختان بدمائها البريئة!

- «كساندر..» قال ديمون بنبرة هادئة وقلب عابس:

- «لقد تأخرنا... انظر لقد نزفت الكثير من الدماء.».

- «لا لا ليس مرة أخرى!» حاول كساندر بقلب مكسور إيقاظها ولكن دون فائدة...

- «ك... كك... كساندر!!» نطقت الطفلة الصغيرة متألمة بألم.

- «سعاد! يا إلهي..» أخذ كساندر سعاد بالأحضانِ يذرف الدموع فرحًا.

- «ولكن كيف؟» قال ديمون مذهولًا:

- «بهذا الكم من الدّماء، لا يجدر بها أن.. اه يا إلهي ما الذي أقوله؟! يجب أن أكون ممتنًا.».

- «كساندر.» قالت سعاد مترنحة حائرة وأضافت بنبرة تائهة:

- «لا أشعر أنني بخير، رأسي يؤلمني جدًا، ما الذي حدث؟».

- «لا تقلقي كُل شيء سيكون بخير.» أجاب كساندر مطمئنًا إياها، وأضاف يجلسها:

- «ديمون، هل يمكنك معالجتها؟».

- «لستُ متقنًا لتعويذة العلاج، ولكني سأفعل ما بوسعي! سعاد، هل تعلمين إلى أين هما متجهتان؟ ڤايوليت وميلا! فلست أرى الأحصنة في أي مكان!».

- «لقد كنا متجهين إلى الميناء، فقد أمرنا أخي رامي...» فجأة صرخت سعاد والخوف مرسوم على وجهها:

- «رامي! أين رامي؟! لقد قال بأنه سيلحق بنا؟! كساندر أين أخي؟!».

- «لا تقلقي رامي بخير، وعلى ما يرام أعدك!» أجاب كساندر يطمئنها وأضاف:

- «أخبريني الآن أين هما؟ علينا اللحاق بهما بسرعة قبل أن يصل إليهما أولًا.».

- «أخبرنا أخي أنه إذا رأيتم أي شخص غريب يتجه نحوكم، اتجهن مباشرة وبسرعة إلى ميناء رفيد.».

- «يبدو أن رامي توقع الأمر، إذًا فإذا توجهن إلى الميناء ستتقاطع طرقهم معنا.» قال ديمون.

- «في أسوأ الأحوال سيكون هذا القرار الصائب الوحيد.» أجاب كساندر وأضاف يقف على قدميه، بنظرة حادة ونبرة متوعدة:

- «ديمون احرص على معالجتها، ثم ارجعها إلى العاصمة، وأنا سأتكفل بذلك الوضيع بنفسي!».

- «لك هذا.».

عندها وبصفير عال، استدعى كساندر فرسه ريث. وقبل أن يهم بالرحيل...

- «كساندر!» -نادت سعاد متكئة على ظهرها بينما يعالجها ديمون:

- «ڤايوليت.. لقد حلمت الحلم!».

استقبلت سعاد كلماتها بعينين جاحظتين من كساندر! وصمت غريب دام للحظة بدت وكأنها دقائق!

- «لا تقلقي.» هذه كانت الكلمات الوحيدة التي قالها كساندر بملامح غريبة، وهو يهم بالرحيل مبتعدًا عنها.

الفصل العاشر..

اللقاء وأخيرًا

«قصر الألماسة»

- «أيتها المناشدة!! أيتها المناشدة الأعلى!» راحت امرأة ما تنادي بأعلى صوتها مرتعبة.

- «ماذا هناك يا ڤايلا؟ لماذا تجرين في المكان هكذ...».

- «لقد حدث مُجددًا يا نور!!! لقد حدث مجددًا!!!» صرخت ڤايلا والخوف قد أعمى عيناها الزرقاوين.

- «علي إخبار المناشدة بذلك!» قالت وجسدها بدأ يرتجف تمامًا.

- «ما الذي تقصدينه؟ ما الذي حدث مجددًا يا ڤايلا؟!» قال نور وأخذ ممسكًا بكتفيها، كي لا تقع:

- «الختم!! لقد حدث مجددًا يا نور!!».

- «ماذا؟! هل أنت متأكدة؟!» أجاب نور وعيناه جاحظتان لا تصدق ذلك أبدًا.

- «لقد رأيته بأم عيني!» قالت ڤايلا، وهي تصف شعورها بعينين تائهتين وكيان مهزوز:

- «ذلك الظلام المرعب توهّج غاضبًا! ذلك الحضور المخيف! وكأنه يغرس مخالبه داخل قلبك، ثمّ يدبُّ فيه الرّعب والخوف! لم أستطع حتى أنا الوقوف بجانبه يا نور!» أجابت ڤايلا والخوف تخلل جسدها المرتعش وعيناها مرعوبتان مما رأتاه! وأنفاسها المتسارعة يكاد يُغمى عليها من شدّة خوفها.

- «ما الذي يحدث؟ لماذا الآن تحديدًا؟!» قال نور بقلق ترسم في عينيه وراح بهدوء يجلسها أرضًا.

- «عليّ أن..» حاولت ڤايلا التقاط أنفاسها المتسارعة خوفًا بانتظام:

- «علي أن أخبر.. المناشـ...».

وبراحة كفَّ نور، أسند رأسها على عباءته بعد أن فقدت وعيها تمامًا من شدّة وهول ما رأته.

- «ما الذي يحدث؟!» هرع نور مسرعًا إلى غرفة المناشدة الأعلى. وبينما هو في طريقه بين ممرات القلعة الكبيرة والمحاطة بالنوافذ العملاقة، ونور القمر يضيء بنوره الخافتِ تلك الممرات الواسعة، إذ به يرى تلك النفوس المرتعبة حوله، والخوف على محيا وجوههم جميعًا!

بدأ نور يطرق الباب على غرفة المناشدة الأعلى ولكن دون إجابة. ثم أخذ بيده ماسكًا مقبض الباب راغبًا الدخول ولكن عندها فُتح الباب فجأة وإذا بها تقف أمامه!

- «أمي! أقصد أيتها المناشدة الأعلى، لقد...».

- «أعلم.. هيا بنا.» كانت تلك الكلمات هي التي قاطعت المناشدة آرسا بها ابنها بوجه عديم الملامح تمامًا!

وبينما هم في طريقهم إلى قبو القصر، لاحظ نور تعابير وجه أمه وقبضة يدها المحكمة وكأنها تحاول إخفاء تعابير وجهها القلقة.

- «هل يمكنك الشعور بذلك يا نور؟» بدأت المناشدة الأعلى..

- «أجل، شعرت بشيء مشؤوم!» أجاب نور وأضاف حائرًا قليلًا:

- «في البداية ظننتُ أنه بسبب الإعصار الثلجي، ولكن الآن كلما اقتربنا من ذلك المكان أشعر.. بالخوف!!» قال بنبرة مهزوزة مُتردّدة!

وهناك أجابته المناشدة آرسا، مُذكّرةً إيَّاه:

- «هذا الشعور هو إجابتك على سؤالك، هل تتذكر؟».

- «ولكن لم أتوقع...»

- «هذا هو ما نحن هنا من أجله يا نور.. من أجل إيقاف ذلك الشيء وحماية الجميع!» قاطعت المناشدة كلام ابنها نور وعيناها تتجه إلى ذلك الباب الأسود في نهاية ذلك الممر المظلم المخيف أمامهما حتى أن نور القمر يخشى أن يُسلّط ضوءه على ذلك الباب!

وبخطوات حذرة، توجّه نور ووالدته المناشدة الأعلى آرسا إلى أسفل القبو حاملًا بيده شمعدانًا صغيرة. وكلما اقتربا من ذلك الشيء القابع تحتهما، أحسّا بتلك الرهبة والطاقة الملعونة المخيفة في أسفل أمعائهما!

حتى أن نور توقف للحظة يستجمع فيها نظم أنفاسه المتقطعة، وهناك استوى كلاهما أسفل القبو الملعون ذاك! كان القبو ليس كأي قبو آخر، في العادة يكون القبو صغيرًا بعض الشيء، ولكن هذا القبو كان كبيرًا جدًا، وكأنه ساحةُ رقص كبيرة، ومحاطًا بستة أعمدة عملاقة يستند عليها، وغطت تلك الأعمدة رسومات ونقوشًا قديمة. أما في سقف القبو العملاق ذاك الذي بدأ

وكأنه قبةٌ سماوية، فكانت تُغطيه رسمة كبيرة جدًا لمائدة صغيرة مليئة بكل ما لذ وطاب، من الأكل. وحولها أطفال، تبدو عليهم السعادة والفرح... أما في أرض القبو، فلم يكن هناك سوى تلك البلورة الثلجية العملاقة! بلورة عملاقة محاطة بسلاسل عملاقة من كل مكان. وكأنها سجن لشيء لا يجب له أن يغادرها أبدًا!

- «نيراي!» نادت المناشدة الأعلى نائبتها وصديقتها نيراي.

- «لا أظن أن باستطاعتنا احتواءها أكثر من هذا!» بدأت نيراي، وأضافت قلقة:

- «انظري إلى الشق حول الكتاب، لقد ازداد حجمه وبدأ الختم يضعف شيئًا فشيئًا.» -قالت نيراي وعيناها السوداوانِ فاضحتان لخوفها تمامًا كما البقية.

وأضافت:

- «لقد استدعيت جميع الإيثاي الأقوياء الموجودين في القصر، ولكن انظري إليهم الآن! يرتعشون خوفًا من طاقة ذلك الكتاب!».

كانت البلورة الثلجية العملاقة تحوي بداخلها كتابًا أسود، مجرد النظر إليه، تستطيع الشعور بمدى خطورته! أما بالنسبة لطاقته، فقد كانت لعنة على من يستطيع الشعور بها! لذلك كان جميع من في القصر أجسادهم ترتعش خوفًا ورهبة من تلك الطاقة المرعبة بينما نور لم يكن من الإيثاي لذلك لم يشعر بها مباشرة.

أخذ نور بعينيه يتمعن أولئك الإيتاي الأقوياء القلة يتناوبون احتواء تلك الطاقة المظلمة وقد استُنزفت طاقاتهم حتى أن بعضهم لم تستطع أرجلهم تحمل ضغط ذلك الختمِ وحضوره المرعب والمخيف ووقعوا أرضًا.

- «الطاقة المنبعثة من الكتاب تتسرب من ذلك الشق الصغير..» قال نور وهو يُعاين بتمعن تلك البلورة وأضاف:

- «وكأن الكتاب يغرس طاقته بين تشققات البلورة كي يُضعف الختم مُريدًا الخروج!».

- «بل وكأنها منارة تستنجد بأحدٍ ما ليخلصها من هذا الختم.» أجابت المناشدة وهي تنظر إلى ذلك الكتاب بحقد وخوف.

- «ولكن لماذا الآن؟ لماذا بعد اثنا عشر سنة؟!» قالت نيراي في حيرة تتساءل.

- «لا أدري، ولكن علينا أن نَصمد ونحتوي تلك الطاقة.. لا بد لنا من ذلك!» قالت المناشدة آرسا وعيناها لم تفارق ذلك الختم أبدًا!

وأنهت بنبرة حذرة وعينين عديمتا الملامح تمامًا:

- «وإلا سنطلق الشّر الأعظم على هذه الأرض إذا تخاذلنا الآن! فهذا هو ما وُلدنا من أجله.. وهذا ما بُني من أجله قصر الألماسة.».

«مملكة إيثيريا»

«العاصمة ريسيليا»

{خارج الغابة..}.

كان كساندر قد غادر الغابة محاولًا اللحاق بڤايوليت وميلا، متتبعًا آثارهما. أصبحت الأرضُ مُشبعة بماء المطر بعدما توقف، وآثار الأحصنة المرسومة على الطين المبلل، أصبحت واضحة للعيان مما سهل لكساندر معرفة الاتجاه الذي سلكوه.

- «لقد اقتربنا.. الميناء يقع خلف هذا التل.» بدأت ميلا وهي تحتضن ڤايوليت ألا تسقط بيد واحدة، والأخرى تقود بها الحصان.

ولكن وقبل أن تصعد إلى ذلك التلّ، إذ بها تسمع ضربات خطوات حصان خلفها يعدو بكل سرعته. أخذت ميلا تلتفتُ خلفها فإذا به ذلك القاتل، وفي مرأى عينها أصبح!

ومن دون مقدمات أخذ ذلك الرجل برمي خناجر مُدببة نحوهما، وقبل أن تدرك ميلا التل، أصابت أحد الخناجر ساق الحصان فوقع أرضًا! وسقطت ميلا بقوة على جانبها تحتضن ڤايوليت بين يديها تحميها..

ترجَّل ذلك الرجل من على حصانه وأخذ مشهرًا خنجره نحوهما مقتربًا بخطوات حذرة:

- «يبدو أن الحظ قد نفد لديكما!» بدأ ذلك القاتل، بخطوات صغيرة من ميلا وڤايوليت، ولكن لم يلقَ جوابًا، وكأنها فقدت هي الوعي أيضًا بعد سقوطها القوي! عندها أخذ القاتل مشهرًا خِنجرهُ، على ظهر ميلا راغبًا قتلها، وقال:

- «هل تعلمين شيئًا! أظنني سأبدأ بالأميرة الصغيرة أولًا، ثم آخذ وقتي معكِ ونستمتع كلانا، وعندها ربّما أعفو عن حياتك!».

وفي اللحظة التي لامست يده جسد ميلا راغبًا إياها أن تُخَلّي سبيل ڤايوليت من بين أحضانها كي يقتلها، إذ بيد ميلا تحكم قبضتها على وجهه وتحرقه بنيرانها كتنين ينفث نارًا! صرخ الرجل مبتعدًا ونصف وجهه الأيسر كان قد احترق بالكامل! وراح يغرس وجهه في الطِّين المُبلل من شدّة الألم!

- «هل تظن أنني سأسمح لك بقتلها بهذه السهولة أيها اللعين؟؟!!» قالت ميلا واقفة على رجليها تنظر إليه يفتر بوجهه في طين الأرض.

- «أيتها الساحرة اللعينة!» صرخ ذلك الرجل يستعيد قوامه شيئًا فشيئًا، وأضاف حاقدًا ولحم وجهه قد احترق بالكامل:

- «سوف أجعلكِ تشاهدينني وأنا أقتلها ببطء بعد أن أغرس كلَّ خناجري في جسدكِ تمامًا كما فعلتُ به! وأجعلكِ تسمعين صراخها البائس أيتها النجسة!!» ثم أخذ يضحك بشكل هستيري كمجنون ما، وأنهى تهديده قائلًا:

- «لقد رأيتُ ما الذي فعلته تلك الطفلة بفأسي!» ثم راح ينظر إلى ڤايوليت ممددة على الأرض مغشيًا عليها وقال:

- «تلك الطفلة هي ساحرة مثلك!».

- «سوف أشعل الأرض التي تقف عليها قبل أن أجعلك تمس شعرةً منها أيها الوغد!!» أجابت ميلا بنبرة حادة مخيفة، وبنظرة مرعبة هدفها القتل ولا شيء غير القتل.

وبدأ القتال بينهما في أرض خضراء لزجة... السماء أمست صافية، وهدير الرياح أصبحت نسيمًا هادئة، والهدوء انكسر سكونه على قتال الاثنين، قتال سيحدد مصيره ومصير هذه المملكة، ساحرة كما يزعم هو، وقاتل بلا مشاعر

كما تزعم هي، والجائزة هي طفلة صغيرة في عالم الأحلام سارت، لا تدري ما حولها وما الذي يجري، ما هو مستقبلها؟ وما الذي ينتظرها؟! وهل ستكون هي المتحكمة في مستقبلها وقراراتها؟ أم أصبحت مسيَّرة وليست مخيَّرة؟ أم أن قدرها قد كُتِبَ بالفعل!

القتال بين الاثنين أصبح بشكل ما بفضل هجوم ميلا المفاجئ متكافئًا. الرؤية بالنسبة له أصبحت شبه منعدمة، أما بالنسبة لميلا فجانبها الأيسر قد تضرَّر بشدة! وأثر ذلك على طاقتها وجسدها، إذ كان استخدام قوتها يستنزف طاقة كبيرة منها.

- «أظن أن لدي أضلاعًا مكسورة!» بدأت ميلا بين نفسها تعرج، ممسكة بيدها اليمنى على جنبها الأيسر وتقاتل بيدها الأخرى.

- «علي أن أنهي القتال بسرعة وإلا ستكون نهايتنا.».

خناجر تقذف في الهواء، ونيران تعترضها. أصيبت ميلا بأحد الخناجر في كتفها الأيسر، وألم لا يطاق في جسدها.

- «أظنّ أنّكِ قد وصلتِ حدّكِ أيتها الساحرة الشيطانة.. يبدو أن (الأسمى) بجانبي هذه المرة أيضًا.» قال الرجل وهو يعي أن ميلا قد وصلت حدودها، وأنها ليست محاربة متمكنة من الأساس..

عندها أخذت ميلا تكح من خارج فمها دمًا فجأة وكادت أن تقع أرضًا، وهم في تلك اللحظة ذلك القاتلُ مُنقضًا عليها غير مُبالٍ لدفاعاته المفتوحة.

وفي لحظة سريعة، استندت ميلا على ركبتها اليمنى وأخذت نفسًا عميقًا مشيرة بيدها اليسرى اتجاهه، وهجمت بكل ما تبقى لديها من قوة.

...

...

- «ما هذا الصوت؟» بدأ كساندر، منتبهًا لصوت ما:

- «أتى من ذلك الاتجاه!» هرع كساندر مسرعًا خائفًا مما قد سمعه، واستوت عينه اتجاه ذلك التل فإذا به يرى جسدًا مُشتعلاً وصرخات تستنجد لحياتها!

- «ڤايوليت!! ميلا! ريث هيا بسرعة!».

...

...

أخذت ميلا تتنفس أنفاسًا صغيرة وبسرعة مخيفة، وراحت بيدها تنزع ذلك الخنجر عن كتفها الأيسر.

- «اااااء.» صرخت ميلا من شدة الألم ثم أخذت تحاول الوقوف على قدميها وهي تحاول الحفاظ على نظم أنفاسها المتقطعة، وقالت بعدما أخذت نفسًا واحدًا عميقًا جدًا، بنبرة حادة وعينين قاتلتين:

- «ألم أقل لك أنني سأشعِلُ الأرضَ التي تقف عليها قبل أن أجعلك تمس شعرة منها؟!!».

ووقفت تنظر إليه بتلك الأعين المنتصرة الحاقدة، إذ كان جسد الرجل يحترق بالكامل والأرض حوله لم تسلم من نيرانها أبدًا! وظلت ميلا تشاهده يحترق وانعكاس جسده المشتعل في عينيها، وصرخاته طالبًا النجدة منها..

وبينما اعتلت أصوات صرخاته، وهو يفرك جسده في الطين كي يُطفئ تلك النيران، أخذت ميلا أحد الخناجر من على الأرض وراحت تقطع جزءًا من لباسها، وأخذت تلفه حول جانبها الأيسر وكتفها الملطخ بالدماء. ثم راحت بعينيها تنظر إليه وإلى صرخاته المزعجة:

- «هيي أنت!! ألم يقل لك أحد أن صوتك مُزعج للغاية!!» قالت ميلا، بنبرة حادة متجهة نحوه بتلك النظرة المرعبة، ثم أخذت تُثبّت جسده أرضًا بقدمها، وراحت تنظر إليه بأعين الموت القاتلة تلك وقالت قبل أن تغرس ذلك الخنجر وتقتله:

- «لن أدع أحدًا، يَمُسُّ شعرة منها وأنا على قيد الحياة!!» وغرست الخنجر بكلتا يديها في قلبه.

- «ميلا!!» بدأ كساندر مُرتجلاً من على حصانه بعد أن رأى ذلك المشهد وجسدها المثخن بالجراح. -

- «ميلا؟»

- «كساندر! لقد أتيت.» أجابت ميلا وهي لا تصدق ما تراه!

ثم بدأت بالبكاء الشديد والنياح:

- «لقد ظننتُ أنّني سأموتُ يا كساندر، أين كنت؟!» ثمّ أخذت تحتضنه بقوة تبكي بلا توقف.

وبابتسامة بدت عليها الطمأنينة والراحة بعد أن رأى أنّ كلاهما على قيد الحياة، قال كساندر:

- «أنا آسف.. لقد تأخرت يا ميلا.» وأخذ بيده يضمها إليه بكل قوته:

- «أنتِ بأمان الآن.».

ولكن ميلا استمرت بالبكاء بشدّة، وهناك تذكرت ميلا شيئًا دب في قلبها الخوف:

- «كساندر، سعاد...»

- «لا تقلقي إنها بخير.» قاطع كساندر خوفها وردد كلماته مرة أخرى كي يطمئنها:

- «كلاهما بخير،» مشيرًا إلى رامي.

أحست ميلا بارتياح شديد ولكن ما زال الذنب لم يفارقها حتى الآن.

- «كساندر..» قالت ميلا بعدما هدأت قليلًا.

- «ڤايوليت، لقد حلمت الحلم!».

- «أجل، لقد أخبرتني سعاد بذلك.» ثم أخذ كساندر بيديه ممسكًا كتفي ميلا، وراح ينظر إلى عينيها الزرقاوين بكل جدية، وقال:

- «ميلا.. علينا التحدث.».

كانت تلك النبرة الحادة والنظرة الجدية كفيلة بإخبار ميلا ما قد حدث، ولكن كان لكساندر الكثير لقوله.

الفصل الحادي عشر..

النبوءة

«مملكة إيثيريا»

«العاصمة ريسيليا»

{داخل قصر لينمارد..}.

- «هل السيد شهاب بالداخل؟» بدأ ديمون مُمسكًا بيد سعاد.

- «أجل، إنّهُ كذلك.» أجاب مُعلّمه نورمان، متكئًا على عصا خشبية وجسده مثخن بالجراح والضمادات الحمراء الكثيرة.

- «أبي!!» هرعت سعاد تحتضن أباها الممدد على الفراش وجسده مليء بتلك الحروق الأليمة.

- «أيها المعلّم نورمان..» قال ديمون مخاطبًا معلمه عند عتبة الباب وأضاف بنبرة راجية:

- «عليك أن تنال قسطًا من الراحة!».

- «لن أرتاح أبدًا حتى أرى الأميرة بخير!» أجاب نورمان مُكابرًا الآلام الكثيرة.

- «سعاد عزيزتي هل أنتِ بخير؟!» بدأ السيد شهاب محتضنًا ابنته المصابة وكُله شوق.

- «لا تقلق، لقد وقعت من على الحصان لا أكثر م...».

- «سعاد!!» قاطع صوت من خلفهما، لقاء الأب بابنته! عندها التفتت سعاد إلى ذلك الشخص والفرحة على محيا وجهها بالكامل!

- «رامي!!» هرعت سعاد تحتضن أخاها المقعد على كرسي خشبي متحرك، وأكملت بكل فرح وسعادة:

- «أنت بخير!».

- «حسنًا لن أقول أنني بخيرًا، ولكن أنا الآن كذلك.» أجاب رامي مُبتسمًا وهو يحتضن أخته وأخيرًا.

- «ااء احذري!!» اشتكى رامي متألمًا من حُضن أخته له بقوة.

- «ااء.. آسفة.» اعتذرت الطفلة الصغيرة مبتسمة.

- «ما الذي حدث لرأسك؟» سأل رامي.

- «لقد وقعت من على الحصان..».

- «ماذا؟! ولكنكِ جيدة في ركوب الحصان، لقد أخبرني ديمون بذلك.» احتج رامي مبتسمًا رغم الألم.

- «ظننتني كذلك، ولكنني بخير الآن بفضل ديمون.» أجابت سعاد، ثم راحت تأخذ نظرة على الغرفة بأكملها تتساءل.

- «هل وجدتم الأميرة؟!» بدأ السيد شهاب مخاطبًا ديمون.

- «عندما وصلنا إلى الكوخ كانت الأميرة وميلا قد اختفتا.. وأخذ كساندر يتتبع أثرهما بينما كنتُ أعالج أنا سعاد..» أجاب ديمون وأضاف مكملاً:

- «لا بد من أنه في الطريق إلى هنا برفقتهما بينما نتحدث.. فلابد أن ذلك الرجلَ مُصابٌ من قتاله الأخير مع رامي، لذلك لا أظن أنه سيكون ندًا لكساندر

أبدًا.».

- «أرجو ذلك!» قال رامي راجيًا.

- «أبي.. أين هي أمي؟» هنا سألت الطفلة تبحث عن أمها في غرفة ملأَها النَّدم والحسرة!

سألت سؤالًا لم يجرؤ أحد على إجابته، وانساقت أنظار الجميع إلى الأرض بكلِّ غضب وندم وقهر.. محاربون ذاع صيتهم من شدّة قوتهم، وأغاني كُتبت بأسمائهم مخلّدة ذكراهم إلى الأبد، ومع ذلك لم يستطع أحد منهم الإجابة على ذلك السؤال.

- «أبي، أين هي أمي؟!» للمرة الثانية أخذتِ الطفلة تردّد سؤالها ولكن دون إجابة. أخذت تلك الطفلة تنظر إلى أخيها المُقعد على ذلك الكرسي لا حول له ولا قوة ورأت تلك النظرة التي كانت كقصة تحكي كُلّ ما جرى، قصة أرادت لها نهاية سعيدة، ولكن القدر كان أشد قسوة من أن يمنح تلك الطفلة البريئة اللطيفة، النهاية التي أرادتها.

دامَ الصّمت أكثر من اللازم وجميع الأعين تتجنب رؤية عيني الطفلة مخافة من أن يكون أحدهم سببًا في كسر قلبها الصغير. عندها وبصوت مهزوز وقلب مكسور وعين كانت قد قرأت نهاية تلك القصّة الحزينة على محيا وجوه ونظراتِ الجميع، أخذت الطفلة بيد أبيها ترتجي الإجابة:

- «أبي، أين هي أمي؟!! أرجوك أخبرني! أرجوك يا أبي أين هي أمي؟!».

وبنظرة واحدة إلى عيني طفلته، كانت كفيلة بأن تكسر قلب تلك الصغيرة إلى الأبد!

نظرة واحدة كان ألمها أقوى وأحدّ من السيف والسكين. حاولت الطفلة التقاط أنفاسها المتقطعة بصعوبة، وأرجلها لم تستطع تحمل وزن ما بقلبها

وروحها فوقعت على الأرض تحارب من أجل أنفاسها وبيدها على قلبها قابضة. تصرخُ وبصوت عالٍ تبكي! صوت بكاء يقشعر له الحجر من شدّة ألمه!

عندها قفز رامي من على كرسيه المتحرّك يزحف أرضًا يرتجي أخته وأنظار الجميع تحاول البقاء صامدة متزنة! كان ذلك المنظر أشبه بكابوس ملأ قلوبهم حسرة وندمًا! وكأن هذه الطفلة ودموعها كانت وستبقى وصمة عار على ذكرى قلوبهم إلى الأبد. أما الأب فبقبضته مُمسكًا الفراش عاجزًا عن فعل أي شيء لابنته الممددة على الأرض، غاضبًا حاقدًا على نفسه كارهًا حتى! نادمًا ومتحسّرًا يلوم نفسه على ما حصل!

يحاول البقاء صامدًا متزنًا، ولكن تلك الدموع المنهمرة على خديه كان لها رأي آخر.

عندها وبلمسة كف يده على كتف رامي، قال ديمون بصوت خافت:

- «رامي.. لقد فقدت الوعي.. يجب أن تنال هي قسطًا من الراحة فقد فقدت الكثير من الدماء!».

ونادى ديمون عندها على أحد الحراس كي يأخذ الطفلة إلى غرفتها ترتاح، بينما كان رامي باسطًا ذراعيه في الهواء، مهزوز الكيان لا يدري ماذا يفعل! وأخذ يُردّد بين نفسه كلمات بدت للجميع، وإن كانت غير مسموعة أنها كلمات ندم وضعف!

وفي وسط هذه الأجواء الخانقة المكتومة، والمليئة بالندم، دخل الغرفة القائد لاتيان، وقال:

- «سيد شهاب، لقد تم القضاء على بقية الأعداء وتم نقل المصابين منهم إلى زنزانة القصر، وهم تحت الاستجواب الآن بينما نتحدث.».

أخذت الأنظار تتجه إلى ذلك الرجل المكسور بكُل ما تعنيه الكلمة، على

فراشه، ولكن دون إجابة.

- «سيد شهاب!» أعاد لاتيان منبّهًا.

- «سيد شهاب! ماذا نفعل الآن؟» اعترض نورمان ولكن لا حياة لمن تنادي.

- «أبي؟!» نادى رامي والده وبصوت عال أرجع رُشد والده إلى حيث مكانه.

عندها راح السيد شهاب ينظر لمن حوله وإلى ابنه المقعد وأخذ نفسًا عميقًا جدًا! ثم أغمض عينيه للحظة يستجمع فيها أفكاره المبعثرة وبدأ:

- «ماذا عن المواطنين؟».

- «لقد أسعفنا جميع المصابين تقريبًا، ولدينا بعض الناجينَ تحت الأنقاض ما زلنا نحاول استخراجهم، ولكن أخشى أن يكون لدينا العديد من الوفيات تحت أيدينا!» أجابَ القائد لاتيان.

- «كساندر ألم يأتِ بعد؟!».

- «لا ليس بعد.» أجاب ديمون.

- «حسنًا إذًا، علينا أولًا ترتيب أولوياتنا. اسمعوني جيدًا..» قال السيد شهاب محاولًا الجلوس مطالبًا انتباه الجميع:

- «علينا أولًا احتواء هذه المصيبة بيننا وبين جدران هذه العاصمة! فنحن لا نريد أن يصل خبر سقوط العاصمة إلى أعدائنا أو حتى بقية مواطني هذه المملكة- على الأقل حتى نجد الأميرة.. ثانيًا.. سنذهب للبحث عن الأميرة الآن وبسرعة! لذا سأذهب أنا بنفسي برفقة ديمون وبضعة من الجنود للبحث عنهم.. هل هذا مفهوم؟».

أجاب الجميع موافقًا وأنهى كلامه قائلًا:

- «أيها القائد لاتيان.. سأترك الباقي لك، أرجوك اعتني بهم.».

- «لا تقلق، سأتكفل بكل شيء هنا، اذهبوا ولا تعودوا إلا برفقة الأميرة.».

عندها همّ السيد شهاب محاولًا الوقوف، ولكن نورمان اعترضه قائلًا:

- «شهاب يجب عليك الاسترخاء أرجوك! دعني أذهب أنا!».

وفي تلك اللحظة بنظرة عينيه الرماديتين المتألمة، حاول السيد شهاب راجيًا صديقه أن يسمح له بالذهاب:

- «نورمان أرجوك، علي فعل هذا! علي فعل هذا من أجلها!!».

كانت تلك الكلمات رغم تعاستها وحزنها، إلا أنها كانت ذا أثر قوي على قلبه وقال:

- «حسنًا.. سأذهب معك.».

- «لا نورمان أرجوك! علي فعل هذا لوحدي، وأيضًا أنا أحتاجك هنا بالفعل إذا طرأ أمر ما!».

- «شهاب لقد كان صديقي أيضًا! علي فعل هذا، ولقد عاهدتُ نفسي أني لن أرتاح حتى أرى أن الأميرة بخير!» اعترض نورمان.

عندها للحظة طويلة، امتدت فيها أنظار الصديق إلى صديقه، وقال الأخير:

- «حسنًا إذًا، على الأقل اتكئ على كتفي حتى تصل إلى حصانك.» قال نورمان، وأضاف وهو يقود صديقه:

- «أنتَ حقًا ما زلت عنيدًا كعادتك..».

- «وأنتَ ما زلت أنت.» أجاب شهاب صديقه بابتسامة صغيرة.

عندها وبأمر من السيد شهاب، ركب الجميع أحصنتهم واستعدوا للذهاب؛ بحثًا عن الأميرة المفقودة.

- «لقد توقف. هل تشعرون بذلك؟» بدأ نور وهو ينظرُ إلى ذلك الختم بتمعن.

- «أجل، أستطيع الشعور بذلك.. وكأن الهواء أصبح أخف وجسدي مرتخيًا تمامًا.» أجابت نيراي وأضافت متذكرة الماضي:

- «تمامًا كما حدث في المرة السابقة، ولكن الآن أصبح أقوى بكثير! والسؤال الأهم لماذا توقف الآن؟!».

- «لا أعلم، ولكن إذا كان ما حدث الآن أقوى من المرّة الأولى، فلا أظن أننا سنتمكن من احتوائه في المرة القادمة.» قال نور وأنهى:

- «وكأنه يُصبحُ أقوى مع مرور الوقت!».

- «ليس تمامًا..» أجابت المناشدة آرسا وأضافت بنبرة جادة:

- «نور.. نيراي.. هل لي أن أراكما في غرفتي على انفراد؟» ثم أخذت تنظر إلى بقية الإيثاي المتعبين والمرهقين بشدة، وقالت:

- «اذهبوا، ونالوا قسطًا من الراحة.. وشكرًا لكم على ما فعلتموه هنا حقًا.» وعندها وبنظرات حادة، قالت مُحذرة بنبرة صارمة:

- «لا أظن أنني يجب أن أقول لكم أن تبقوا ما حدث هنا سرًا، أليس كذلك؟!».

كانت تلك النبرة الحادة المخيفة كافية كي ينصاع الجميع إلى ما قالته المناشدة بلا أي اعتراض. فهي لن تسمح بتجاوز الحدودِ أبدًا، فرغم أن جميع الإيثاي

داخل قصر الألماسة هم مختارونَ بعناية وموثوق بهم، إلا أن هناك بعض الأمور والأسرار معرفتها مقصور فقط على قلةٍ من المختارين الأوفياء جدًا!

وأيضًا ليس سراً على الجميع أن هناك شيئًا ما ذا طاقة ملعونة يقبع تحت سراديب القصر، ولكن ما حدث قبل اثنا عشر سنةٍ كان كفيلًا بأن يجعل ذلك القبو مكانًا لا تجرؤ روح أن تطأ قدمها عليه، أو أن تُفكّر حتى في محاولة استكشاف ما يقبع داخل ذلك القبو! وأيضًا يحظى القبو بحراسة مُشَدّدَةٍ على مدار اليوم.

.

قصر الألماسة كان بين العامة مُجرّد خرافة أو حكاية تُحكى للأطفال قبل النوم عن قصر ثلجي جُدرانهُ أصفى من الماء وصلابته أقوى من الفولاذ. ومناراته تصل إلى أعالي السحب مُلامسة أبواب السماء. إذا ارتقيت أعلاها لفقدت الإحساس بجاذبية الأرض ولظننت أن روحك بدأت تطير من هول وجمال وروعة المنظر! ولكن تبقى هذه مُجرد حكايات وخُرافات لا أكثر..

أم هي كذلك؟!

بين العامَّة كان قصر الألماسة مُجرّد أسطورة وحتى بين الإيثاي أيضًا، فرغم الإشاعات المتداولة عبر السنين حول وجود هذا المكان من عدمه بين مُجتمع الإيثاي، كان هناكَ قلَّة فقط من المحظوظين الأقوياء والمختارين بعناية من الإيثاي للدخول إلى قصر الألماسة. وعلى مر العصور، كان هذا القصر هدفًا لكل الباحثين عن العلم والتاريخ والسحر. فتكمن قيمة قصر الألماسة في مكتبته العملاقة المليئة بالكتب التي كتبها علماء الإيثاي عبر التاريخ... كتب عن أصل قوة الإيثاي، وأساس الروح، وكذلك كتب عن تاريخ خارطة هذا العالم، وتجارب علمية سُجلت على مر التاريخ، ولكن أُخفيت عن الناس، لأنها كانت خطيرة بما يكفي لتزعزع أمن العالم بأسره. لذلك تم إخفاؤها وطمسها من التاريخ في هذا المكان كي لا تقع في الأيادي الخطأ! فرغم أنها أدوات صُنعت بهدف مساعدة النَّاس، إلَّا أن خطرها أعظم من نفعها إذا تحصلت عليها أيادي الشر.. أو كما يقولون: «السلاح ليسَ خطرًا بحد ذاته، بل يُصبح خطرًا على حسب نوايا حامله.»، ولكن التاريخ كان الدرس الأفضل لما يُمكن للبشر فعله إن وقعت أياديهم على هذه الكُتب والأدواتِ مرّة أخرى. لذلك أصبح القانون الأول والأهم هو عدم دخول أو اقتراب أي بشري من هذا القصر!

وعلى مر الأجيال حاول المناشدون واحدًا تلو الآخر إبقاء أمر القصر سرًا حتى أصبح مع مُرور الزَّمن مُجرّد خرافة لا أكثر.

وبالأخير يبقى ما يقبع داخل سراديب القصر هو أساس والسر الذي بُني من أجله هذا القصر، وعلى الجميع حماية العالم بما يقبع أسفل ذلك القبو مهما كلف الأمر!

- «ما سأقوله لكما هنا يجب ألا يغادر هذه الغرفة أبدًا! هل سمعتما؟» بدأت المناشدة الأعلى آرسا مخاطبة ابنها نور، وصديقتها نيراي، وكُلّها قلق.

- «آرسا، ماذا هناك أخبريني؟» قالت نيراي وهي تعاين قلقلها ثم تتبادل نظرات الحيرة مع ابنها نور.

للحظات كانت المناشدة الأعلى تحاول تجنب النظر إلى عينيهما كما أن نور لم يرَ والدته بهذه الحالة من قبل! تُقلّب يديها على بعضها، تفكر وتفكر وتفكر.

- «آرسا؟!».

- «أمي ماذا هناك أخبرينا؟».

عندها أخذت المناشدة الأعلى، تشدُّ على قبضتها، وتنفست ذلك النفس العميق، مُغمضة عينيها، وراحت تجلس على الكرسي أمامهما، وبدأت بصوت هادئ وعينان حادتان:

- «على مر العصور كان هناك سرٌّ، مرَّره كلُّ مُناشد إلى الذي يليه.. سر يحكي

حقيقة هذا المكان!».

- «هل تقصدين الختم؟!» قال نور.

- «ليس تمامًا..» وهنا نظرت إليهما بنظرات جادة عندما قالت:

- «إنها نبوءة قالها من بنى هذا المكان، وأخشى أنها قريبة! لا، بل قد بدأت بالفعل منذ اثنا عشر عامًا..».

- «من الذي بنى هذا المكان؟ ونبوءة ماذا؟!» قالت نيراي ونور وهما يتبادلان نظرات التساؤل والتعجب في حيرة.

أخذت آرسا بعدها نفسًا عميقًا وقالت مُقتبسة:

- «سيأتي زمان تقشعر له الأبدان ثلاثة.. سيصرخ من سجنه راغبًا الخروج.. وسيستنجد بمخلصه بعدها بكل غضب وجبروت.. وهناك ستُراق تلك الدماء البريئة، بغية الاحتفال بوصوله وأخيرًا... ولكن... احذروا ذلك الغريب!».

- «لم أفهم! من الذي سيصرخ؟» بدأت نيراي متسائلة.

- «من هو الغريب؟» أكمل نور.

- «لا أعلم.» أجابت المناشدة آرسا، وأضافت تكمل:

- «على مر الأجيال لم يعرف أحد ماذا كانت تعنيه هذه الكلمات! ولكن أظنني بت أعرف الآن ما الذي تعنيه أو بالأصح ما الذي يعنيه الجزء الأول من النبوءة فقط، وإذا كان ما أظنه صحيحًا، فعلينا البحث عنه الآن وبسرعة.».

- «من تقصدين بالبحث عنه؟» سألت نيراي.

- «نور! عليك أن تبحث عنه مهما كلَّف الأمر! فقد كان صديقكما مُنذ الطّفولة أنتَ وثايلا!» أجابت آرسا.

- «هل تقصدين؟؟» اعترضت نيراي ونبضات قلبها بدأت بالتسارع.

- «أجل، علينا البحث عن {نايف} وبسرعة!».

- «لا نعلم حتى إن كان حيًا من الأساس..» احتج نور وأضاف:

- «لقد اختفى وعمره إحدى عشرة سنة! وما علاقته بالنبوءة أيضًا؟».

وهنا نظرت إليهما آرسا وقالت وقلبها يحمل ذلك الثقل العظيم على روحها:

- «لكي أخبركما بذلك، عليّ أولًا إخباركما بما حدث قبل سبعمائة عام.. {700 عام} حيث بدأ كل شيء.. وما علاقته بما حدث قبل اثنا عشر عامًا أيضًا.».

«مملكة إيثيريا»

«العاصمة ريسيليا»

{في الغابة..}.

- «هنا انظروا..» بدأ ديمون برفقة السيد شهاب مشيرًا، وأضاف:

- «لقد وجدنا سعاد مغشيًا عليها هنا.. وهذه آثار كساندر بلا شك تقود إلى الغرب باتجاه الميناء.».

- «هيا بنا.» أمر السيد شهاب واتجه بعدها ومن معه إلى خارج الغابة، اتجاه ميناء رفيد.

وبعد لحظات أصبح التل أمام أعينهم وهناك رأوها ممددة وحيدة ومنحورة رقبتها! وبجانبها رجل محروق وجهه، وأحد الخناجر الصغيرة كانت قد استقرت في قلبه!

- «يا إلهي ما الذي حدث هنا؟ انظروا إلى كُلّ هذه الدّماء!» بدأ أحد الجنود.

- «هذه الحروق.. لا بد وأنها ميلا!» قال ديمون مرتجلاً من على حصانه وهو يمعن النظر في جثة ذلك الرجل.

- «بما يعني أن كساندر وصل متأخرًا.» قال السيد شهاب مستنتجًا، وأضاف:

- «أهذه أحد أحصنتنا؟».

- «أجل، إنها أحد الأفراس التي كانت خلف الكوخ.» أجاب ديمون.

- «يبدو أن هذا الرجل تمكن من اللحاق بهما مما جعل ميلا تضطر إلى

مواجهته بمفردها!» قال السيد شهاب وهو يتمعن ساحة المعركة الصغيرة تلك، وأنهى قائلًا:

- «وبطريقة ما، تمكّنت من هزيمته...».

- «لماذا لم تنتظر قدوم أحدٍ ما؟» تساءل ديمون.

- «لا بد وأنها قد أُصيبت أو الأميرة ولجأت إلى الميناء طلبًا للمساعدة أو ربما أصابها الخوف فقط.» قال شهاب وأكمل:

- «أما كساندر فيبدو أنه قد وصل متأخرًا وأراح هذه الفرس من عذابها وقتلها، واتجه بعدها إلى الميناء.. انظر..» قال شهاب مشيرًا بعينيه:

- «هناك آثار حصانين متجهة إلى الميناء.».

- «ولكن لا يوجد معالج كفء في الميناء..» أجاب ديمون.

- «دم الفرس قد تخثر مما يعني أن كساندر كان هنا منذ فترة طويلة واتجه إلى الميناء، ولكن يبدو أن شيئًا ما قد حدث منعه من العودة! وأرجحُ الأسوأ وهو أن إحدى الفتاتين قد أصيبت وهو ينتظر قدومنا وبرفقتنا معالج كفء.» هكذا وبسرعة حلل السيد شهاب الموقف بأكمله وأمر الجنود من خلفه:

- «هل يوجد بينكم معالج متمكن؟».

- «أجل سيدي، هنا.» أجاب أحد الجنود.

- «حسنًا إذًا، علينا الإسراعُ، هيا بنا.».

عندما وصل السيد شهاب ومن معه إلى الميناء كان المكان في حالة فوضى عارمة بسبب العاصفة، والجميع في حالة هيجان بسبب أمر ما. عندها نادى ديمون أحد الصيادين أمامه من فوق حصانه:

- «هيه أنت! ما الذي يحدث هنا؟».

أجاب ذلك الرّجلُ والغضب يعتري حاجبيه الكثيفتين العريضتين:

- «لقد أتلفت العاصفة مُعظم سفننا وقواربنا وعندما انتهت وأخيرًا، أردنا البدء في تصليح الأضرار لصيد الغد، فالفجر ليس ببعيد! والآن يأتي شاب ما ويدعي أنه قائد الجيش يأمرنا بالتوقف عن العمل! وألا تغادر سفينة واحدة أو قارب الميناء! ولم يقل لماذا حتى!» قال غاضبًا، وأنهى:

- «وذلك الغر الصغير، ينتظر مِنا أن نفعل كما يأمر! كيف لنا إذًا أن نُطعم أطفالنا وعائلاتنا ها؟!».

- «أيها العم هل لك أن تُخبرني أين هو ذلك الشاب؟» استأذن السيد شهاب الرجل الكبير.

- «إنه حيث النَّاسُ مُجتمعون هناك قرب المرفأ!».

- «شكرًا لك.. هيا بنا.».

وسط تلك الجموع الكثيرة والهتافات الغاضبة والأصواتُ تتعالى هنا وهناك- وفي وسط هذه المعمعة كان كساندر وحيدًا، والنَّاس من حوله غاضبة:

- «كيف لك أن تمنعنا من عملنا ها؟».

- «هناك عائلات تعتمد علينا، وسوق العمل سيسقط إذا لم نعمل!!».

- «كيف سنطعم أطفالنا!».

- «انتظر حتى يسمع رئيسي بهذا سوف يقطع لسانك أيها الغر الأبله...».

وغيرها من الاعتراضات والهتافات الغاضبة..

وعندها نطق أحدهم من بين الحشود وقال:

- «هل صحيح ما يُقال أن العاصمة قد اجتيحت من قبل الداركمور؟».

عندها عمّ الصمتُ تمامًا واتجهت الأنظار إلى ذلك الصّياد في تعجب وتساءل.

- «لقد أخبرني أحد أصدقائي أنه رأى وسمع صوت انفجارات ودخانًا يعلو جدران العاصمة!».

من ذلك الرجل اتجهت الأنظار إلى كساندر مباشرة في صمت تنتظر الإجابة، وعندها نطق من مكان ما في الخلف، صاحب العينين الرماديتين وقال بصوت جهور:

- «هذا صحيح ولكن كُلُّ شيء تحت السيطرة الآن.. لدينا جيش الملك ثورنهارت كما رأيتم قبلًا، وهم يحرسون العاصمة الآن بينما نتحدث، ولقد تمكنا من القضاء على جميع الدخلاء وقبضنا على الكثير منهم، ولكن لقد فر البعض ولا بد لهم من اللجوء إلى هنا للهرب!» قال شهاب، وأضاف مبررًا بذكاء:

- «فهو المكان الوحيد الذي يمكنهم فيه الهرب منه! ففي الشّمالِ يتمركز جيشنا ولن يستطيعوا عبور الحدود إلى مملكتهم، لذلك هذا المكان هو الأنسب لاختبائهم...».

هكذا أقبل السيد شهاب وأكمل فارضًا رأيه بنبرة حادة وصوت جهور وهو يمشي بين الحشود إلى حيث كساندر وقال:

- «ويبدو لي أنكم تعارضون هذا! لذا فليس لي خيار سوى أن أعتبر عصيانكم

هذا خيانة للملك بما يجعلكم متواطئين مع الأعداء، وهذا سبب أكثر من كافٍ بالنسبة لي كي يُنفّذ عليكم السجن المؤبد أو حتى الموت!!».

وبهذه الكلمات وهذا التهديد انصاع الجميع وأغلقت الأفواه وخضع الناس... فالجميع هناك يعرف من هذا الرّجل صاحب العينين الرماديتين والشعر الرمادي الداكن. إنه مُستشار الملك المحنّك وأقوى محارب العصر.. إنه السيد شهاب روان آزر.

وتفرقت بعدها الحشود كلها.

- «كساندر، أحسنت صنعًا بإغلاق الميناء..» قال السيد شهاب بجانب كساندر، وأضاف مخاطبًا:

- «أيها الجنود اسمعوني جيدًا.. لا تدعوا أي سفينة أو قارب يغادر الميناء مهما حصل. وابقُوا يقظين فلربما يختبئ العدو في مكان ما هنا أو داخل أحد المستودعات.. هل هذا مفهوم؟».

- «حاضر سيدي.».

- «كساندر أين هما الفتاتان، هل أُصيبتا؟! لقد جلبت معي معالجًا.» أكمل السيد شهاب وأمرَ مُناديًا:

- «أيها المعالج، تعال إلى هنـ...».

عندها وقبل أن يُكمل السيد شهاب كلامه، إذ بتلك الإجابة تصعق جسده من قدمه إلى آخر شعراته:

- «لا أثر لهما هنا..».

- «ماذا؟؟؟ ما الذي تقوله يا كساندر؟!!» اعترض شهاب وعيناه جاحظتان لا تُصدّق الأمر بتاتًا!

عندها اقترب كساندر من شهاب وأخذ يهمس بحذر:

- «عندما وصلت، وجدتُ ذلك الرجل مقتولًا بأحد خناجره ورأيتُ آثارًا تتجه إلى الميناء، ووجدت هذه أيضًا...» قال كساندر مشيرًا إلى فردة حذاء طفلة صغيرة!

- «هل هذه؟؟؟».

- «أجل، إنها لڤايوليت.. وجدتها وأنا في طريقي إلى هنا وعليها آثار دماء حديثة، بما يعني أنها قد أصيبت! لذلك ظننتُ أن ميلا جلبتها إلى هنا كي تطلب المساعدة ولكن...».

- «ولكن ماذا يا كساندر؟!!» اعترض شهاب بصوت حاد وتائه.

- «عندما وصلت إلى هنا، لم يرهما أي أحد أبدًا، وأخذت أسأل في المكان ولكن دون فائدة، فلم يرهما أحدًا، والغريب أنني وجدت حصانهما عند بوابة الميناء! بما يعني أنهما هنا ولكن يبدو أن هناك شيئًا ما حدث جعلهما يختبئان من الجميع! أو ربما ظنت ميلا أنها ما زالت مطاردة لذا اختبأتا في مكان ما هنا!» أجابَ كساندر، مرجحًا أسوأ الاحتمالات وأكمل:

- «لذلك أخذتُ أصرخُ في المكانِ مُعلنًا عن اسمي وبصوت عالٍ لعل وعسى أن تتمكنا من سماعي وتطمئنّا، وعندها سيخرجان مباشرة، ولكن لا فائدة.. وهناك أقفلت الميناء تحسبًا لأي أمر ما.».

- «ما الذي تقصده لأي أمر ما؟».

عندها اتجهت أعين كساندر السوداء الواسعتان، تنظر إلى المحيط المظلم أمامهما وانعكاس عينيه يعكس انعكاس المحيط للقمر، وقال بنبرة اشتياق ووداع:

- «لدى ميلا قلبٌ عطوف حقًا.. ربما تكون حمقاء قليلًا، ولكنها قوية ولن تدع أي مكروه يصيب تلك الفتاة الصغيرة أبدًا! حتى لو عنى ذلك فعل شيء أحمق كأخذها بعيدًا! ميلا ليست غبية أبدًا ولا بُدَّ وأنها تعلم بأمر الملكة وربّما الملك أيضًا...».

- «لماذا تظن أنها ستفعل شيئًا كهذا؟» قال شهاب يتساءل وعيناه لم تفارق كساندر.

عندها اتجهت عينا كساندر إليه وتغيّرت من نظرات عطف واشتياق إلى نظرات تصميم ونضال، وقال وهو ينظر إلى الرّجل صاحب العينين الرماديتين بصوت حاد:

- «لأن ذلك بالتحديد ما كنتُ لأفعله!».

- «لنرجو إذًا، أنها حمقاء كافية، ألا تفعل ذلك!» أجاب شهاب، وعيناه عديمتا الملامح تمامًا، وأضاف:

- «علينا أولًا، أن نبقي خبر اختفاء الأميرة سرًا ونستخدم...»

- «ونستخدم عذر اختباء الأعداء لصالحنا، كي نبحث في جميع المنازل والمستودعات بلا استثناء...» أكمل كساندر مقاطعًا السيد شهاب.

- «تمامًا كما قلت.» أجابَ السّيد شهاب وأمر الجنود ومن معه بالاقتراب قائلًا:

- «علينا إبقاء ما حدث للملك والملكة سرًا الآن... على الأقل حتى نجد الأميرة ڤايوليت! لو علم أحد ما أن الأميرة مفقودة، وأن الملك والملكة قد قُتلا، سوف يدب الرعب في أرجاء المملكة وسيأخذ العدو ما جاء من أجله، ألا وهو الفوضى! وربما الأسوأ وهو أن نجعل على رأس الأميرة هدفًا.».

عندها أكمل كساندر وقال:

- «سوف نبحث في كُلِّ منزلٍ وكُل مستودع ولن نترك إنشًا واحدًا دونَ تفقّده حتى نجد الأميرة، هل هذا مفهوم؟».

- «أجل سيدي.».

- «ديمون ابقَ واحرس البوابة الخارجية للميناء ولا تدع أحدًا يدخل أو يخرج منها أبدًا.».

- «لك هذا.».

- «أما أنا فسأذهب مع السيد شهاب..».

عندها وبصوت عالٍ أمر السّيد شهاب ببدء عملية البحث عن الأميرة المفقودة ڤايوليت وميلا:

- «هيا بنا أيها الجنووود.».

<<مملكة آزمر>>

<<مدينة كاران>>

وفي الجانب الآخر من المحيط، وفي أحد أحياء مدينة كاران، يتواجد أحد الحانات المشهورة جدًا يُدعى بالهدير.. وفي هذا الوقت المتأخر من الليل، كان هناك حفنة من المشاغبين الشبان يحتفلون بأمر ما، ويشربونَ حَدَّ الثّمالة. ومن حولهم الراقصات والمعازف لا تتوقف، والليلة كانت في أوج حماسها..

- «هيه يوهان!» بدأ لينورد أحد أصدقاء يوهان، وأضاف يترنح من شدّة ثمالته.

- «هل اكتفيت ببضع كاسات فقط؟!».

- «لقد اكتفيت حقًا!!» أجاب يوهان ضاحكًا.

- «هل تمزح؟؟ نحن لم نبدأ بعد!» احتج لينورد مترنحًا.

- «لم تبدأ بعد؟ لقد أنهيت جميع الكاسات والبراميل لوحدك، وتقول لم نبدأ بعد!» أجاب توماس جالسًا على كرسيه ضاحكًا.

- «توماس أيها اللقيط اغرب عني، لقد كنتُ أحادث يوهان!!» اعترض لينورد أخاه توماس غاضبًا، وأضاف:

- «الشرب معك ممل جدًا، ويجعلني أريد التقيؤ حتى الموت.».

عندها ضحك يوهان صاحب العينين الزرقاوين وأخذ يقف على قدميه يميل يمنة ويسرة:

- «أريدُ فقط التقاط بعض الهواء المنعش يا صديقي، لا غير.».

- «وما خطب الهواء هنا؟ إنه رائع، أغاني وراقصات، وكأسك مليء بالنبيذ! ماذا يمكن أن يُنعش أكثر من هذا؟!» احتج لينورد ملوحًا بكأسه في المكان، ضاحكًا بصوت عال.

- «في الحقيقة رائحة أنفاسك النتنة تمنعني حتى من الرؤية بوضوح!» اعترض توماس وهو يُغيظ أخاه الأكبر.

- «تبًا لك يا توماس، سأشرب لوحدي إذًا!! لن أدعكما تغيظاني، إنه يوم ميلادي!» أجاب لينورد غاضبًا بشكل مضحك، ثم أخذ ينادي راجيًا بصوت ثمل مترنح:

- «هيه أنتِ أيتها الحسناء القبيحة! هل لكي أن تملئي كأسي أرجوك..».

- «حسناء وقبيحة!» اعترضت النادلة متقززة منه وأضافت لاجمة إياه بنظرة متكبرة:

- «ما القبيح إلا أنفك المعوج، أيها القصير الأبله!».

وهناك وفي تلك اللحظة، تبادل يوهان وتوماس النظرات الصامتة الضاحكة، ولم يتمكّنا من منع أنفسهما فانفجرا من شدّة الضحك وتبعهما جميع من في البار، حتى أن توماس لم تستطع قدماه التحمل فوقع أرضًا يبكي من شدة الضحك. ونطق يوهان عندها محاولًا الحفاظ على نظم أنفاسه المتقطعة الضاحكة، وقال:

- «حسناء وقبيحة في نفس الجملة؟! حقًا! عليك أن تُحسّن من مهاراتك يا لينورد.. أو هل لي أن أدعوك يا ذا الأنف المعوج!».

- «تبًا لك يا يوهان!! وأنتَ توقف عن الضحك يا ذا الوجه الناعم!».

- «حقًا! الناعم!! هل هذا كُلُّ ما لديك أيها القصير الأبله؟!» أجاب توماس وهو لا يستطيع التنفس من شدّة الضحك.

- «هيه أنتِ؟ هل رأيتِ ما الذي فعلتيه!» قال لينورد مُخاطبًا النادلة غاضبًا وأضاف لاجمًا إياها:

- «لن يتركا الأمر على حاله بعد اليوم! تبًا لكِ أيتها القبيحة!!».

- «القبيحة أمك!».

- «بل القبيحة خالتك!».

- «أجل إنها كذلك، ليس بالشيء الجديد!» أجابت النادلة ضاحكة منتصرة، والجميع يهتف لها ضاحكين.

- «علي أن أخرج من هنا، لا أستطيع!! سوف أموت من الضحك حقًا! علي الخروج!!!».

- «هيه يوهان!» قال توماس مناديًا وأكمل:

- «انتبه وأنتَ في طريقك إلى الخارج.».

- «لماذا؟!».

- «هناك قصير أبله في المكان انتبه ألا تصطدم به!!».

واعتلت عندها أصوات ضحكات الجميع بلا توقف! واعتلت معها أصوات المعازيف والأغاني وزاد الحماس إلى آخره.

في الخارج كان يوهان ينظر إلى السماء والنجوم تزين زرقتها الداكنة، ورائحة نبيذ التوت الأحمر اللذيذ ألهم نسيم الهواء العليل البارد.

- «أما زلت تفعل هذا؟» بدأ توماس مُقبلًا وهو ينظر إلى صديقه يهمس بكلمات إلى السماء.

- «أفعل ماذا؟» أجاب يوهان مبتسمًا وعيناه الزرقاوان تعكس نجوم السماء اللامعة.

- «تهمس إلى السماء تمامًا كما كُنت تفعل معها!» قال توماس مبتسمًا يتذكر الماضي، وأضاف بعدما أصبح بجانب يوهان عن يمينه:

- «عينك إلى الأعلى تنتظر شهابًا مارًّا، كي تتمنى أمنية، أليس كذلك؟» ابتسم يوهان واكتفى بذلك.

- «لشخص لا يؤمن بالخرافات، فأنت تفعل هذا كثيرًا؟!» قال توماس، رافعًا حاجبيه مبتسمًا.

- «لا أؤمن بها، ولكن القصص والخرافات حقًا أقوى من أي شيء!» أجابَ يوهان وأضاف وعيناه للسماء ما زالت، بنبرة هادئة دافئة مبتسمًا:

- «تمامًا كالحب.. لطالما أبقت أرواح الناس على اتصال ببعضها البعض، مهما بَعُدت المسافات.» ثم أخذت عيناه الزرقاوان تلمحُ ذلك الشهاب اللامع في السماء، وأغمض عينيه وبدأ يهمس بين روحه بكلمات غير مسموعة. ثم فتح عينيه، وقال بصوت دافئ:

- «وأيضًا هذا يُذكّرني بها دائمًا.».

- «أها!» قال توماس، بنبرة متهكمةٍ مُبتسمًا، وأضافَ ممازحًا:

- «من أنت، وما الذي فعلته بصديقي؟».

ابتسم يوهان، ولكن عيناه كانتا فاضحتان له تمامًا!

- «أخبرني ماذا بك؟ تبدو قلقًا ولست كعادتك!» بدأ توماس، بنبرة أكثر جدية.

أخذ يوهان عندها نفسًا عميقًا وقال بنبرة تائهة حائرة:

- «لا أدري يا توماس! منذ ذلك اليوم وهي تلوم نفسها على ما حدث.. والآن هي تفعل كُلَّ هذا، وكأنه واجبها! وكأنه يجب عليها فعل هذا كي تُكفّر عن ذنبٍ لم تقترفه!» وأكمل بعدها، ونظرات القلق اعتلت وجهه تمامًا:

- «وأخشى أنه يومًا ما، سيكون هذا الأمر سببًا في نهايتها.. بل أشعر وكأنها تريد أحدًا ما أن يُلقي اللوم عليها ويعاقبها كي تجد خلاصها وأخيرًا!».

- «لطالما كانت عنيدة يا يوهان...» قال توماس، وأضاف ناصحًا:

- «عليك فقط البقاء بجانبها وحمايتها! ولكي تفعل ذلك، يجب عليك أن تتوقف عن الهروب وتتقبل مصيرك، فلن تستطيع الهروب منه مهما حاولت أو قلت من أعذار يا يوهان!».

- «مكاني ليس هناك يا توماس!» اعترض يوهان وأضاف حالمًا وعيناه للسماء:

- «مكاني هو، هنا وهناك، وفي كل مكان.. أريد أن أرى كل شيء، وأتذوقَ كُلَّ شيء، وأكتشف أشياءً لم أكن أعرف بوجودها حتى!».

- «إذًا لماذا ما زلت هنا حتى الآن يا يوهان؟!»

قابل هذا السؤال.. لا شيء...

- «تقولُ أنك تريد الخروج من ذلك القفص ولكنك دائمًا ما تعود إليه في النهاية! لماذا؟» قال توماس بعينين دافئتين راجيتين يبحث عن الإجابة.

ولكن تهرّب يوهان كعادته، وقال مبتسمًا:

- «غدًا لدينا رحلة طويلة، ولينورد على وشك العراك مع تلك النادلة...».

- « دعها.. ستضربه حتى يفقد الوعي، وعندها لن يتقيأ في السفينة غدًا كالقصير الأبله.».

أصبح اليوم التالي، وأشرقت الشمسُ بنورها الدافئ على البحر الرمادي. وأخذت السفينة تترك وراءها آثار أمواج صغيرة تعكس فيها أشعة الشمس الدافئة كاللؤلؤ المنثور..

- «اااه رأسي يؤلمني جدًا..» بدأت طفلة صغيرة في أحد مقطورات السفينة، مختبئة تشكي ألمها!

- «ڤايوليت، هل أنتِ بخير؟!» هرعت ميلا تحتضن الطفلة اليتيمة، مبتسمة فرحةً، ولكن... خلف تلك الابتسامة، كان هناك ألم وحزن كبير، ومسؤولية عظيمة على عاتقها من الآن وصاعدًا.

- «رأسي يؤلمني قليلًا، ولكنني سأكون بخير...» أجابت الطفلة بابتسامة صغيرة، وأضافت وهي تنظر ما حولها، ثم إلى تلك الجريحة أمامها:

- «ما هذا المكان؟ أين نحن؟ يا إلهي ميلا، هل أنتِ بخير، ما الذي حدث؟!!».

كان هذا السؤال بداية أسئلة لا حصر لها! بل كان هذا السؤال بداية ألمها الحقيقي.

- «ڤايوليت علينا التحدث، ولكن قبل ذلك عليكِ تناول بعض الطعام، فقد

خارت قواكِ تمامًا.».

- «ميلا!! هل نحن على متن سفينة؟! قالت ڤايوليت بعدما تفقدت ما حولها وأحست بالأرض من تحتها تميل يمنة ويسرة بانتظام.

- «أجل، نحن كذلك.».

- «لماذا؟ أين أمي؟! وأين سعاد؟! ميلا أخبريني ما الذي حدث؟ لماذا نحن على متن سفينة وأين الجميع؟ ااه رأسي يؤلمني!» حاولت ڤايوليت استيعاب ما الذي جرى خائفة كروح تائهة.

- «ڤايوليت أعدكِ سأخبركِ بِكُلِّ شيء، ولكن أولًا عليكِ تناول طعامك قبل أن تسوء حالتكِ أرجوكِ!».

لم تكن كلمة "أرجوكِ" ما جعلت ڤايوليت تستجيب، بل كانت تلك الدمعة الصغيرة التي فرت من عين ميلا، وسقطت على خدها الأيسر، والابتسامة المزيفة الباكية التي استنزفت منها جُل طاقتها. نظرت ڤايوليت بصدمة جاحظة العينين، وعلمت أن تلك الدمعة الوحيدة، كانت تحمل في طياتها ألمًا عظيمًا وأخبارًا مفجعة!

تبادل الاثنان النظرات للحظة بدت، وكأنها عقد من الزمن. نظرات بدأت وكأنها تتحدث بصمت تشكي ألمها. وهناك سقطت دمعة من عيني تلك الطفلة، على خشبات تلك السفينة الرثة، معلنة أن الألم النابع من تلك الدمعة أمامها قد أجاب عن أسئلتها، وأن الأخبار المؤلمة قد وصلت مستقرها.

«توماس ريتشارد»

توماس شاب يبلغ من العمر أربعًا وعشرين سنة... طويل القامة، صاحب شعر أسود اللون قصير.. صوته مهيب، وعيناه شديدة الزرقة حادّتان ومخيفة. جسده مرسوم بالعضلات وذكاؤه لا حدود له وعلى الرّغمِ من مظهره المهيب، لكنه يحظى بوسامة الأشداء والأقوياء، ومحبوب جدا بين الأطفال والنساء، على عكس أخيه.

«لينورد ريتشارد»

ذو السادسة والعشرين سنة. هو قصير القامة، ذو أنف كبير وشعر كثير وكثيف. ورغم من طيبة قلبه وحنانه، إلا أن لسانه يخونه دائمًا، ويتفوه بكلام مضحك وغبي. لذلك مهما حاول أن يجعل فتاةً ما تقعُ في حُبّه، يفشل. ودائمًا ما يقول: «يومًا ما سوف تُحبني امرأة، جمالها يقارن بجمال الحوريات.».

ورغم غبائه المضحك، يُعد لينورد محاربًا مخضرمًا وسريعًا. فرغم جسده الممتلئ قليلًا، إلا أنه يُعدُّ محاربًا سريعًا جدًا، وهو أحد مستخدمي سحر الهايروستراث، على عكس أخيه توماس، الذي تكمن قوته في ذكائه وقوة سيفه.

الفصل الثاني عشر..

العودة إلى المنزل

<<مملكة ريفيرلاند>>

{بعد عدة أيام في البحر..}.

- «يوهان لقد أصبنا اليابسة.. لقد وصلنا إلى المنزل.» بدأ توماس بيده على كتف يوهان يوقظه.

- «وأخيرًا..» أجابَ يوهان وأخذ ينظر إلى لينورد نائمًا في الهواء على قطعة قماش كبيرة مربوطة أطرافها، على اثنين من أعمدة السفينة!

وأضاف يتبادل النظرات الضاحكة مع توماس بابتسامة شريرة وكائدة:

- «هل لك أن تعطيني الشرف لفعلها يا توماس؟»

- «لم لا.» أجاب توماس مبتسمًا ومتكئًا على أحد أعمدة السفينة، يأكل عنبًا.

- «هيه أنت أيها الدب الكسول، استيقظ!!» قال يوهان وأخذ يدفع بيديه قطعة القماش تلك بسرعة ذهابًا وإيابًا حتى استيقظ لينورد مُرعوبًا، وراح يصرخُ خائفًا:

- «يا إلهي ما الذي يحدث هل نحنُ نغرق؟!! اللعنة أجل، نحنُ نغرق!» صرخ لينورد مستيقظًا.

عندها وبكل قوته، قلب يوهان قطعة القماش تلك رأسًا على عقب ووقع لينورد على وجهه أرضًا!

لم يتمالك يوهان وتوماس نفسيهما من شدّة الضحك، وأخذَا بعدها بلحاف ما ووضعاه على رأسه ذاك، ثم هربا إلى درج السفينة خوفًا منه يضحكان بشدّةٍ حتى الموت!

- «عليكما اللعنة أيها الوغدان!!» صرخ لينورد محاولًا التحرر بصعوبة.

- «هل تظن أن هناك فتاة ستقع في غرامك وأنتَ تصرخُ كالفتيات هكذا؟» قال يوهان ضاحكًا مستهزئًا.

- «صدقني عندما سألتقي بها، ستكون جثتك هنا في أعماق هذا البحر أيها الغر الصغير!» تهجم لينورد غاضبًا.

- «من تنعتُ بالصغير، أيها القصير الأبله؟!!».

«تووماااااااس سوف أقتلك!!».

هرع الاثنان مسرعين إلى سطح السفينة هربًا من لينورد الذي ذاع صوته في أرجاء السفينة يصرخ بأعلى صوته متوعدًا:

- «سوف أقتلكما، أيها اللعينان!!».

وعندما بدأ الأخير يصعد السلالم بسرعة، أخذ يوهان أحد الفوانيس المعلّقة، وقام بسكب الزّيت على تلك السلالم الخشبية!

- «هل تظنني أحمقًا لهذه الدرجة؟» قال لينورد منتبهًا.

- «بل أظنك منتبهًا أكثر من اللازم.» أجاب يوهان مبتسمًا بخباثة.

- «ماذا؟».

عندها وفي حين غفلة أشعل توماس نارًا في قطعة قماش صغيرة، ثمّ نظر إلى أخيه وابتسم ابتسامة شيطانية، وقال:

- «إلى اللقاء يا ذا الأنف المعوج..».

- «ماذا أنتظر أيها...» وقبل أن يكمل كلمته، إذ بقطعة القماش المشتعلة تغادر يد توماس فجأة! ووسط ضحكات الاثنين، إذ بلينورد امتلأ وجهه بالخوف المضحك وهو يرى شرارة صغيرة جدًا كانت قد غادرت قطعة القماش متجهة إلى الزيت أسفل قدميه! وأكمل لينورد صارخا وأشار بيده:

- «الوغد!!!».

وفي أول قبلة بين الشرارة وزيت الفانوس، لوح لينورد بسحره جالبًا معه ريحًا قوية، وأطفأ تلك الشعلة في الوقت المناسب. ثم رفع رأسه ببطء، ونظر إليهما متوعدًا بنظرة شريرة مضحكة:

- «سوف أقتلكما الآن حقًا أيها الوغدان!!».

تبادل الاثنان عندها نظراتِ الخوف بشكل مُضحك، وهرب كلٌّ واحد منهما في جهة.

- «حان دوري.» قال لينورد فرحًا، وبدأت المطاردة عندها.

أسرع الأخير إلى سطح السفينة، وهناك وجد الاثنان محاطين من قبل حُرّاس كثر.

- «ماذا هناك؟» سأل لينورد.

- «يبدو أنه أرسل لنا هدية.» أجاب يوهان مشيرًا إلى الحراس.

- «وماذا إذا رفضنا هذه الهدية؟» أكمل لينورد.

عندها بدأ صوت مألوف من الخلف، وقال:

- «وماذا إذا قلتُ لكَ أنّني ضمن هذه الهدية؟».

- «ن..ن..نورا؟! أووه إنها نورا هه.» أجابَ لينورد متلعثم اللّسان، وبنظرات خجولة يحاول ترتيب نفسه وشعره..

- «يا إلهي كيف لوحش مثلك أن تتغير ملامحه فجأة هكذا؟» بدأ توماس متعجبًا، بضحكة صغيرة.

- «إنها نورا أيها الأحمق! ومن تقصد بالوحش؟ ما الوحش إلا أنتَ يا مفتول العضلات!!» تهجم لينورد غاضبًا، ثمّ وبسرعة تحوّلت عيناه مبتسمة إلى حيث نورا وقال:

- «تبدين جميلة اليوم حقًا.» أكمل لينورد وهو يحاول الحفاظ على اتزانه بشكل مضحك.

- «أتقصد أنني أبدو جميلة اليوم فقط؟!» احتجت نورا وهي تنظر إليه بنظرات حادةً مضحكة.

- «لا، اللعنة على إن كنتُ قد قلت هذا! أقصد أنكِ تبدين أكثر جمالًا من ذي قبل هه!!» أجابَ بوجهه المحمر خجلًا.

اعتلت تلك الابتسامة شفتيها الصغيرة على وجهها الجميل، وقالت وهي تنظر إليه بنظراتِ التحدي:

- «حسنًا، وهل ستقبل بالهدية الآن؟!».

- «سوف أقبل أجل أجل!! أقسم أنني سأقبل!».

- «يا إلهي، تماسك نفسك يا رجل!».

- «توماس أغلق فمك، وإلا سأجعل آخر شيء تراه هو أنفي المعوج.. أقسم أنني سأفعلها!».

- «لقد أتقنت جلد الذات بحق، أيها القصير الأبله.» ضحك توماس.

- «يوهان إنه يطلبُ رؤيتكَ الآن وبسرعة.» قالت نورا مقاطعة حديثهما.

- «هل قال لكِ لماذا؟».

- «لا، ولكن وصلت رسالة قبل يومين جعلت منه طريح الفراش!».

- «وماذا عن أمي؟».

- «لم تفارق جانبه أبدًا.».

- «حسنًا، هيا بنا.».

«نورا ريم»

تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، وهي تصبح قريبة يوهان (ابنة خالته). شابةٌ ذاتُ قلبٍ نقي، وعينين ثاقبتين، ترى الحسن في أعين الناس وتُميّز القلوب النقية من تلك التي تنذر بالشرور. شعرها أسود وناعم الملمس وطويل، كفرسٍ مُسدَل شعرها على جانبها، تتفاخر بجمالها، وتجذب بقوامها أعين الحالمين. وعيناها البنيتان اللامعتان كانعكاس ضوء القمر، وتلك النجوم اللامعة على قطرات العسل. وابتسامتها الدافئة التي تجعل من قلوب ناظريها تحس بالدفء والحنان.

نورا ريم شابة عطوفة ذات قلب سمح، ودائمًا ما تسعى لرؤية تلك الابتسامة على وجوه من تحب. ورغم أنها لا تجيد القتال أبدًا، ولكنها دائمًا ما تحلُّ صراعاتها بالعقل والحكمة.

- «يوهان انتظر...» بدأت نورا مخاطبة يوهان قبل أن يدخل على أبيه طريح الفراش.

- «ماذا؟».

- «والدتك طلبت مني أن أخبرك أن والدك حالته سيئة جدًا؛ لذا أرجوك لا تُغضبه أكثر من ذلك، كي لا تسوء حالته.».

- «نورا، أخبريني ما الذي يحدث؟ لم كُل هذه التحفظات؟!» قال يوهان بنبرة حائرة يتساءل.

- «لا أعلم.. ولكن ستجد إجابتك بالداخل.» أجابت نورا ريم بنظرات قلقة ونبرة مهزوزة، راجية أن يكون ما تشعر به ليس إلا سوى تكهنات لا صحة لها.

- «يوهان عزيزي، لقد وصلت وأخيرًا!!» بدأت والدة يوهان مسرعة تحتضن فتاها بشدة وهي تبكي بلا توقف، ثم وقعت أرضًا ترتجف من شدّة بكائها.

- «أمي!!؟ ما الذي حدث، أخبريني ماذا أصابَ أبي؟» همّ يوهان بسرعة مُمسكًا بوالدته وعيناه جاحظتان تائهتان لا تدري ما الذي يجري.

ظلت والدته تبكي داخل أحضانه بلا توقف ولم يلقَ يوهان أي إجابة أبدًا.

- «أمي!! هل أنتِ بخير؟ أرجوك أخبريني ما الذي حدث؟!!».

عندها أخذ يوهان يصرخُ على أبيه، طريح الفراش أمامه:

- «ما الذي حدث أخبرني؟».

عندها بطرف عينيه الباكيتين أشار والده إلى رسالة تحت وسادة والدته بجانبه.

- «يوهان انتظر، أرجوك.» ارتجت والدته مُمسكة بيديه ألا يذهب ويقرأ الرسالة!

ولكن لم توقفه كلمات أمه الراجية. أخذ يوهان يقرأ الرسالة، وكُلُّ حرف قرأه زاده غضبًا.. كُل كلمة، زادته حقدًا.. كُل سطر زاده ألمًا ووجعًا!

وعندما وصل إلى السطر الأخير، وقع يوهان على ركبتيه أرضًا... وبدأت عيناه تفيض دمعًا... وقلبه يبكي ألمًا...

- «يوهان.. يوهان!» راحت والدته تحبو على ركبتيها تحتضنه بين نبضات قلبها الباكي.

وإذا بصوت بكاء رجل اعتلى ممرات القصر... صوت بكاء هز كيان وقلب تلك الروح التائهة ذات القلب الهش! سهم أصاب قلب من تحبّ، فأرداه قتيلًا... صرخات مؤلمة، وقلب باكٍ! رسالة حملت معها مآسي الحاضر وآلام الماضي.. رسالة حملت معها ما حملت، وجعلت من روح الشاب المرح ذاك، طفلًا باكيًا..

كانت نورا تقف خلف الباب، ومن صرخات يوهان توصلت إلى ما كانت تحتويه تلك الرسالة، فلا توجد رسالة قد تجعل من شخص مرح وقوي كيوهان، أن يصل إلى هذه الدرجة من الألم والبكاء، إلا ما كانت تخشاه نورا، طيلة هذا الوقت!

- «ها أنتَ ذا تبكي كالأطفال أيها الأحمق!» بدأ والد يوهان من على سريره متكئًا، وأكمل:

- «لو ما زال أخوك على قيد الحياة لما كان مُثيرًا للشفقة كما أنت الآن!».

- «توقف!!» صرخت ريهاد والدة يوهان بغضب وعيناها تبكي دمًا! وأضافت بنبرة معاتبة غاضبة حادة:

- «أليس بقلبك أي رحمة! أم أنك تحاول إلقاء اللوم على ابنك كي لا تشعر بثقل الألم ها؟!!».

- «كُلُّ ما أقوله أنه لكان من الأفضل لو مات هو بدلًا من أخيه.».

- «كوينت!!!!» صرخت ريهاد غاضبة بشدة!

- «أمي كفى، أرجوك.» قاطع يوهان حديثهما باكيًا.

- «ولكن..».

- «أرجوك دعيه..» قال يوهان بصوت مهزوز وقلب باكٍ وعيناه تذرف دمعًا، كنهرٍ من الدم يسيل على خديه! وأضاف، وهو يحاول الوقوف على قدميه مبتسمًا ويضحك كالمجنون:

- «هو ليس على خطأ! ربما لو عاش أخي بدلًا مني لكان الأمر أفضل! أجل، ربما لو كنتُ مثل أخي، ولو قليلًا لما هربت من مصيري كالجبان! ربما لو كنتُ قويًا مثل أخي لاستطعتُ حماية أختي أيار من أن تُقتل بهذه الطريقة الشنعاء!! ربما لو.. كن... كُنت حاضرًا لأست... لاستطعت حمايتها!» وفاضت عينا يوهان بالبكاء مرة أخرى.

- «هل رأيت الآن ما كنتُ أتحدث عنه؟» قال والده مقتربًا منه بنبرة مُشمئزة وعيناه كذلك تفيضُ دمعًا على فراق ابنته غاضبًا، وأنهى قائلًا:

- «إنه جبان.. لطالما كان كذلك!».

- «كوينت أغلق فمك!» بصوت غاضب باكٍ تهجمت الملكة ريهاد على زوجها الملك كوينت.

- «أنا سأذهب الآن..» قال يوهان وهو يمسح دموعه التي لم تتوقف أبدًا.

- «يوهان عزيزي إلى أين؟».

- «إلى مملكة إيثيريا.».

- «ولكنّكَ عُدت للتو، أرجوك ابقَ لبعض الوقت، أرجوك!» بصوتها المهزوز وقلبها المكسور، أخذت ريهاد ترتجي ابنها الوحيد بالبقاء.

عندها أمسك يوهان بيدي أمه وقبَّلها ومسح دمعتها، وقال محاولًا الحفاظ على رباط جأشه:

- «أمي عليّ الذهاب.. ستكونين بخير أليس كذلك؟».

- «يوهان أرجوك!» ارتجته مرة أخرى.

- «عديني أنكِ ستكونين بخير، أرجوكِ!».

للحظة تبادل الاثنان النظرات، وعندها علمت ريهاد أنه لن يرجع عن قراره. فلطالما كان العناد هو الصفةُ السائدة في ابنها يوهان... وقالت مستسلمة:

- «أعدك يا بني.. ولكن عدني أنك ستعود لي قطعة واحدة، أرجوك!».

- «أعدكِ يا أمي.».

عندها أخذت ابنها بالأحضانِ ترتجي سلامته، ثم أطلقته إلى مصيره المجهول. وعندما غادر الأخيرُ مرأى عيني أمه، تذكر مقولة صديقه توماس:

- «عليك أن تتوقف عن الهروب وتتقبّل مصيرك، فلن تستطيع الهروب منه مهما حاولت أو قلت من أعذار يا يوهان!».

وبعد أقل من ساعة، استعدّ يوهان لمغادرة أبواب القصر نحو مملكة إيثيريا. وإذا هم أصدقاؤه على مرأى عينيه مستعدون للرحيل.

- «سنذهب معك يا يوهان.» بدأت نورا.

- «لا لن تفعلوا.. علي فعل هذا لوحدي.» اعترض يوهان.

- «يوهان، هذا ليس وقت العناد، سوف نذهب معك.» قال لينورد.

- «قلتُ لكم أنني سأذهب لو...».

- «لقد كانت أيار مثل أختنا الكبرى! أتطلب منا أن نجلس هكذا مكتوفي الأيدي دون أن نفعل شيئًا؟!» أكمل لينورد متهجمًا.

- «تمامًا كما قلت يا لينورد.. كانت مثل أختكم الكبرى.. ولكنها ليست أختكم، كما أنها قد رحلت...».

وقبل أن يُكمل يوهان كلمته، قاطعته نورا بصفعة على وجهه جعلت من خدّه يسيل دمًا بحق، وقالت له بنبرة مهزوزة وعيناها الغاضبتانِ جاحظتان تنظر إلى عينيه دون أن يرتد إليها جفنها معاتبة:

- «كانت أيار مثل أختي تمامًا! وأقسم أنني سأنتقم لها، ولن أجعلك تقف في طريقي.. هل سمعت يا يوهان!».

وهنا تدخل توماس بكل هدوء وعقلانية، وقال:

- «يوهان، ستحتاج هناك إلى أشخاص تثق بهم!» وأضاف بنبرة دافئة، وعينين راجيتين:

- «علينا البقاء معًا، إذا كنا نريد الانتقام لها.. نحنُ آخر من لديها يا يوهان!».

- «يوهان أرجوك! لا تدفعنا بعيدًا عنك.» أكمل لينورد.

ولأول مرة يكسر فيها أحدهم عناد يوهان.

- «حسنًا، ولكن قبل أن ننتقم لها، علينا إيجادها أولًا..».

هذه كانت آخر كلمات أمير ووريث عرش مملكة ريفيرلاند الوحيد «يوهان كوينت ثورنهارت»:

- «علينا إيجاد ڤايوليت.»

آخر كلمات، لبداية مسار جديد ومختلف تمامًا.

«يوهان كوينت ثور نهارت»

يوهان شاب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، طويل القامة قليلًا، وصاحب صوت رحب ومرح.. عيناه الزرقاوان تبدوان كسماء صافية تبث الراحة والطمأنينة والدفء لكل من ينظر إليهما.

يتميز بشعر أسود قصير، ناعم وكثيف. وتقاسيم وجهه تبدو كلوحة فنية أمضى طول حياته في رسمها بكل صبر وإخلاص.

منذ الصغر، كان يوهان يحب المزاح وإنشاء المقالب على الجميع، ما جعله ذا سمعة سيئة بعض الشيء! ولكنه كان محبوبًا جدًا من بين إخوته وأصدقائه ولا سيما والدته التي كانت دائمًا بجانبه حين يوبخه والده باستمرار.

بينما كان أخوه التوأم «جوهان» عكسه تماما، كان يمتاز جوهان بالهدوء والرزانة والذكاء، إذ اجتمعت فيه صفات القيادة والتخطيط والعدل. ورغم أن جوهان كان يُعدُّ الأصغر بينهما بفارق الدقائق، إلا أن الجميع كان يراه الوريث الأحق بالملك والحكم، وليس يوهان الذي كان يمتلك صفات مختلفة تمامًا عما يجب أن يكون عليه الملك! فقد ذاع صيته في كل القارة منذ صغره، بلقب الأمير المشاكس أو أمير المقالب.

يُعد يوهان محاربًا جيدًا، ولكن ما يمتاز به هو ذكاؤه الفذ وتفكيره الغريب.. فلطالما كان غريبًا بعض الشيء في طريقة تفكيره وكيفية عيشه لحياته، فهو دائمًا ما كان يبحث عن المغامرة وتجربة أشياء جديدة، ويكره التقيد بأي شيء كان! لذلك لطالما حاول التهرب من مصيره كالوريث للمملكة، لا سيما بعد وفاة أخيه التوأم جوهان الذي قُتل على يد بلودغود، عندما كانا يدرسان سويًا في مملكة آزمر في مدينة أرلان، عندما كانا في الخامسة عشرة من العمر.

الفصل الثالث عشر..

بعد ١٦ سنة...

<<مملكة آزمر>>

<<مدينة فاي>>

- «ليث.. ليان.. هيا الغداء جاهز.».

- «عزيزتي الرائحة زكية حقًا!».

- «ماما بابا، انظر ماذا صنعت ليان من أجلي!» أقبل ليث فرحًا بما أهدته إياه أخته الصغرى.

- «واااه يا لها من إسورة جميلة حقًا...» بدأت الأم منبهرةً مبتسمة.

- «هل صنعتها بنفسك يا ليان؟» قال الأب فخورًا.

عندها وبصوتها الطفولي الجميل، وعينيها الفرحتين قالت ليان بصوت مرح سعيد، وفخورة بنفسها بضحكتها الغريبة تلك:

- «هيهي، أجل يا بابا لقد صنعتها بنفسي، ولكن ساعدتني الخالة ماشا قليلًا، إنها من أجل يوم ميلاده.».

- «ألم تصنعي لي واحدةً أيضًا؟» قال الأب، وأخذ يحملها بين يديه يلاعبها.

- «ولكنه ليس يوم ميلادك يا بابا!» أجابت ليان باستغراب مضحك.

- «هذا صحيح أيتها الذكية المشاكسة.»

- «هيا أيها الجروان الصغيران...» نادت الأم وهي تقدم الغداء فوق الطاولة، وأضافت تُحمّسهما بابتسامة وصوت مرح:

- «كلا طعامكما فاليوم سنحتفل ونرقص ونغني، وسنأكل الكثير من الحلوى والكعك حتى نتعب!».

- «ماما ماما، هل صنعتِ الكعكة التي أحبها؟» قال ليث متحمسًا.

- «بالطبع فعلت! إنه يومك، لذا سأفعل أي شيء تريده يا عزيزي.» قالت الأم تربت على رأس ابنها الصغير.

- «ماذا عني يا ماما ها؟!» أكملت ليان، بعينيها الجريئتين الغاضبتين!

وعندها ضحكت والدتها وقالت مطمئنةً إياها مبتسمة:

- «بالطبع أنتِ أيضًا يا طفلتي الجميلة!» قالت وأضافت مؤكدة:

- «اليوم سوف نحتفل ونلعب حتى الليل، والخالة ماشا ستأتي أيضًا.»

- «لقد جلبنا لكما العديد من الهدايا، ولكن لدينا مفاجأة مميزة سنحتفظ بها إلى الآخر!» أكمل الأب، محاولًا زيادة حماسهما.

عندها بدأ الاثنان بطرح الأسئلة اللانهائية بفرح وفضول.

- «عليكما أولًا تناول طعامكما إذا أردتما معرفة ماهية الهدية!» قالت الأم وهي تستدرج الأطفال بحيلتها.

غربت الشمس واجتمعت العائلة تحتفل بميلاد ابنها ليث الذي بلغ من العمر اليوم إحدى عشرة سنة. وبدأوا بالغناء والاحتفال ونفخ الشموع وفتح الهدايا وامتلأ المكان بالبهجة والسعادة.

- «خالة ماشا! خالة ماشا!» بدأت ليان كالعادة بأسئلتها الطفولية الفضولية والمضحكة وهي تجلس داخل أحضان الخالة ماشا.

- «كم هو عمري الآن؟».

- «عمرك ثمان سنوات الآن يا عزيزتي.».

عندها أشارت ليان بأصابعها مكونة أربعة أصابع وقالت حائرة تتساءل:

- «هكذا ثمانية سنوات، أليس كذلك؟!».

ابتسمت الخالة ماشا ضاحكة وقالت مُصَحِّحَة إياها:

- «لا يا عزيزتي، هكذا هي ثمانية سنوات.».

- «اها! إذًا هكذا هو عمر أخي، أليس كذلك؟» أكملت ليان مشيرةً بستة أصابع فقط.

- «ليس تمامًا، ولكنك قريبة جدًا!» أجابت الخالة ماشا وأضافت مُمسكة بأصابعها الصغيرة لتريها الإجابة:

- «هكذا هو عُمر ليث، عشر أصابع وإصبع زائد.».

- «وااااه هذا كثير جدًا!» أجابت ليان بذهول مضحك يعتري وجهها ثم التفتت إلى أخيها، وقالت:

- «أخي أنت عجوز!».

لم يستطع أحدٌ عندها إمساك نفسه من شدّة الضحك، وأخذ الأب يحمل ابنته في الهواء ويدور بها وهي تصرخ وتضحك بشدة.

- «أبي أبي، أنا أيضًا!» نادى ليث.

عندها ومن خلفه أخذت والدته تحتضنه بقوة، ثم بدأت بدغدغته، وليث يحاول الفرار منها بشكل مضحك.

- «ماما توقفي أرجوك ماما!!».

- «أبي، ما هي المفاجأة التي أخبرتنا عنها؟!» بدأت ليان متلهفة.

- «أووه لقد نسيتُ أمرها تمامًا.».

- «حسنًا هيا اجلسا هنا وأغمضا عينكما.» أكملت الأم وهي تُخرج شيئًا من جيبها.

- «حسنًا، لقد أغمضت عيني.» قال ليث مُتربعًا على رجليه.

- «وأنا كذلك هيهي...» قالت ليان بضحكتها الغريبة تلك.

- «ليان اعترفي هل ترين شيئًا؟!».

- «لا أبدًا!!».

- «إذًا ما الذي أحمله بيدي؟!».

- «كعك... اوه أقصد لا أعلم...».

- «لقد كشفتك أيتها الماكرة!».

- «سوف أغلقها سوفَ أغلقها الآن أعدك يا أبي.» قالت متأسفة تضحك وراحت تغلق عينيها بكلتا يديها.

- «حسنًا إذًا، هيا افتحا أعينكما..» قالت الأم.

أخذ الجروان ينظران إلى ما بين يدي والدتهما باستغراب.

- «اااءء ماما! ما هذا؟» قال ليث.

- «أجل أجل، ما هذا ها؟ هل هذه هي المفاجأة!» اعترضت ليان والغضب يعتري وجهها بشكل مضحك ولطيف.

- «ألا تعلمون ما هذه؟!» قالت الخالة ماشا خلفهما مبتسمة.

- «لا!!» أجاب الاثنان بالنفي.

عندها نظر الأب إلى زوجته ضاحكًا ثم اتجهت أنظارهما إلى طفليهما بابتسامة، وقالا معًا بصوت جهور ولعوب:

- «سوف نذهب غدًا في رحلة بحرية!».

عم الصمت للحظة، وأخذ ليث وليان ينظران بعضهما دون قول شيء.

- «اااء! عزيزتي أظن أن المفاجأة لم تُعجبهما!» قال الأب خائبًا بابتسامة مزيفة.

- «هه.. أظن ذلك.» وافقت الأم.

- «أيتها الغبيان لقد أعجبتهما جدًا، لدرجة أن عقليهما توقف عن العمل!» قالت ماشا وهي تحاول لفظ أنفاسها من شدّة الضحك.

عندها قفز الطفلان من شدة الفرح وأخذا يصرخان في المكان كالمجانين.

- «أخي أيها العجوز، إنني أحبك جدًا!» صرخت ليان تحتضن أخاها، وتُقبلهُ في كُلِّ مكان!

وراحت تقفز في المكان مُمسكة يد أخيها وتصرخ فرحة كالمجنونة. ولم يستطع البقية، إلا محاولة الحفاظ على نظم أنفاسهم، من شدّة الضحك!

انتهت الحفلة وذهب الجروان إلى سريرهما كي يرتاحا فأمامهما غدًا رحلة طويلة.

- «آه وأخيرًا لقد ناما...» بدأت الأم متعبة وأخذت تسند رأسها على فخذ الخالة ماشا.

وأضافت تضحك من التعب:

- «هل تصدقين كنتُ أقص عليهما قصّة أرض لاورين، ولقد نام سامر قبلهما.».

- «لقد كان حفلًا رائعًا حقًا، يا عزيزتي.» قالت الخالة ماشا، ثم نظرت إلى عينيها الناعستين وأكملت بصوت دافئ:

- «عزيزتي هل تظنين أن هذه فكرة جيدة؟!».

- «ماذا تقصدين؟».

- «أقصد الرّحلة..» أجابت الخالة ماشا بنبرة قلقة.

- «لا عليك سنكون بخير..» قالت الأم بعينين مبتسمتين تطمئنها، وأضافت:

- «فقط بضعة أيام ثم سنعود، وأيضًا ستكون تجربةً مُمتعة لهما.».

- «حسنًا إذًا، عديني أنك ستتوخّينَ الحذر أرجوك!» قالت الخالة ماشا راجية إياها، وهي تلعب بشعرها الطويل الحريري.

- «لا تقلقي، أعدكِ سوف نكون بخير.» أجابت مبتسمة، ولم تمض بضع دقائق إلا وقد حطت في نوم عميق.

ليان سامر

ليان طفلة صغيرة، ولكنها ليست مثل الأطفال الآخرين. فمنذ ولادتها حظيت بلون عينين مختلفين تمامًا عن بعضهما: عين بلون أزرق كالمحيط الهادئ، وعين بلون عسلي متلألئ كعسل النحل الذي حطت عليه أشعة الشمس. وشعرها الأسود يتخلله خصلات شعر رمادية وطويلة من الأمام.

ولكن هذا ليس ما يميز ليان عن بقية الأطفال، فهي منذ نعومة أظافرها كانت جريئة ومشاكسة جدًا كما تعلمت المشي والتحدث في عمر صغير جدًا، وهي دائمًا ما كانت فاكهة البيت ببراءتها وغبائها المضحك اللطيف. ليان فتاة غريبة حقًا، على عكس أخيها ليث الذي ربما يبدو أكبر من عمره قليلًا بسبب فكره.

ليث ذو العينين الزرقاوين، والشعر الأسود القصير والمائل إلى زرقة المحيط المظلم. يُعد ليث ذكيًا بعض الشيء بالنسبة لعمره، فهو يتميز بحسن الخلق وفصاحة اللسان كما يتملكه الفضول في كُلِّ شيء تمامًا مثل أخته ليان!

لطالما كانت ليان تحظى باهتمام الجميع بسبب هيئتها الغريبة، ولكن الناس لم يُعطوا اهتمامًا لذلك أبدًا، فلطالما كانت فتاةً محبوبة جدًا من الجميع.

أتى صباح اليوم التالي، والشمس بينَ سُحبها خجولة ونسيم الرياح تهب وكأنها تُغازِل أغصان الشجر. والبحر يتراقص بموجه، وكأنه يتحدى العالم بجماله.

استيقظت عائلة سامر مبكرًا، واتجهت مباشرة إلى ميناء رافي، وعندما وصلوا ذُهل الجروان من جمال المكان! بالطبع لم تكن هذه أول مرة يزوران فيها البحر، ولكن ذُهلا من حجم السفن الكبيرة عن قرب ومدى ضخامتها.

النَّاس في كلٍّ مكان، والسفن تبحر مغادرة، وأخرى عائدة.

- «وااااه ماما هل هذه سفينتنا؟» بدأت ليان، وملامح وجهها ملأتها الدهشة.

- «لا يا صغيرتي، انظري تلك هي سفينتنا.» أجابت والدتها بابتسامة، مُمسكة يدها.

- «إنها كبيرة جدًا!».

- «ههمم أجل، إنها كذلك يا عزيزتي.» هممهم الأب مبتسمًا، مُمسكًا بيد ابنه ليث.

وبعد لحظات، ركب الجروان على متن السفينة وذُهلا بشدة والدهشة لم تفارق عيناهما الجاحظتان فرحًا.. إذ كان الجميع يصرخُ وينادي بصوت عالٍ، والقبطان يأمرُ ذا وذاك والمكان في حالة فوضى!

- «أنزل الشراع أيها الأحمق بسرعة، وإلا رميتك من على السفينة!» صرخ القبطان غاضبًا، وأضاف آمرًا:

- «أنت يا ذا الوجه الأصلع، ارفع المرساة الآن!».

وعندها ضحكت ليان بشدّةٍ، وقالت بضحكتها الغريبة تلك تعايره عند والدتها:

- «هيهي يا ذا الوجه الأصلع! ما ما هل سمعت، لقد قال يا ذا الوجه الأصلع!».

لاحظ القبطانُ ما قالته ليان، وأخذ بخطواتٍ صغيرة صاخبة اتجاهها، وعندما أصبح بينهما خطوة واحدة، انحنى القبطان على إحدى رُكبتيه، وقالَ مُقطَّبَ الحاجبين، بصوت حاد ومُخيف:

- «هل تهزئين بي أيتها الفتاة الصغيرة؟!».

لم ترف جفنة ليان أبدًا، وظلت تنظر إلى عينيه دون خوف، حتى أصبحَ أنفها مُقابل أنفه الكبير وكشرت عن أنيابها الصغيرة غاضبة، وقالت بنبرة معاندة تتحداه:

- «أجل، وما الذي ستفعله ها؟!».

- «ليان ششش عليكِ احترام الكبير!» اعترضتها والدتها، موبخة إياها.

ولكن لم ترف عينا أي أحد منهما، وظلا يتبادلان النظرات الغاضبة لبعضهما. وهنا لم يستطع القبطان تمالك نفسه، وبدأ يضحك بشدة، وقال منبهرًا منها:

- «إنها لوحش صغير حقًا.».

- «أنا آسفة أيها القبطان.. دائمًا ما تتصرف هكذا بعناد.».

- «لا عليك، إنها فتاة قوية حقًا.» ابتسم القبطان، وأضاف مخاطبًا الوحش الصغير:

- «هل تريدين أن أريكِ بقية السفينة أيتها المشاكسة؟!».

- «هيهي، أجل أريد ذلك!» أجابت ليان من ملامح غاضبة إلى طفولية لطيفة، بضحكتها الغريبة تلك.

- «يا إلهي كيف تغيرت ملامحها بهذه السرعة! إنها حقًا لوحش صغير!» قال القبطان مذهول العينين، مبتسمًا لها ولوالدتها، ثم أخذ يحملها حول كتفيه، وقال:

- «هل تريدين أن تأمري أحدًا أيتها المشاكسة؟!».

- «أجل أجل!!» أجابت ليان متحمسة، وقالت بصوت جهور وجريء:

- «هيه أنت يا ذا الوجه الأصلع تعال إلى هنا!».

ضحك القبطان وبقية طاقم السفينة بعدها على ذلك المسكين بسبب تلك الصغيرة المشاكسة، وإذا بوالدتها تعتذر منه راجية سماحه. ولكن الأخير تقبلها بصدر رحب وابتسم.

أبحرت السفينة وأصبحت المياه تحيط بها من كُلِّ مكان، واختفت اليابسة عن مدى أنظار الجميع.

بدأ غروب الشمس ونادت الأم على جرويها الصغيرين من داخل مقصورتهما:

- «ليث، ليان.. تعالَا وانظرا بسرعة!».

- «ماذا هناك يا ماما؟».

- «انظرا ما أجمل غروب الشمس من النافذة! تبدو وكأنها لوحة مرسومة حقًّا!» قالت منبهرة سعيدة.

- «هيا بنا نخرج لمقدمة السفينة إذًا، لنرى الغروب بأكمله..» قال الأب مقترحًا بابتسامة.

خرجت الأم وزوجها برفقة جرائها لمقدمة السفينة وهم مذهولون من جمال المنظر وانعكاس ضوء الشمس الخجولة بين السحب الرمادية على أمواج البحر وكأنه مرآة يعكسُ كُل ما في مرآه.

- «انظروا للشمس الدافئة كيف تغرب وكأنها تغوص في أعماق البحر تخلد للنوم.» قالت بصوت دافئ وهادئ تتمّعن ذلك المشهد الخلّاب، وكأنه لوحة من عالم الخيال بحق.

أتى الليل وعمّ الهدوء. القمر يعلو السماء ونوره في أفق البحرِ يُضيء. وذهب الجميع للنوم، بعد يوم جميل ومرهق.

الفصل الرابع عشر

الكارثة!

مُنتصف الليل، والنَّاسُ نيام، وعم الهدوء في المكان.. وفي عتمة الليل، تجمعت السحب الرعدية بصوتها الهادرة والبحر بدأ بالهيجان!

السفينة تميل يمنة ويسرة، وبدأ البحر الهائج يحكم سيطرته السفينة!

الرّعدُ يدوي بصوته والبرق يضرب بقوته! الـلاطفال تبكي من شدة الخوف، والماء يتخلل أجزاء السفينة!

استيقظ الجميع مذهوليت خائفين!

{ماذا، ما الذي يحدث؟!!}

فإذا بطاقم السفينة والقبطان يصرخون بأعلى أصواتهم:

- «إلى مراكب النجاة هيا، لقد تضررت السفينة! سوف تغرق، هيا بسرعة».

بدأت الناس تتدافع خوفًا على أرواحها، والكل يريد النجاة بنفسه وعائلته. ولسوء الحظ، كان تواجد عائلة ليث بعيدًا عن مراكب النجاة.

سارعت الأم بمسك يد ابنها، والأب يحمل ابنته، ويا لها من عاصفة! الناس تتدافع للنجاة بحياتها، وصرخات الجميع ويأسهم، وبكاء الأطفال زاد من رعب وهول الموقف.

غريزة الأب بدأت تسيطر على حواسه، عين هنا على زوجته وابنه، ويد تقود الطريق ويد تحمل ابنته. يحاول أن يسيطر على خطواته في الأرض المائلة المبتلة! يسقط ويقف! التوى كاحله! ولكنه يكابر الألم في سبيل إنقاذ زوجته وأبنائه.

- «ابقوا خلفي، وتمسكوا جيدًا!» صرخ الأب منبهًا وأضاف:

- «ليث تمسك بمعـ...»

فجأة، مالت السفينة كما تميل الأغصان من شدة الرياح، وسقط الأب، وكاد أن يُبتلع في ظلمات البحر، لولا سرعة ودهاء زوجته.

- «تمسك بي، لا تترك يدي!» صرخت الأم بأعلى صوتها ترتجي:

- «أرجوكم أي أحد! ساعدونا أرجوكم!».

- «هييه هييه! عزيزتي انظري.. انظري إلي!» قال الأب، ونظرات عينه تحكي حقيقة الموقف. فميلان السفينة أطغى من أن تستطيع حمله لوحدها! لكنه لم يرد إظهار استسلامه فنادى بصوت عال:

- «امسكي وارفعي ليان أولًا، ثم ارفعيني!».

حاول الأب جاهدًا رفع ابنته دون أن يُثقل على يده الأخرى فيثقل على زوجته.

نادت الأم تصرخ راجية، والمطر يهطل كالسهام الحادة:

- «ليث تعال وارفع أختك وساعدني في رفع أبيك بسرعة!».

وفي اللحظة التي أمسك ليث بيد أخته، توقف الوقت!

لحظة بدت وكأن الزمن فيها توقف داخل عينيه العسليتين وهو يرى انعكاسه داخل عينيها الجاحظتين الباكيتين.

لحظة واحدة انزلقت يد الأب فيها فجأة، وهو يحاول التشبث بيد زوجته.

❊

وفي تلك الثواني القليلة المتبقية لديه، أخذ بؤبؤ عينيه يكبر شيئًا فشيئًا، والمطرُ مُلامسًا وجهه، والبحر العظيم من خلفه بموجه الهائج والجائع مطالبًا بروحه.

وبدأ شريط حياته ينعرض أمامه داخل عينيه العسليتين. أول لقاء... أول قبلة... أول مرة أضحكها... أول مرة، رأى فيها عيني طفليه الصغيرين... أول خطوة خطوها على أقدامهما الناعمة... أول مرة سمع فيها كلمة بابا من لسانهما العذب...

❊

وكلما ابتعدت يده عنها، بدأت أنفاسه تضيق شيئًا فشيئًا وعيناه توقفتا عن الرمش... وقبل أن يضرب جسده بالموج الهائج المظلم، ابتسم في عينها لثانية واحدة كانت كدهر بالنسبة له. واختفى في ظلمات البحر.

ليث وليان اصطدما بظهر السفينة..

- «اهه ما الذي حدث؟» قال ليث مُمسكًا برأسه متألمًا:

- «..ليان.. ليان هل أنتِ بخير؟!».

- «اههم..» أجابت عن يمينه تحاول استعادة وعيها.

- «أمي، أمي أين أنتِ؟! ماماا!!» صرخ بعدها يبحث عن والدته في كلّ مكان حوله.

فجأة.. بدآ وكأن الريح تهمس باسمه من خارج السفينة:

- «لييث.. لييث..».

الصوت بدأ مألوفًا في البداية، ولكن كُلُّ شيءٍ كان مُشوشًا من تأثير الاصطدام. حاول ليث بكل ما أوتي من قوة، وأخذ يحاول الوقوف على قدميه فوق تلك

الأرض المتمايلة يمنة ويسرة. وتتبّع الصوت مُمسكًا بيد أخته، ويده الأخرى متكئة على ظهر السفينة..

الصوت المألوف أصبح قريبًا جدًا...

- «ماما؟ هذا صوت ماما!!» صرخ ليث وراح مُسرعًا ينظر خارج السفينة فرأ....

- «مااماااااا!!!» صرخ ليث بأعلى صوته طالبًا النجدة!

رآها متمسكة بسطح السفينة وجسدها متدلٍّ من خارجها محاولة الصعود بكل ما أوتيت من قوة! وأخذ هو وليان مُمسكان بيديها يحاولان رفعها، ولكن دون جدوى، فَميلان السفينة أطغى من قوة وعزيمة هذين الصغيرين!

ثم أخذا يستنجدان بأي أحد بصوت عالٍ، ولكن كلٌّ نفسي نفسي! وراحا يتمسكان بأي أحد يجري من أمامهما راجينه أن يساعدهما، بينما والدتهما كانت تحاول التشبت بكل ما أوتيت من قوة.

- «أمي... أرجوكم أنقذوا أمي!!».

- «أيتها الصغيران، ما الذي تفعلانه هنا؟» صرخ القبطان وأكمل آمرًا بصوت عال:

- «هيا اصعدا وإلا سأحملكما بالقوة!».

- «أرجوك ساعد أمي أرجوك!» ارتجاه الصغيران يبكيان.

- «أين هي؟!».

- «إنها هناك!» أجاب ليث مشيرًا إليها هناك أمامه.

- «ليييث!!!» صرخت والدته ترتجيه، وهناك رأى يداها تنزلقُ من على ظهر السفينة!

هرع القبطان وليث لإمساكها ولكن كُل خطوة على خشب السفينة، كانت مثل الخطو على رمل ناعم جائع هائج يبتلع كُل شيء يخطوه... كل خطوة أثقل وأبطأ من التي قبلها... كلّ خطوة كانت تحمل معها ذكرى...

- «ليث ما هذا، من فعل بك هذا؟!! هل تشاجرت مع أولئك الصبية مرة أخرى؟ يا إلهي متى ستتعلم... هل تأذيت؟ دعني أرى...».

- «عزيزي انظر إنّها أختك أليست جميلة؟ ما رأيك أن تُسمّيها أنت؟».

- «ليان؟! يااااه، يا له من اسم جميل... انظر إليها كم هي صغيرة وجميلة... من الآن وصاعدًا ستبدأ أولى مسؤولياتك، ألا وهي أن تحميها بكل قوتك، فأنتَ أخوها الأكبر الآن...».

- «ليث هل أنت نائم؟ حسنًا إذًا، سأقفل الباب وأطفئ الشموع الآن... ههه، لقد رأيتك أيها المشاكس! إذًا ما زلت مستيقظًا أيها اللعوب ها؟».

- «احم احم! هل أنت متأكد من أنك لم تنسَ شيئًا قبل ذهابك؟ أين هي قبلتي؟ أجل، هكذا هيا اذهب وانتبه لنفسك ولا تنسى أنني أحبك...».

- «ليث بسرعة هيا... انظر سيمر الشهاب في أي لحظة الآن.... هيا تمنوا أمنية.... ماذا تمنيتِ يا ليان؟».

- «لقد تمنيت أن أحظى بالكثير والكثير من الحلوى والكعك...».

- «ششششش، ليس من المفترض أن تشاركي أمنيتكِ مع أي أحد، عندها لن تتحقق، أليس كذلك يا أمي؟!».

- «ربما، ولكن إذا شاركتها مع من تُحبّ، عندها ستتحقَّق ليس فقط أمنيتك، بل أماني من شاركتها معهم... فما فائدة الأماني والأحلام إذا لم نشاركها مع من نحب؟!».

- «إذًا ماذا تمنيت يا أخي؟».

- «لقد تمنيت...»

فجأة، صوت باك ينادي: «أخي! أخي! مااامااا!!» صوت أعاد وعي ليث إليه، أعاد إليه مرأى أمه وهي تسقط ومن خلفها البحر العظيم هائجًا!

بدأ المنظرُ كلوحة جميلة، مُخيفة ربّما، كالملاك الساقطة، باسطة يديها للسماء طالبة يدًا تُنجدها.

رأت انعكاسها بعيني ابنها، وعندها توقف الوقت للحظة داخل روحها، وصرخت بكل صوتها:

- «ليييييث!!!!».

لم تطل يد ليث أمه، وشاهد شيئًا فشيئًا، وببطء شديد سقوطها، وعيناه جاحظتان للموقف، وصرخ بأعلى صوته:

- «أمييييي..».

وضرب بها الموج بعيدًا عن مرأى عينيه.

- «اللعنة!!» صرخ القبطان خائبًا وراح مُمسكًا بيد الطفلين، إلى قارب النجاة بالقوة:

- «هيا بنا.».

وبصوت خافت مكسور القلب، ظل يُردد:

- «أمي.. أمي..».

ليث يبكي وأخته تصرخُ حتى ظنَّ أن صوتها سيختفي:

- «أمي.. أبي!!».

ولكن دون جدوى، ابتلعهما البحر أمام ناظريهما.

ليان أغمي عليها من شدّة الهلع والخوف والصراخ. وعينا ليث مفتوحتان، ولكن دون أن ترى إلا الظلام. لا، بل حتى الظلام لم يجد لهُ مكانًا في عينيه! فقد أباه وأمه، وأخته مغشي عليها بين ذراعيه لا يدري ماذا يفعل! ولكن لم ينتهِ الأمر هنا، فمركب النّجاة ليس ندًّا لعاصفة أودت بسفينة إلى الهاوية!

حاول الجميع التمسك، لكن ألم الفقدان كان أقوى من إرادة التمسك بالحياة. وكلّ ما كان يجري في بال ليث تلك اللحظات: ما الذي يحدث؟ ذهب الجميع ولم يبقَ أحد.. أمي.. أبي.. لماذا؟!

فجأة، ضربت موجة كبيرة المركب بقوة وطار البعض ومن ضمنهم ليث من المركب وفي الهواء عاليًا سرى.... وتوقف الوقت. توقف الوقت بالنسبة له، وكان كُل شيء حوله تجمّد. لم يعد يسمع شيئًا. كل شيء صامت... هادئ... الموج أصبح جامد... كل شيء ساكن! وكأنه يطفو معاندًا بذلك عظمة المحيط. رأى كلّ شيء... رأى هَول المنظر، رأى الموت مرسومًا على مُحيا وجوه الجميع، ناس تغرق، وناس تستنجد لحياتها.. السفينة انقلبت رأسًا على عقب.. لم يستطع احتمال ذلك المشهد المخيف فأغمض عيناه واستسلم للأمر الواقع.. إنها النهاية...

تدلّت جفونه وبدأ الوقت بالرجوع وهناك رأت عيناه النور الخافت في الظّلام، رأت بصيص الأمل، لا لا.. ليس الأمل، بل سببًا يدفعه للمحاربة والنجاة.. فالأمل لم يكن له وجود في ذلك المكان المخيف أبدًا. بدأت شعلة الحياة تدبّ في قلبه من جديد.. رأى ما تبقى له في هذه الحياة.. أخته!

أجل، رأى أخته ممددة في المركب مغشيًا عليها وحيدة فسارع يصرخ مُناديًا وأخيرًا:

- «ليااااا...».

ضرب جسده سطح البحر، وأبعده الموج عن المركب وهو يصارع الموت من أجل الحياة.. من أجل أنفاسه.. من أجل أخته.. وحال الموجُ بينه وبين الجميع.

الظلام حالك..

المحيط هائج..

ورمته الأمواج بعيدًا.

الفصل الخامس عشر..

أين أنا؟

استيقظ ليث مستندًا على لوح خشبية تبدو وكأنها إحدى خشبات أرضية السفينة ربما.. ووجد نفسه محاطًا بالبحر لا شيء حوله أبدًا. فقط مياه مالحة عن يمينه ويساره وعلى مد بصره. لا يعلم كم مر من الوقت أو كم يومًا مضى.

- «أرجوكم أي أحد..» أخذ ينادي وصوته مبحوح، وعيناه احترقتا وجسده كذلك من حرارة الشمس، ولكن لا حياة لمن تنادي. جَفّ ريقه، وبدأ العطش يستنزف طاقته. وظل يردد ويناجي:

- «يا إلهي، أرجوك أريد أن أعيش... أرجوك، أريد أن أرى أختي، هل هي بخير، وهل وصلت إلى بر الأمان؟! أريد أن أعلم إذا كانت بخير فقط...».

وكأن كُل ما كان يجول في خاطره هو إذا كُنت سأموت هنا فلا بأس بالموت، فقط أريد أن أرى أختي آخر مرة!

أن تكون قد وصلت لهذه المرحلة من اليأس، وأن تكون فكرة الموت شيئًا سهلًا تقبله.. لا توجد كلمات قد تصفُ هذا الشعور أو أيًا كان هذا الإحساس.. وكيف لطفل في مثل عمره أن يشعر بهكذا شعور!

الشمس حارقة ومياه البحر أصبحت ساخنة. رفع ليث يده للسماء كي يُغطي عينيه من أشعة الشمس، ورأى السوار الذي أهدته إياه أخته.. فتحرك شيء ما في قلبه، وكأنها بقايا شعلة لم تنطفئ. حاول استجماع قواه وبدأ بالصراخ عاليًا حتى نشف ريقه وبحّ صوته حتى أرهقه التعب والعطش وحرارة الشمس الحارقة التي لا ترحم!

كلما أراد الاستسلام حطت عيناه على السوار، وكأنه يرى أخته أمامه وإرادة العيش لديه تُصبح أقوى وأقوى.

وبعد مدة قصيرة، رأى قاربًا صغيرًا من بعيد، وكأنه سراب خياله. حاول ليث الصراخ، ولكن صوته خانَ إرادته:

- «أرجوكم، أنا هنا النجدة!».

رأى من في القارب بدأ يلوح من بعيد فذهبوا لتفقد الأمر. رآهم ليث متجهين نحوه، فاطمئنَّ قلبه، وأسند رأسه على اللوح وأغمض عينيه.

اقترب أهل القارب فإذا هم مذهولون بما يرونه!

فتى صغير على لوح خشبية، بشرته داكنة ومقشرة من حرقةِ الشَّمس، شفتاه متآكلتان من شدة العطش، وأطراف أصابعه تسيل دمًا من شدّة تَمَسُّكه باللوح.

- «هيي هل أنت بخير؟! هل تسمعني يا فتى هل أنت بخير؟» بدأ ليث يشعرُ بصوت خافت ويدًا تحتضنه، وأخذ يردّد وهو يترنح متعبًا:

- «أمي، هل هذه أنت؟».

فتح عينيه بهدوء فإذا بها امرأة شابة.

- «افتح فمك.. هيا اشرب..» أشربته الماء وهدأت من روعه وهي تمسح على جبينه تطمئنه:

- «أنت بخير الآن، لا تقلق سيكون كل شيء بخير الآن...».

ليث لم يفهم كلمة واحدة مما قالته، وغَط في نوم عميق.

انقضى الوقت ووصلوا إلى اليابسة، واستيقظ ليث وهو لا يعلم أين هو وما هذا المكان؟ وجد المرأة ممسكة بيده كما تمسك الأم يد ابنها، وأخبرته أن كل شيء سيكون بخير، ولكن لم يفهم ليث أيضًا ما الذي كانت تقوله. أخذته إلى منزلها وأطعمته بعض الحساء وبعض رغيف الخبز مع السمك المشوي. وبعينيها الدافئتين أخذت تردّد وتربِّت على ظهره:

- «لا تخف أنت بخير الآن.. هيا كُل، سيعيد هذا لك صحتك.».

حاولت بعد ذلك التكلم معه ولكن ليث ظل صامتًا خائفًا لا يدري ماذا يجري حوله..

من هذه المرأة؟ وأين أنا؟ وما هذا المكان؟! وكيف لطفل يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة أن يبقى صامدًا متزنًا بعد ما مرَّ بكل هذا الجحيم؟! والآن هو في منزل امرأة غريبة ومدينة صغيرة ولغة غريبة!

مرت سبعة أيام وربّما أكثر. فقد الإحساس بالوقت، ورغم ذلك ما زالت المرأة تلطف به وتشاركه طعامها وشرابها، بل وأنها تؤثره على نفسها. تأويه إلى الفراش وتبتسم في وجهه طوال الوقت ولم تمل من ذلك رغم أنه لم ينطق بحرف واحد ولم تسمع صوته أبدًا.

مضت الأيام بعدها واسترجع ليث عافيته، وفي ليلة من الليالي، استيقظ ليث وكأي طفل بدأ يجول حول البيت الصغير مستكشفًا. ولكن لم يكن هناك الكثير حقًا لاستكشافه، ولكنه رأى المرأة وقد غلبها النوم فوق طاولة الطعام الصغيرة، وقد ناله الاستغراب. لماذا تنام هنا؟ وأين هو سريرها؟ ربما كانت

متعبة جدًا فنامت في مكانها.. ذُهل ليث وقتها عندما علم أن السرير الذي كان ينام عليه طوال هذه الأيام هو في الأصل سرير تلك المرأة، وظل واقفًا مستغربًا يعتريه الفضول لماذا؟ لماذا تجعلني أنام في سريرها أنا الغريب وهي تنام في الأرض؟ من هذه المرأة؟ أنقذتني وآوتني في بيتها الصغير وشاركتني طعامها القليل، وعندما تضعني للنوم لا أراها تُبعد عينيها عنِّي حتى أنام؟!

وفي وسط تساؤلاته، استيقظت المرأة ورأته يتأملها.

- «أهلًا، هل حظيت بنوم كافٍ أيها الجميل الصغير؟» قالت المرأة مبتسمة وهي تمدد جسدها مستيقظة.

وكانت أول كلمة تسمعها هي:

- «ليث.. اسمي ليث، وأنتِ؟».

أجابت المرأة في ذهول:

- «هل هذا اسمك؟! مهلًا، هذا الاسم وهذه اللغة؟! أنت لست من هنا!» قالت المرأة حائرة وأضافت بنبرة مشفقة عليه بعينين دافئتين:

- «أنت من آزمر.. أولست بعيدًا عن المنزل يا فتى؟!».

لم يفهم ليث ما قالته وظل ينظر إليها بفضول. ثم كسرت حاجز الصمت المرأةُ الشابة وقالت بصوت رحب مبتسمة في عينيه الزرقاوين بلغة يفهمها:

- «لحسن حظك، أستطيع تحدث الأزمرية بطلاقة... فهي لغتي الأم.».

ابتسم ليث عندها خجلًا قليلًا. وهناك وقفت هي وبخطوات قصيرة اتجهت ناحيته وقدمت له يدها مرحّبةً، وقالت بوجه سمح وعينين مبتسمتين:

- «أهلًا ليث.. اسمي هو سعاد.».

وبعد محادثة طويلة وأسئلة لا حصر لها، علمت المرأة ما حدث له وأنه قد فقد والداه في البحر وأخته كذلك. وكأي طفل آخر امتلكه الفضول، بدأ بطرح الكثير والكثير من الأسئلة:

- «ما هذا المكان؟ وأين نحن؟ ألستِ صغيرة بعض الشيء لتعيشي لوحدك؟! هل أنتِ وحيدة؟».

نظرت سعاد مبتسمة لفضول ليث ولم تستطع تمالك نفسها وبدأت بالضحك.

- «ااء حسنًا من أين أبدأ.. نحن في مملكة ريفيرلاند وهذه المدينة الصغيرة تُدعى ريفيرويند، وأنا أسكن هنا لوحدي أجل..» أجابته بابتسامة.

- «لماذا وحدك؟».

- «ههمم إنها قصة طويلة.» هممت سعاد متجنّبةً الإجابة.

- «لماذا لست متزوجةً إذًا؟» قال ليث بفضول الأطفال.

منبهرةً من فضول ليث وبراءته، قالت مبتسمة في عينيه:

- «لأنني لم ألتقي بالرجل المثالي بعد... عندها فقط بإمكاني أن أنجب فتى فضوليًا وجميلًا مثلك!».

ابتسم ليث ابتسامة خجل من نفسه، وقال مُعتذرًا:

- «أنا آسف، ولكنكِ جميلة حقًا لذلك ظننت أن الرجال سيفعلون العجب للفوز بقلبك!».

- «هناك شخص واحد فقط فاز بقلبي، ولكن لا أدري أين هو الآن..».

- «أنا متأكد أنه لن يلتقي بآنسة جميلة مثلكِ أبدًا.».

- «ليت جميع الرجالِ مثلك أيها الطفل الذكي.» قالت سعاد ضاحكةً تُربّت على رأسه ضاحكة.

- «اههمم أجل، أنا ذكي.» همهم ليث فخورًا بنفسه مبتسمًا:

- «أو لست كذلك ها!».

- «أيها الفتى المغرور.» قالت منبهرةً من جرأته وثقته بنفسها.

ومن دون شعور، أصابت عيناها يد ليث وقالت:

- «إنها جميلة.. يبدو أنها عزيزة على قلبك، فلم أرك تزيلها أبدًا؟!».

- «أجل، إنها من أختي ليان..» بعينين مشتاقتين ونبرة حزينة، قال ليث وهو يمرر بأصابعه حول السوار. وأضاف مستذكرًا بابتسامة:

- «لقد أهدتني إياها في يوم ميلادي، فهيَ تُذكّرني بها.».

أرادت سعاد أن تسأل عنها بالتفصيل إذا ما كان قد رآها تـ...

ولكن لم تجرؤ. لم تجرؤ على جعله يستذكر تلك الذكرى المريعة، ذكرى أصبحت حلمًا يطارده في منامه.. يستيقظ في عتمة الليل مرعوبًا، مكتومًا، يحارب من أجل أنفاسه.. وكأنه في كلّ ليلة يعود إلى ذلك المكان ويعيش تلك الذكرى المخيفة المؤلمة مرّةً تلو الأخرى..

- «لا أعلم ماذا حدث لها، إن كان هذا ما تودين معرفته..» قال ليث بابتسامة وهو يرى الفضول يعتري وجهها كما هو.

ابتسمت هي واكتفت بذلك.

- «لقد افترقنا في البحر، وآخر مرّة رأيتها فيها كانت في قارب النجاة الذي وقعت منه أنا.. والآن لا أعلم أين هي أو إن كانت على قيد الحياة حتى..».

عندها ابتسمت سعاد ابتسامة مراعية له، وقالت تحاول رفع آماله قليلًا:

- «أنا متأكدة من أنها بخير! وعليك أن تثق بذلك أنتَ أيضًا...» وأخذت تمسك يده الصغيرة، ثم أكملت بصوتها الدافئ:

- «ليث، هنا مقولة نُردّدها في ريفيرويند: ما دام رباط الأمل لم ينقطع، فلا تظن بأحبائك شرًا.».

- «ماذا يعني هذا؟».

- «هذا يعني أن ما يربطك الآن بأختك هو هذا السوار... حافظ عليه مثلما تُحافظ على حياتك! وثق دائمًا أن ذاك اليوم سيأتي وتراها مهما طال ومهما بعدت المسافات، سيظلّ هذا السوار الأحمر ما يربطكم سويةً إلى الأبد.».

الفصل السادس عشر..

الغريب

«مملكة ريفيرلاند»

«مدينة ريفيرويند»

بعد مضي فترة طويلة وبعد أن اعتاد ليث على المكان وأصبح يتحدث لغةَ القارّة، بشكل ليس بسيئ، قرَّر أنّه لم يُرِد أن يكون عبئًا على المرأة التي أنجدته وآوته لأنها في الحقيقة لا تملك الكثير لتقدمه. قرر ليث الذهاب والبحث عن عمل صغير يساعد ولو بالقليل في أمور البيت وقوتِ اليوم، فسعاد تقضي معظم وقتها خارج المنزل على أي حال.

أشرقت الشمس واستيقظ ليث مبكرًا بينما كانت الآنسة سعاد مازالت نائمة تغط في نوم عميق. خرج ليث بهدوء من المنزل باكرًا يبحث عن شخص ما كي يدله على عمل ولو بثمن زهيد. أمضى ليث يبحث هنا وهناك مستكشفًا المدينة عن عمل ولكن لم يحالفه الحظ. وفي طريقه إلى البيت خائبًا، صادف رجُلًا مُسنًا يُلوح بيده من أحد متاجر الفواكه الصغيرة. ذهب ليث آملًا أنه سيجد ما يبحث عنه.

- «أهلًا بك أيها الفتى، ما اسمك؟» بدأ الرجل المسن.

- «أهلًا أيها العم، ولكن لا يجدر بي إعطاء اسمي للغرباء.».

ضحك الرجل المسن من ردّه الحسن، وقال يثني عليه:

- «أحسنت يا فتى، يبدو أنك لست مثل الأطفال الآخرين. فلك لسان مهذب ووجه سمح.».

- «أجل، أظن ذلك أيها العم.».

- «وواثق من نفسك أيضًا، يا للعجب!» قال المسن منبهرًا منه وأضاف يتساءل:

- «كم عمرك يا فتى؟».

- «إحدى عشرة سنة، أيها العم.».

- «إحدى عشرة سنة وتتحدث لغتين! إنَّك لتكبر سنّك فكرًا وثقة وخُلُقًا أيها الفتى الغريب.».

شعر ليث ببعض من الفخر واعتلت على وجهه ابتسامة صغيرة، ثمّ أكمل المسن، وقال:

- «أنا اسمي أوجان ويمكنك مناداتي بالعم أوجان.».

- «أيها العم أوجان، كيف علمت أنني أتحدث لغتين؟».

ضحك عندها العم أوجان، وقال بصوت رحب:

- «يا بني لسانك آزمري، كالسمن على العسل!».

- «لم أفهم ماذا يعني هذا، ولكنني أحبُّ العسل، لذا أظن أنه شيء جيد.».

- «لقد أضحكتني يا فتى.» أجاب العم أوجان ضاحكًا بشدّة، وأكمل بنبرة حسنة:

- «اسمعني يا بني.. الأطفال في هذه البلدة عكسك تمامًا، فهم تافهون وغير مهذبين، لذلك سأعطيك نصيحة ثمينة تمامًا كالتي أخبرتها سعاد قبلاً.».

- «حسنًا!».

- «لقد رأيتُ أنك تعيش رفقة سعاد في بيتها أليس كذلك؟».

- «أجل...» أجاب ليث بفضول.

- «إن سعاد امرأة صالحة، أنا أعرفها منذ أن كانت طفلة صغيرة بعمرك تقريبًا. ماتت والدتها منذ أن كانت في الثالثة عشرة، وهي مُنذ ذلك الحين تعول وتعتمد على نفسها. ومنذ أن أتت إلى هنا علم الجميع بأنها مختلفة وتحظى بقلب طيب، ودائمًا ما تُقدّم للمحتاج أكثر مما يجب. ولكن يوجد هنا بعض الأغبياء من يلومها ويلوم عائلتها على مقت...

ااهه أنا آسف لقد قلتُ الكثير يا بني، وجرفتني الذكريات.. ولكن مفاد نصيحتي هو أنه عليك أن تكون مختلفًا عن الجميع.».

- «مختلفًا لماذا؟ كُل ما أريده هو أن أساعدها لأنها أنقذت حياتي!».

- «حسنًا يا بني انظر لنفسك من منظور آخر! ستجد أنك طفل صغير يريد أن يقوم بعمل كبير... لا أحد في عمرك يُفكر أن يقوم بهكذا عمل. لذلك لا أحد يُريد طفلًا في مكان ليس بمكانه.. والسبب الآخر هو لأنك الغريب!».

- «الغريب؟!» قال ليث باستغراب.

- «أجل يا بني الغريب.. فلا أحد هنا يعلم من أنت، أو من أين أتيت أو ما صلة سعاد بك.. ذهبت في ذلك اليوم إلى البحر لتساعد أحد الصيادين الكبار بسبب

أن ابنه البكر قد أصاب كاحله ولكنها في نهاية اليوم، رجعت مُمسكة بيدك وكأنها أم فقدت طفلها ووجدته بعدها في حالة يُرثى لها.. لذلك إذا كنت تريد أن تحصل على عمل هنا، عليك أن تكون مختلفًا... دعني أسألك سؤالًا وأنهي به نصيحتي، ومن ثمَّ عُدْ إليَّ غدًا، وأخبرني بإجابتك، وعندها رُبّما سأجعلك تعمل لدي في المزرعة، ما رأيك؟».

- «حسنًا!» أجاب ليث بحماس.

- «اسمعني يا بني جيدًا، هل تريد أن تكون مُجرد غريب؟! أم أن تكون الغريب الذي يريدُ الجميع التعرف إليه؟».

صمت ليث قليلًا يُفكر في كلامه، ثم قال يتساءل:

- «لماذا تقول لي هذا الكلام، أيها العم؟».

نظر المسنّ إلى الأرض وكأنه يتذكر شيئًا من الماضي، ثم نظر إلى عيني ليث مُبتسمًا، وقال:

- «لأنك مثلها تمامًا!».

في طريقه إلى المنزل، ظل ليثُ يُفكر فيما قاله العم أوجان. وعندما دخل البيت وجد سعاد في انتظاره مبتسمة.

- «هييه!! انظروا من أتى، أين كنت؟ لقد أنهيت عملي باكرًا، ورجعت إلى البيت، أردتُ أن أقضي بعض الوقتِ معك..» قالت سعاد، وأضافت مبتسمة،

وهي تُجهز العشاء:

- «لقد أنهكني العمل في الفترة الماضية حقًا! على أي حال العشاء جاهز، هيا لنأكل.. لقد جهزتُ طبقك المفضل، السمك المشوي وبعض الحساء اللذيذ.».

- «يااه، شكرًا لك!» أجاب ليث وعيناه تشتهي ذلك الطبق اللذيذ.

بدأوا بالأكل وليث شارد بتفكيره فيما قاله العم أوجان سابقًا.

- «ليث ما الذي يشغل تفكيرك الآن، هيا أخبرني؟» بدأت سعاد بابتسامة فاضحة إياه.

- «لل.. لا.. لا شيء..» أجاب ليث بخجل.

- «هيا أخبرني، أعرفُ أن هناك شيئًا ما يدور داخل ذلك الرأس الجميل!».

- «في الحقيقة لقد كنتُ سابقًا أتحدث مع العم أوجان من متجر الفواكه!» قال ليث بتردّد.

عندها ابتسمت سعاد ضاحكة، وقالت:

- «ذلك العجوز لا يكف عن حشرِ أنفه دائمًا!».

- «قال أنكِ قد فقدت والدتكِ عندما كنتِ في الثالثة عشرة من عمرك، ومنذ ذلك الحين وأنتِ تعيشين لوحدك..» قال ليث وأضاف وصوته حزين بعض الشيء:

- «ورغم أنّكِ دائمًا ما تساعدين المحتاجين، إلا أن هناك بعض الأشخاص يلومونك ويلومون عائلتك على شيء ما حصل في الماضي.. أبى العم إخباري لماذا، وما الذي حدث؟!».

عندها أخذت سعاد مُمسكة بيده مبتسمة وقالت ونظرات عينيها الرماديتين كُلّها حُبّ وطمأنينة:

- «لا داعي لخوفك عليّ، فقد كان هذا من الماضي.. الآن أنا بأحسن حال.. فلدي أنتَ ولن أدع أي شيء يؤذيك أبدًا هل سمعت!».

ابتسم ليث خجلًا، ومن ثم أكملت بنظرة مضحكة وبصوت مرح:

- «أخبرني الآن.. من المستحيل أنه أخبرك بهذا فقط! فذلك العجوز يظن نفسه حكيمًا، يعطي النصائح دائمًا..».

- «لقد كنتُ أبحث عن عمل، كي أساعدك.. فقد كنتِ تعملين ضعف وقتكِ الأصلي فقط من أجلي! وأردت أن أساعدك ولو بشيء بسيط، عندها قابلت العم أوجان وقال لي أنني يجب أن أكون مختلفًا عن البقية إذا أردت العمل، لا أن أكون الغريب.. يجب أن أجعل النَّاس تميزني من بين الجميع، ولكن كيف أفعل هذا لا أعرف؟!» قال ليث حائرًا يتساءل.

وبنظراتها المضحكة أجابته وهي تمسك بكلا خديه الصغيرين:

- «أنتَ مُختلف بالفعل كما أنت، والجميع سيحبك.. هل سمعت أيها الفتى المشاكس!».

- «هذا ما قلته للعمّ أيضًا!» أجاب ليث حائرًا مازال.

- «حسنًا إذا، دعنا منه الآن، وأكمل طعامك قبل أن يبرد. هيا يا عزيزي.».

في صباح اليوم التالي..

- «صباح الخير أيها الغريب...» بدأ العم أوجان.

- «صباح الخير..».

- «حسنًا.. أخبرني هل توصّلت إلى الإجابة؟».

- «أجل...» أجابَ ليث بكلّ ثقة، وقال:

- «أريد أن أكونَ الغريب الذي يريد الجميع التعرف عليه، ولكن لا أريد أن أغير من نفسي أبدًا، فأنا مختلف عن الجميع كما أنا.» قال ليث بصوت جهور، وأضاف يسأله:

- «ولكن ما الذي كُنت تعنيه عندما قلت أنني مثلها؟!».

- «أحسنت أيها الفتى...» أجاب العمّ ضاحكًا، وأكمل:

- «وإجابتي على سؤالك هي لأنكَ تُريد مُساعدتها كما كانت هي تريد مساعدة الغير.. فهي لم ترد فعل هذا من أجل كسب رضا الغير، بل من أجل أنها أرادت المساعدة فقط لا غير. مثلك تمامًا يا بني، أنت مُختلف، كما كانت هي مختلفة أيضًا.».

عندها ابتسم ليث، وقال متلهفًا:

- «شكرًا لك أيها العم أوجان، ولكن هل لي أن أسألك سؤالًا آخر؟!»،

- «أجل يا بني بالطبع..».

- «ماذا كانت إجابتها حينها أخبرني؟».

ابتسم العم أوجان، وقال ضاحكًا:

- «أنت تعلمها مسبقًا يا بني...».

ومضى ليث في حال سبيله، ومن ثم التفت للعم أوجان وقال بصوت عالٍ، مُلوِّحًا بيده:

- «أنا ليث.. اسمي هو ليث.».

ابتسم العم أوجان وأخذ يُلوِّح بيده، وقال:

- «أخيرًا، أصبح للغريب اسم الآن...».

الفصل السابع عشر..

ذو الذراع الجريحة

<<مملكة ريفيرلاند>>

<<مدينة ريفيرويند>>

{في مساء ذلك اليوم..}.

- «فهد، قابل ليث.. سوف تعملان معًا من الآن وصاعدًا.» بدأ العم أوجان، مخاطبًا ذاك بالأعلى.

- «أهلًا، أنا ليث.».

- «أوليس هذا واضحًا لقد قدّمك لي العجوز الآن!» قال فهد متكئًا على أحد أغصان الشجرة العملاقة غير منتبه له، وفي يده قطعة صغيرة من الحديد.

- «فهد، أظنّنا تكلمنا عن هذا الأمر، أليس كذلك؟» قال العم أوجان بنبرة تحذيرية.

- «حسنًا حسنًا..».

- «ااء، أين سأبدأ العمل بالتحديد، أيها العم؟» قال ليث مقاطعًا حديثهما بأدب.

- «آه أنا آسف يا بني، إنه دائمًا هكذا، لا تقلق ستعتاد على الأمر.» أجاب العم أوجان، وأضاف معاتبًا الأخير:

- «سيريك فهد المكان، أليس كذلك؟!».

عندها وقفَ فهد على أحد الأغصان ينظر لأوّل مرّة لملامح وجه ليث بنظراتِ عينيه الحادتين وكأنه يدرس كُل شبر فيه. وقال قبل أن يقفز من أعلى الشجرة:

- «إذًا أنت ليث ها!» ثم نظر إليه باستخفاف وأضاف:

- «أنت واضح جدًا..».

- «واضح؟!» اعترض ليث.

- «هيا بنا، سأريك المكان...».

تقع المزرعة في منطقة بعيدة قليلًا عن حيث النَّاس. وسمح ذلك لجمال المزرعة أن يُسيطر على محيطه الصغير، فرغم أنها ليست واسعة جدًا، ولكنها كانت جميلة بحق!

إنها مُحاطة بأشجارٍ شبه عملاقة وأرض خضراء خلّابة. وأسوار خشبية تحيط المكان بالكامل، والشَّمس يتسلَّل ضوءها مغازلًا أغصان وأوراق الشجر.

المزرعة كانت مُقسمة بشكل منظم للغاية، حيث كانت الأزهار والنباتات وخلية النحل تسكن بيتها الخشبي الصغير في الجزء الأيمن من المزرعة. ومراح الغنم وقنّ الدجاج في الجزء الأوسط من المزرعة، يفصل بينهما شجر برتقال وتفاح وليمون. ويتوسط المزرعة من الأمام أيضًا شجرة عملاقة جدًا لوحدها، حيث كان يتكئ فهد على أحد أغصانها العالية. أما في الجزء الأيسر من المزرعة

فهو حيث الكوخ الصغير، وأمامه بعض مزروعات الخضروات كالجزر والجح، والبطاطا الحلوة، والبصل، واللفت وغيرها.

- «ما الذي كُنت تقصده عندما قلت أنني واضح؟!» بدأ ليث يمشي بخطوات سريعة مُحاولًا اللحاق به، ولكن فهد لم يعطه أي اهتمام وأكمل جولته السريعة:

- «هنا حيث نقطع ونُخزِّن الحطب..».

- «هييه، أنا أكلمك.. توقف!».

- «وهذا هو قن الدجاج، وهناك ستجد خل...»،

قاطع ليث كلامه وأخذ يمسك كتفه الأيسر كي يوقفه:

- «هييه! أنت...»

وقبل أن يُكمل كلامه، وفي غمضة عين، إذ بفهد أصبح خلفه فجأة، وأخذ بيده يلويها، وضرب بطرف قدمه ساق ليث من الخلف وجعله على ركبتيه ثم أخرج سكينًا صغيرة من مكان ما بسرعة مخيفة وراح يضعها على عنقه وهمس في أذنه بنبرة حادة، ونظرة مميتة:

- «لا أحد يلمسني... أبدًا! هل سمعت؟!».

أومأ ليث ببطء شديد موافقًا، وبلع ريقه خوفًا.

- «ليكن هذا إذًا تحذيرك الأول والأخير، أيها الغريب!» أكمل فهد بوجه عديم الملامح تمامًا.

أخذ ليث يلفظ أنفاسه ببطء محاولًا الوقوف، وعندما اشتدّ قوامه، راح ينظر إلى السماء ثم أخذ نفسًا عميقًا. وهناك امتلأ وجه فهد بالدهشة عندما رأى تلك النظرة في عيني ليث المنبهرة، وتلك الابتسامة الفضولية، عندما قال:

- «واااه، كيف فعلت هذا؟!».

- «ها؟!» أجاب فهد وملامح الحيرة طغت على وجهه.

- «أخبرني كيف فعلتها؟!» قال ليث بحماس، وأكمل بفضوله ذاك وعيناه الزرقاوانِ أثارت استغراب وحيرة فهد تمامًا:

- «لقد كنت أنظر إليك للحظة، وقبل أن ترمش عيني أصبحت خلفي مباشرة، وأنا كُنت على ركبتي فجأة!».

- «هل أنت بخير؟ لقد كدت أنحرُ عنقك قبل قليل!».

- «أعلم، ولكنك لم تفعل...».

- «ولكن كان بإمكاني!».

- «أعلم ذلك، ولكنك لم تفعل!» أكمل ليث، بابتسامة معاندة.

- «مهلًا مهلًا، انتظر لم أعد أفهم! هل أنت سعيد أنني لم أنحر عنقك؟! أم أنكَ مُستاء أنني لم أفعل، ماذا يجري؟!» أجاب فهد بنظرات حائرة.

- «كيف فعلتها أخبرني أريد أن أتعلمها!».

- «يا إلهي لقد حصلت على معتوه حقًا هذه المرة!» قال فهد معرضًا عنه مغادرًا.

- «معتوه! ماذا تعني؟».

- «ها! ألا تعلم ما الذي تعنيه كلمة معتوه؟».

- «لا!» أجاب ليث بكل براءة.

- «ااه إنه معتوه، وأحمق أيضًا...» أجاب فهد وأضاف مستسلمًا:

- «حسنًا أنا أستسلم، أريد أن أنام.».

- «حسنًا إذًا، سنبدأ التدريب بعدما أنتهي.. أراك لاحقًا!» هكذا كانت ردة فعل ليث الفضولية المتحمسة على ما حصل، وقابلها استياء وعقل حائر مشوش من فهد.

وفي طريقه ليحظى بقسط من الراحة على أحد أغصانِ الشجرة الكبيرة اتجهت أنظار فهد إلى ليث الذي كان قد باشر بالعمل مباشرة، وهمس داخل روحه:

- «من هذا الفتى؟ هل هو معتوه لهذه الدرجة حقًا! أم أنه يدعي ذلك؟ اههخ، ولماذا أتعب نفسي في التفكير بذل...».

وقبل أن يصعد فهد تلك الشجرة، شعر بألم في قدمه اليسرى! «ااههخ!» وعندما أخذ ينظر لقدمه، أصابته الدهشة والصدمة! إذ رأى دمًا يسيل من على قدمه وراح ينظر إلى ليث في حيرة وذهول كبير:

- «فهل فعل هو هذا! ولكن متى؟!» قال فهد يحاول استيعاب الأمر، وأضاف ناكرًا:

- «ما الذي أقوله.. من المستحيل أنه فعلها، رُبّما جرحت قدمي عندما قفزتُ من على الشجرة أولًا.. أجل لا بد من ذلك...» بكلمات حائرة، حاول فهد إقناع نفسه بالمعقول، رافضًا المستحيل.

«فهد»

فهد شاب في الخامسة عشرة من عمره، طويل القامة ذو شعر أسود كسوادِ أحلك الليالي المظلمة.. عيناه ناعستان وحادتان جدًا، بلون أشبه بياقوتة سوداء تلعن أعين الناظرين إليها بكلِّ غضب وسخط! ياقوتتان، إذا وقع عليهما نور القمر، لرأيت ذلك اللمعان المهيب في طرفها وكأنها عينا فهد تشتعل وهجًا وشراسة.

جسده مُلغم بتلك الجراح الكثيرة، وآثار حدِّ السكين التي زيّنت وملأت ذراعه اليسرى بالكامل.. فهد رُغم صغر سنه، إِلَّا أنَّه بارع في القتال وسريع للغاية!

ذكي جدًا، فدائمًا ما يُحلل الأشخاص ويكشف نواياهم بنظرة واحدة. ولم يسبق لأحد أن استطاع التذاكي عليه، فدائمًا ما كان هذا الصغير مخططًا بارعًا بشكل مذهل. فبينما كان أعداؤه يحسبون خطوتهم القادمة، كان هو يحسب خطوته الأخيرة، وكل ذلك يرجع سببه إلى طفولته القاسية جدًا.

ولكن هناك الكثير من الأشياء التي لا نعلمها بعد عن هذا الفتى.. من هو بالتحديد؟ وما تلك القطعة الحديدية الصغيرة التي دائمًا ما يحتفظ بها ويحميها؟ وما الذي مر به من عذاب جعل جسده الصغير يتحمل الكثير؟

وأخيرًا ما الذي يُخبئه القدر لهذا الشاب العنيد؟ وما الدور الذي سيلعبه في مستقبل ليث بالتحديد؟

- «هييه أنت، لقد انتهيت..» بدأ ليث بصوت عال وهو ينظر لأعلى الشجرة، حيث كان فهد نائمًا على أحد الأغصان، وقد ملأت السماء تلك الغيومُ الناعسة وغابتِ الشمس تقريبًا. وأضاف راجيًا:

- «هل لك أن تعلّمني، تلك الحركة الآن؟!».

ولكن فهد لم يعطه أي اهتمام وراح يدعي النوم.

- «أرجوك؟!».

- «اغرب عني أيها الغريب.» اعترض فهد وأضاف مؤكدًا:

- «لست هنا لكي تتعلم القتال، بل كي تعمل..».

- «ولكن...».

- «قلتُ لكي تعمل!!» أكمل فهد مقاطعًا مُغمضًا عينيه بنبرة ناهية، وأنهى:

- «والآن اذهب لمنزلك ونل قسطًا من الراحة فغدًا سنتجه إلى السوق لتنجز بعض الأعمال.. هل سمعت؟».

- «ولكنني لستُ مُتعبًا!».

- «هل سمعت؟!» أعاد فهد بنبرة تحذيرية.

- «حسنًا، ولكنني سأتعلم تلك الحركة، هل سمعت؟» أجاب ليث بابتسامة وبنبرة مُؤكدة كذلك، ووجهه مُتسخ بالكامل، وآثار التعب ظاهرة عليه، ثمّ أمضى في حال سبيله.

أخذ فهد نفسًا عميقًا منزعجًا، وراح ينظر لليث مُغادرًا المزرعة من فوق الشجرة، وهمس الفهد بين نفسه:

- «ما بال هذا الفتى! ألا يعرف معنى كلمة لا أيضًا؟!».

- «ليث هل انتهيت؟» بدأ العم أوجان، والقمر كان قد حل أخيرًا.

- «أجل أيها العم أوجان لقد انتهيت.».

- «هل تريد أن تنام هنا؟» قال يعرضُ عليه المبيت بعد أن رأى وجهه المرهق:

- «لقد حل الليل وتبدو مُرهقًا للغاية، وأيضًا الطرق وعرة وكائنات الليل استيقظت للتو.».

ابتسم ليث، وقال مطمئنًا إياه:

- «لا تقلق أيها العم، سأتوجه إلى المنزل مباشرة.».

- «حسنًا إذًا، توخَّ الحذر أيها الفتى...» وغادر بعدها مُلوِّحًا بيده.

حلَّ الليل ونور القمر تسلَّل إلى تلك الظِّلال الخجولة كاشفًا عن أسرارها وخفاياها. شارف اليوم على نهايته واجتمع الأحباء كلّ تحت سقف بيتهم، وبين تلك النيران الهادئة يحكون قصصًا وحكايات، وعن ما حصل في يومهم هذا. وعواء الذئاب بطريقة ما زاد من جمال تلك الحكايات. والأجواء الباردة قليلًا تخللت أسطح وجدران تلك البيوت الصغيرة وأهدت ذلك النسيم البارد الممزوج بدفء تلك النيران الهادئة. وصوت لسعات ورائحة حطبها التي زادت من دفء وهدوء وراحة المكان حتى جعلت من تلك الأجساد المرهقة تغط في نوم عميق، وتسرح في عالم الأحلام.

- «لقد عدت...» بدأ ليث مرحبًا.

- «لقد عدت متأخرًا! ظننتك ستبيت في بيت العمّ أوجان..» أجابت سعاد وهي تأكل عشاءها.

- «لقد طلب مني المبيت، ولكن لم أرد أن أجعلك تقلقين علي لذلك فضلت العودة.».

- «لا عليك لقد عدت للتو بدوري..» قالت سعاد ووقفت تنظر إليه بتمعن تتفقده بابتسامة ممسكة بخدي وجهه اللطيف:

- «يا إلهي تبدو مرهقًا للغاية، دعني أنزع معطفك.».

وأضافت وهي تقوده إلى طاولة الطعام:

- «أخبرني كيف كان يومك الأول؟».

- «لقد كان رائعًا حقًا...» أجاب ليث بابتسامة وأكمل وآثار الحماس طغت على صوته الجميل:

- «تعرفت على فتى غريب الأطوار يُدعى فهد!».

- «إذًا لقد قابلته أخيرًا.» قالت سعاد وهي تُقدّم له طعام العشاء، مبتسمة على ذكر اسم ذلك الفهد.

- «هل تعرفينه؟».

- «هل أعرفه!؟ أخبرني من لا يعرفه في هذا المكان!» قالت ضاحكة.

- «ما قصته! أهو صعب المراس هكذا دائمًا؟!».

- «لا تقلق ستعتاد على الأمر، فرغم طبعه المزعج هذا لكنه فتى طيب القلب حقًا، وإن كان يُظهر عكس ذلك...».

- «هل هو ابن العم أو جان؟» سأل ليث وهو يأكل طعامه بشراهة.

- «لا، العم أوجان لم يرزق بأي طفل...» قالت وهمّت تجلس أمامه مكملة طعامها هي كذلك.

- «أهو أحد أقاربه؟».

ضحكت سعاد عندها، وقالت:

- «يا إلهي.. أنت تفعلها مجددًا!».

- «آسف..» ابتسم ليث خجلًا.

وهناك قالت الذئبة تحكي بنبرة هادئة تستذكر الماضي:

- «في يوم من الأيام، وصل فهد مختبئًا برفقة فتاةٍ تُدعى غدير على متن أحد السفن ولا أحد يعلم من أين أتى الاثنان أو ما الكارثة التي حصلت لهما، فجميعنا صُدمنا عندما رأينا حالتهما عند وصولهما، لقد كانا مرهقين جدًا، وجسده كان مثخنًا بالجراح الحديثة، والدماء تسيل من على يده اليسرى بشكل مخيف، أما غدير فلم تنطق بكلمة واحدة أبدًا!».

- «وأين هي الآن؟».

- «ألم ترها؟ إنها تسكن مع فهد في المزرعة..» قالت سعاد، وأضافت:

- «لقد كانا يسكنان معي في البداية حتى شُفيت جراح فهد، وبعدها ذهبا للعيش مع العم أوجان لمساعدته بسبب كبر سنه.».

- «لم أرها في أي مكان! كيف هو شكلها؟!» قال ليث مشيرًا إلى غدير.

ابتسمت عندها من فضوله ذاك وقالت مبتسمة:

- «هيا هيا كفاك من هذا، وأكمل طعامك... لقد تأخر الوقت عليك أن تنام أيها الفضولي.».

- «هل فعلتها مرة أخرى؟» ابتسم خجلًا من نفسه.

- «أجل، أيها المشاكس.» بابتسامة أجابت سعاد وأخذت تُربت بيدها على رأسه.

في عتمة الليل، وانعكاس ضوء القمر الكامل على مرآة المحيط، واستواء الأجساد على راحاتها، والرؤوس على وسائدها، استيقظ ذلك الليث يصرخ مرعوبًا مرة أخرى وعيناه تذرف تلك الدمعة الواحدة، وجسده يرتعش خوفًا ورعبًا، ويُردِّد مهزوز الروح ومنهد الكيان:

- «ليان! ليان! أين أنتِ؟!».

هرعت سعاد مستيقظة من نومها، وبسرعة أخذته بين أحضانها بقوة تحاول تهدئته:

- «لا تقلق يا عزيزي أنت بخير! أنت بخير! إنَّه مجرد حلم آخر!» وأخذت بيدها على خديه تحاول النظر إلى عينيه الناعستين الحزينتين التائهتين،

والمكسور فؤادهما، وإلى جسده المرتعش خوفًا. وهناك وقعت عينا ذلك الغريب على عينيها الرماديتين ولم يستطع تمالك نفسه وبدأ بالبكاء بلا توقف حتى أهلكه التعب مرة أخرى.

وأخذ يردد بصوت مُرهق وقلب مكسور قبل أن يغلبه النوم مُتمسكًا بها بقوة بين أحضانها:

- «لا تتركيني.. أرجوكِ.. لا تذهبي.. عودي إليّ.. لـ.. ليان...».

لم تتمكّن سعاد من حبس دموعها وراحت تسيل من على خديها قطرة قطرة كما تسقط حبات المطر من على ورق الشجر. وأخذت تحتضنه حتى وقع الاثنان في شبكة الأحلام وغطا في نوم عميق.

«سعاد شهاب روان آزر»

سعاد أصبحت الآن فتاة شابة تبلغ من العُمر تسعًا وعشرين سنة، طويلة القامة قليلًا وذات شعر رمادي طويل.

وبلونها البرونزي، وعيني والدها الرماديتين، زادت من جمالها وحدة عينيها الفاتنتين.

عيناها الرماديتان كالقمر إذا أمسى بدرًا. وقوامها كالمد والجزر تسرق فيها أرواح الناظرين إليها ولكن دون عودة.

ذئبة الشهاب، وحسناء زمانها!

الفصل الثامن عشر..

أرض لاورين

<<مملكة ريفيرلاند>>

<<مدينة ريفيرويند>>

- «ليث أين أنت؟» بدأت سعاد، مستيقظة تتفقّد ما كان بين أحضانها.

- «أنا هنا..» أجاب الصغير بصوت مُفعم بالنشاط.

- «لقد استيقظت مبكرًا اليوم!» أكملت سعاد وهي تمدد جسدها متجهة إلى المطبخ.

- «عليّ الذهاب لقد تأخرت...» أجاب ليث في عجلة.

- «تأخرت عن ماذا! ما زال اليوم في بدايته؟!» أجابت عليه بعينين ناعستين.

- «سأرافق فهد إلى السوق اليوم، عليّ ألا أتأخر وإلا سيغضب غريب الأطوار ذاك..» قال وهو يحاول ارتداء حذاءه بصعوبة على قدم واحدة.

عندها نظرت سعاد إلى عينيه مبتسمة ولم تستطع إلا وتذكر شكليهما ليلة أمس. وأخذت تقف متكئةً بكتفها على أحد جدران البيت وراحت تنظر إليه مبتسمة بصمت وهو يتحرك هنا وهناك في عجلة ولم تستطع تمالك نفسها وبدأت بالضحك.

- «ماذا؟!» قال ليث مُبتسمًا في استغراب، وأضاف:

- «ماذا هناك، هل يوجد شيء ما على وجهي؟!».

- «أجل، تعال إلى هنا.».

أخذ ليث بضع خطوات بطيئة ناحيتها، ثم انحنت هي وراحت ترتب معطفه ونظرت إلى عينيه الزرقاوين ثمّ أخذت بيديها مُمسكة خديه وقبّلت منتصف جبينه، وقالت مبتسمةً في عينيه:

- «أنت شيء مختلف حقًا أيها الغريب...».

- «مم.. لماذا فعلتِ هذا...» قال ليث وقد اعترى وجهه الخجل وأصبح كلا خديه محمرًا من شدّة الاستحياء اللطيف.

- «لأنني أستطيع، ولأنك لطيف للغاية!» أجابت سعاد وهي تنظر إليه بنظرة التحدّي بشكل مضحك ولعوب.

أما الأخير فلم يستطع قول أي شيء وانصاع للأمر بشكل لطيف، وقال بنبرة استحياء:

- «حـ.. حسنًا.».

- «توخ الحذر، هل سمعت أيها المشاكس؟» قالت، وأضافت منبهة:

- «وأيضًا رُبّما أتأخر اليوم بعض الشيء أكثر من العادة.. لدي بعض الأعمال المهمة عليّ أن أنهيها.».

- «حسنًا، توخي الحذر أنتِ كذلك.» أجاب ليث مُبتسمًا وهمّ مغادرًا البيت، ولكن...

- «اه لقد كدت أنسى! لقد جهزت لكِ الفطور، بالهناء والشفاء..».

عندها نظرت سعاد إليه بدهشة وابتسامة، وهجمت عليه بسرعة:

- «تعال إلى هنا، كي أقبّلك مرة أخرى أيها المشاكس..» ولكن ليث تمكّن من الهرب بنجاح وهو يضحك.

- «أين كنت لقد تأخرت؟!» بدأ فهد فوق أحد أغصان الشجرة العملاقة معاتبًا.

- «لا لم أتأخر، بل أنت من أتيت مُبكرًا.» أجاب ليث معاندًا وهو ينظر في أرجاء المكان بحثًا عن تلك الفتاة.

- «ما الذي تبحث عنه؟».

- «ااء.. لا.. لا شيء..».

- «أخبرتك عنها سعاد، أليس كذلك؟!».

- «من تقصد؟».

- «غدير.» أجاب فهد وأخذ يقفز من غُصن إلى آخر بسرعة مُبهرة حتى استوت قدماه على الأرض.

- «واااه كيف فعلت هذا؟».

- «حقًا، هل يوجد شيء لا يُبهرك أيها الغريب؟!» قال فهد بنظرات غير مبالية.

- «كيف علمت أنني أبحث عنها؟».

- «لديها اسم وهو غدير أيها الغريب!» أجاب فهد بنبرة تحذيرية وعين حادة.

- «أنا آسف.. كنتُ أقصد كيف علمت أنني أبحث عن غدير؟».

- «لأن الجميع يبحث عنها...».

- «لماذا؟».

- «كفاك أسئلة أيها الغريب، هيا بنا..» قاطع فهد حديثه بسرعة مُعرضًا عنه، وأخذ بخطوات سريعة إلى حيث منزل العم أوجان طارقًا الباب.

- «حسنًا حسنًا، أنا قادمة..» أجابت زوجة العم أوجان نايا.

- «لا عليكِ أنا سأفتح الباب، لا بد وأنه فهد.. هذه طرقته المعتادة.» أجابت تلك الفتاة بصوتها الملائكي.

- «حسنًا يا عزيزتي..» أجابت الخالة نايا، وأضافت بصوت دافئ:

- «توخي الحذر رجاءً.».

وهنا أكمل العم أوجان محذرًا:

- «وأبقي ذلك المشاكس بعيدًا عن المتاعب أرجوك.».

- «سأحاول!» أجابت غدير ضاحكة وهي تفتح الباب لذلك الطارق والغريب بجانبه، بتلك الابتسامة الآسرة، وتلك العينين العسليتين الحادتين كقطرة عسل أصابتها أشعة الشمس فكشفت عن بريقها الجذاب.

- «ولكم أن تحزروا.. إنّه فهد!».

- «هل أنتِ جاهزة؟» قال فهد وهو ينظر إليها بنظراته الشرسة الحادة كالعادة.

- «أجل..» أجابت بوجه مبتسم كشمس دافئة شارحةً الصدر.

وعندها توجهت عيناها إلى ذلك الغريب بجانبه وأكملت مبتسمة بصوتها المرح مرحبة:

- «ولا بد وأنك ذلك الغريب الذي يتحدث عنه الجميع، أليس كذلك؟».

وقبل أن ينطق الغريب بأي شيء، إذ به يقف في دهشة ينظر بتمعن تلك العينين العسليتين، وإلى تلك الابتسامة التي سرقت أنفاسه للحظة، ووقف هكذا في جُمود لبضع لحظات، ثم قال بنبرة مهزوزة وابتسامة صارع روحه من أجلها:

- «ااء.. أجل أنا كذلك، واسمي هو ليث.».

- «هيا أنتما الاثنان لا وقت للدردشة علينا التحرك!» قاطع فهد حديثهما الصغير، مُغادرًا عتبة المنزل.

- «هل لي أن أحمل هذه عنكِ؟» قال ليث مشيرًا إلى السلة في يدها.

- «لا عليك ليست ثقيلة، فقط بعض الكعك.».

- «هل صنعتها بنفسك؟».

- «أجل، انظر.».

- «واااه تبدو لذيذة حقًا! هل لي أن أتذوّق بعضها؟».

ضحكت عندها غدير، وقالت محذرة:

- «صدقني لا أنصحك، فهي ليست جيدة أبدًا!».

- «لماذا؟ تبدو لذيذة حقًا! ومن الواضح أنّكِ بذلتِ جهدًا في صنعها أيضًا..» بدأ ليث في أسئلته الفضولية مجددًا دون أن يشعر.

- «أولست فضوليًا أيها الغريب!» أجابت غدير في دهشة وعيناها تقابل عيناه الزرقاوان مبتسمةً في استغراب.

- «لقد فعلتها مجددًا..» بملامح الخجل أبعد ليث عينيه الزرقاوين عنها ببطء واستحياء.

أما فهد فكان يراقبهما من بعيد وهو يتأكد من جاهزية العربة بعينيه السوداوين.

- «هل جميع المؤن مُحمّلة؟» بدأت غدير.

- «أجل، إنّها كذلك..» أجابَ فهد وهو يمد لها يده كي تركب العربة، وهو يشاهد خطواتها الصغيرة بحذر خوفًا أن تقع.

وعندما أراد ليث دخول العربة، إذ بفهد يُقابله وجهًا لوجه بملامحه الحادة، وقال وهو يصدّ عنه باب العربة كي لا يصعد:

- «على الحصان!»

- «لماذا؟ ولكنني لا أعرفُ ركوب الحصان!» اعترض ليث.

- «حقًا؟» قالت غدير في دهشة وهي تخرج رأسها من تلك النافذة الصغيرة بشكل فضولي ومضحك.

- «لستُ أمزح، أنا حقًا لا أعرف!».

- «أنت حقًا غريب، أيها الغريب!» قالت باستغراب.

- «لقد حاولت التعلم، ولكن جميع الأحصنة لا تُريدني فوقها!» قال ليث، وأكمل مُحبطًا:

- «ليس فقط الأحصنة، بل جميع الحيوانات لا تُحبني حقًا!».

- «لم أر أحدًا تكرهه جميع الحيوانات هكذا من قبل..».

- «أووه، عليكِ أن تري أختي الصغيرة ليان، جميع الحيوانات تحبها للغاية، وكأنها حقًا ملكة الغابة..».

- «حسنًا إنه يوم حظك، ستبدأ التعلم الآن..» قاطع فهد حديثهما الصغير في عجل.

- «ولكن...»

- «على الحصان، الآن!» بتلك النبرة الحذرة، وصوته الهادئ المهيب، انصاع ليث بعدما علم أن الفهد لن يدعه أبدًا يركب العربة برفقة غدير.

وبعد عدة محاولات فاشلة، ضحكت خلالها غدير بشكل كبير وهي تشاهد ليث يحاول ركوب الحصان لوحده، بينما كان الفهد يشاهد من على حصانه بصمت حتى يئس منه ومدَّ له يد العون، واتجه الثلاثة إلى السُّوق وأخيرًا.

«غدير»

غدير شابة صغيرة، في الرابعة عشر من عمرها، ذات جمال أخَّاذ ملائكي، وكيف لا وهي تملك تلك العينين العسليتين الحادتين! عينان إذا أصابتهما الشمس بدت وكأنها عينا ذئب تشتعل وهجًا وشراسة، عين إذا نظرت إليها، دبَّ في قلبك الرعب من قوتها وحدة نظرتها، وعين تجعلك تقع في غرامها، وكأنها عينا غزال بري لطيف.

وشعرها الأسود القاتم جدًا، المائل إلى زرقة السماء في لياليها الداكنة، بل كشلال حريري يمتزج بحدّة لونه المحيط، في أوجّ غضبه وأحلك لياليه العاتمة.

وتلك الشَّفتان الصغيرتان كالعسل الذائب، إذا نظرت إليهما ثبت في خيالك الواسع كيف هو طعمهما. شفتان مُحاطتان بغمّازتين تحرسهما من أي عدو مغتصب، وكيف لإنسان عاقل ألّا يملك رغبة اقتتال تلك الغمازتين كي يصل إلى ما بينهما ويتذوَّق عسل الجنّتين.

وصوتها الدافئ، كعنوة تهدّئ أعصاب الغاضب المتعالي، وقصر قامتها الفاتن إذا وقفت أمامها نظرت إليك بأعين الغزالي، كفتاة مدلَّلة ترغب، أن يُطالب بها عاشقٌ إلى أحضانه.

طفلة لا أحد يعرف من هي، أو من أين أتت! غير أنها كانت في حالة رُعب وخوف داخل أحضان ذلك الفهد على متن إحدى السفن المحملة ببضائع قادمة من مكان ما خلف البحر، ووجهها مُغطى بدماء الفهد الجريح! كانت غدير غير قادرة على الحديث، وعندما حاول أهل ريفيرلاند مساعدتهما لم يستطع أحد منهم الاقتراب منها، بسبب فهد الذي كان يحمل بيده سكينًا صغيرةً، مُلوِّحًا بها في وجوه الجميع، ولكن عندها خرجت من بين الجموع تلك الفتاة الشابة صاحبة العينين الرماديتين، وأخذت تحاول تهدئته مستخدمةً

سحرها، حتى أحكمت سيطرتها على الوضع في وسط ذهول الجميع! وراحت على ركبتيها تضم ذلك الفهد الجريح الصغير داخل أحضانها.. أما غدير فكانت تنظر إلى الناس حولها في جمود كامل، وعيناها لا يَرف لها جفن أبدًا! وكأنها تنظر إلى فراغ أسود دامس أمامها غير قادرة على الكلام!

وكأن ذلك الظلام قد أحكم قبضته على تلك الشَّفتين الصغيرتين، سارقًا قلبها وروحها.

بعد مضي بعض من الوقت، وبعدما أصبحت الشمس عامودية على تلك الأرض الخضراء، تمكن فهد برفقة غدير وليث أخيرًا، من الوصول إلى سوق «دينمون» الذي كان يقع شرق مدينة ريفيرويند، وغرب العاصمة «وتارين»، أي في مكان ما بينهما.

وفي الطريق ذُهل ليث من جمال المكان وانعكاس الطبيعة الخضراء الخلابة داخل عينيه الزرقاوين، وإلى تلك الشلالات الساقطة من أعالي الجبال الخضراء عن يمينه وعن يساره، والأنهار من تحت قدميه تسيل إلى ما يبدو وكأنه حافة العالم بحق، وإلى نسيم الطبيعة الخلابة وهوائها المنعش الذي تخلل شعراته القصيرة السوداء. والعصافير من حوله تطيرُ وتُغنّي ألحانًا وكأنها طيور الجنان. وزهور بألوانها الزرقاء والحمراء والبيضاء، وأغصانُ الشجر الخضراء تتراقص بينها في عناد، وكأنها تقول: انظروا إلي، أنا الأجمل، لا بل أنا هاهنا!

ثلاثة وحدهم في أرض خضراء أشبه بأرض الأحلام. وكأن اليوم هو يومهم، ولا

للقدر عليهم أي سلطان.

- «واااو! لم أرَ أبدًا في حياتي منظرًا كهذا أبدًا!!» بدأ ليث وعيناه الزرقاوان تُحاول استيعابَ جنَّة الأحلام.. وأضاف:

- «ظننت أننا سنقصد سوق الحي وليس هذا المكان!».

- «ها، ما رأيك؟» قالت ذات العينين العسليتين وهي تُخرج شعراتها الطويلة تتراقَص مع نسيم الجنان وكأنها أوراق شجر هربت من ذلك الغُصن من أعالي التلال.

- «لم.. لم...» حاول ليث انتقاء الكلمات المناسبة، ولكن خذله لسانه وكُل كيانه!

- «أنا كنتُ مكانك عندما رأيتُ هذا المكان أول مرة.. إنها حقًا جنَّة الأحلام...» قالت غدير ضاحكة، وأغمضت عينيها تستنشق عبق تلك الجنّة الخضراء.

- «ما هذا المكان؟» قال ليث وأخيرًا.

- «هذا المكان يُدعى أرضُ لاورين.. هل سمعت بها من قبل؟» قالت غدير.

- «أرض لاورين!» أجاب ليث في حيرة وأكمل ينظرُ إلى ذي الغمازتين وهو يعكس جلسته معطيًا الحصان ظهره:

- «أجل، لقد أخبرتني أمي عنها قبل أن نُبحر تلك الليلة على أنها أرض مُقدسة ويُحرم فيها الصيد والقتل وحتى الكذب، ولكن لم أظن أنها بهذا الجمال أبدًا!».

- «أحدهم يحظى بقصص قبل النوم ها!» أجابت غدير بابتسامة، وأكملت:

- «هل تعرف القصة وراء هذا الاسم؟».

- «لا!».

- «يُقال أنّه - وفي زمن بعيد جدًا - كانت أرض لاورين جنة خضراء قد امتدّ خَضارها إلى الصحراء العظيمة!».

- «الصحراء العظيمة؟».

- «أجل الصحراء قسّمت القارة إلى قسمين وغيرت من شكل الخارطة إلى الأبد!».

- «واه، ماذا حدث؟» بدأ فضول ليث يغلي، وأكملت ذات الغمازتين القصة بصوت يخيف ونبرة مُرعبة. أما فهد فكانت عينه على الطريق مُلتزمًا الصمت تمامًا.

- «يُقال أنه في أحد الأزمان الغابرة، كانت هناك حرب عظيمة جدًا.. شر أطلق عنانه في الأرض، قتل ودمَّر كلّ ما هو حيّ في طريقه، ولم يكتفي بذلك أبدًا! إذ زاد جشعه وطمعه للقوة المطلقة وأراد امتلاك كلّ شيء فاستعان بعدها بقوى محرمة ولم يسلم من بطشه أي مخلوق، حتى أتى ذلك اليوم الذي استسلم فيه الجميع وأحكم البؤس والرعب قبضته على أرواحهم... وهناك حدثت المعجزة!!».

- «ما الذي حدث بعدها؟؟» قال ليث، وهو يبلع ريقه من شدّة فضوله.

- «خرجت شابة تُدعى لاورين، كانت فتاة تتّسم بالقوة والجمال المطلق، واستطاعت بقوتها وحدها هزيمة ذلك الشر، وأعادت السّلام إلى القارة وأخيرًا، ولكن كان ثمن الفوز هذا كبيرًا جدًا! إذ نتج على إثر هذه الحرب ثمن باهظ، ألا وهو تضحيتها لنفسها، وأيضًا الأرض الخضراء هذه أصبحت أرضًا قحطة.. أصبحت أرضًا جافة ميتة.. أرض تأكل كلّ حيّ تطأ قدماه عليها، ويُقال أن داخلها تقبعُ مخلوقات الليل المرعبة.. مخلوقات ذوات أنياب طويلة حادة

كحد الرمح، وذوات أعين حمراء كقطرة الدم، بل كقمر أحمر يعكس تلك الدماء التي تسيل من على أنيابها الطويلة الحادة! مخلوقات متجبرة تسكن تلك الرمال في صمت مُخيف تنتظر تلك الأرواح البائسة كي تتلذذ بها مرة أخرى...».

- «غدير توقفي عن ملئ عقله بالخرافات.» قال الفهد.

- «واو!!» قال ليث بعينيه الزرقاوين الجاحظتين منبهرًا تمامًا.

- «ومع الوقت أصبح النَّاس ينادون الأرض تلك بالصحراء العظيمة، وسُمّيت هذه الأرض بأرض لاورين؛ لأنها القطعة الوحيدة التي نجت من تلك المجزرة، وسُمّيت باسم البطلة التي أنقذت الجميع {لاورين}...».

- «لقد وصلنا...» بدأ فهد، وعينه صوب تلك الأسوار العملاقة.

- «هل هذه هي دينمون؟».

- «أجل، هذه دينمون وأخيرًا...» أجاب الفهد بنبرة بدت وكأنها نبرة تحدّي ووعيد.

وتبعته ذات الغمازتين وقالت وعيناها العسليتان كما عينا الفهد تمامًا:

- «وأخيرًا، لقد حان الوقت..».

الفصل التاسع عشر..

فتاة الحطب

<<مملكة ليثيونا>>

<<مدينة روزن>>

- «هي أنت، أيتها المسخ!!» بدأت امرأة ما، تنادي بغضب.

- «أيتها المسخ ألا تسمعينني؟! كم مرة أخبرتك أنني لا أحبّ تجاهلك لأوامري هكذا ها؟!».

- «أجل سيدتي..» أجابت طفلة ما بنبرة الخضوع.

- «اه إيفيلين وأخيرًا.. هل انتهيتِ من غسل الثياب؟».

- «أجل سيدتي..» أجابت الطفلة إيفيلين وعيناها للأسفل لا تقابل عينيها، عارية الأرجُل لا حذاء لها يحمي قدميها، ولا كسوة تُدفئ بها جسدها الصغير من حبّات الثلج المتساقط.

- «حسنًا إذًا، أين هي تلك المسخ الصغيرة؟ لقد أخبرتها أن تذهب وتجمع بعض الحطب، أم أنها تريد أن نتجمّد جميعنا هنا حتى الموت ها؟!» صرخت المرأة غاضبة.

- «إنها نائمة يا سيدتي..» أجابت إيفيلين مطأطئة رأسها خائفة.

- «ماذا؟ في منتصف النهار؟! من سمح لها بذلك ها؟؟! ألا تعلم كم دفعت

لتاجر العبيد ذاك من أجلها!» قالت المرأة وقد كشّرت عن أنيابها الغاضبة وراحت بخطوات ثقيلة سريعة إلى حيث تلك المسخ.

- «أرجوكِ يا سيدتي دعيها تنام وأنا سأقوم ببقية مهامها لليوم..» اعترضت إيڤيلين بخوف تقدمها.

- «ماذا تقولين؟!» بنبرة غضب، انفجرت سيدة المنزل على إيڤيلين، وأضافت:

- «هل تظنين أنكِ بهذا الفعل سأسامحها على تقصيرها؟».

- «لا يا سيدتي، ولكنها ليست معتادةً على هكذا عمل! لذا أعدك أعطني فقط بعض الوقت كي أجعلها تنتظم في مهامها، أرجوك فمازالت طفلة صغيرة!».

عندها أخذت سيدة المنزل عصا، وهرعت إلى حيث تلك الفتاة الصغيرة النائمة، وراحت تصرخ بأعلى صوتها تنادي غاضبة:

- «أيتها المسخ! هل تظنين أنني سأتساهل معكِ؛ لأنك طفلة صغيرة؟!».

- «أرجوك يا سيدتي توقفي! أرجوك!» حاولت إيڤيلين متمسكة في سيدتها ألا تضرب تلك الطفلة مرة أخرى. ولكن تلك الشمطاء كانت عملاقة بشكل مخيف حقًا.

- «ابتعدي عني أيتها اللقيطة! قلت ابتعدي، سوف أعطي تلك المسخ درسًا لن تنساه أبدًا!».

عندها وفي وسط محاولات إيڤيلين لإيقاف سيدتها عن الصعود وضربها للطفلة، إذ بصوت صرير الأرض الخشبية قاطع عراكهما ذاك! وإذ بتلك الطفلة الصغيرة، بملامح باكية وعينين داميتين، وقلب مكسور، وصوت مهزوز، واقفةٌ لا حذاء عليها ولا لباس يكسيها من قساوة البرد في هذه الليالي الباردة المظلمة.

- «أها أخيرًا، لقد استيقظت أيتها المسخ، تعالي إلى هنا سألقنك درسًا لن تنسيه أبدًا!».

وهناك وفي لحظة ضعف وتعب، أخذت تلك الطفلة الصغيرة على ركبتيها، ونزعت تلك القماشة البالية التي كانت ترتديها، وفرّت دمعة واحدة من تلك العين العسلية.. دمعة قهر واحدة، كانت كفيلة بأن تُعلن استسلامها.

عندها صرخت إيڤيلين بأعلى صوتها ترتجي سيدتها عندما رأت دمعة الصغيرة أمامها قد هربت من على خدّها واستقرت على الأرض الخشبية الباردة.

- «قلت لكِ اتركيني يا إيڤيلين!» صرخت الشمطاء تضربها على رأسها حتى تتركها، ولكن إيڤيلين كانت متمسكة بإحكام!

وفي الأخير استطاعت تلك الشمطاء التحرر من قبضة إيڤيلين ووجّهت لها ضربة قوية على فكّها، وسقطت الأخيرة أرضًا لا تستطيع الحراك من شدة الألم. وهرعت الشمطاء إلى الأعلى وأخذت تبرح الطفلة الصغيرة ضربًا مُوجعًا على جسدها الهش النحيل بلا توقف وتُردّد:

- «كم مرة قلت لكِ أنني لا أحب تجاهلك لأوامري! هل تحبين أن تهاني هكذا لبقية حياتك ها؟!».

وأخذت تنهال عليها بالضرب حتى وقعت الطفلة أرضًا وبدأت تفقد وعيها من شدة الألم!

أما إيڤيلين فلم تستطع الحراك أبدًا وظلت تشاهد صديقتها الوحيدة تُضرب بشكل جنوني حتى فقدت وعيها تمامًا أمام عينيها الخضراوين ودماء ظهرها الدافئة تسيل على تلك الأرض الباردة، مُذيبة حبّات الثّلج الصغيرة.

- «ليكن هذا درسًا آخر لكِ، وإلا سأبيعك بأبخس ثمن لأيّ عجوز منحرف

أيتها المسخ!» قالت الشمطاء، وأكملت تصرخ معاتبة بغضب، والفتاة تحتها قد فقدت الوعي تمامًا:

- «أهكذا تشكرينني؟! لم ينظر إليكِ أحد غيري، ولولاي لكنتِ جيفة ميتة في طرقات المدينة الباردة، أنا أعطيتكِ مكانًا يأويكِ، ولباسًا يكسيك، وطعامًا يُشبع معدتك الجاحدة، وهكذا تجازينني بعصياني وتجاهلي تمامًا؟!».

ولكن لم تلقَ أي إجابة وظلت الطفلة على الأرض مغشيًا عليها حتى حاربت إيڤيلين الألم، وأخذت تحبو على ركبتيها فوق الدرج حتى وصلت إليها وأخذتها بالأحضان كي تدفئها.

- «تتفففف...» بصقت الشمطاء عليهما وأنهت كلامها وقالت:

- «لقيطة ومسخ! يا إلهي ما الذي دهاني كي أحتفظ بطفلتين مثلهما لا نفع منهما أبدًا؟ اسمعاني جيدًا، إذا أردتما الدفء وملابس هذا الشتاء، عليكما العمل من أجل ذلك، لا أن تتجاهلا أوامري هكذا هل سمعتما؟!».

بصوت متألم ونبرة مهزوزة أجابت إيڤيلين وهي تحتضن تلك الطفلة مغشيًا عليها من شدة الألم. أصبح ظهرها مُعلَّمًا بآثار تلك العصا الطويلة وآثار جراحها القديمة تتفتّح في كلّ مرة زارت تلك العصا وحاملتها الشمطاء جسدها الصغير.

- «حح.. حا.. حاضر يا.. سيدتي...» قالت إيڤيلين بصوت يرجف خوفًا وألمًا.

- «سوف أغيب لبضع سويعات، وإن عدت ولم أجد تلك الأحطاب في مكانها...»

- «أعدك يا سيدتي سوف نفعل ما أمرتنا به أعدك..» قاطعت إيڤيلين سيدتها في لحظة تعب وقهر وقلب مكسور على تلك الصغيرة بين يديها.

بعد مدة طويلة استيقظت تلك الطفلة الصغيرة في فراشها الرث مُغطاة بضمادات على كامل جسدها. وفروة قديمة رثة فوقها كي تدفئها من بردها. وأخذت تنظر حولها ولم تجد أي أحدٍ غير دلو حارّ من الماء وبعض الضمادات الحمراء. وراحت تحاول الجلوس ولكن ألمها كان أطغى من أن تتحمل هذا العذاب المميت!

فأخذت تصرخ من شدة الألم، وبدأت تبكي من داخلها حتى هربت دموعها البريئة كنهر جارٍ لا حدود له، وقلبها الصغير يستنجد بأحدٍ ما كي يُخلصها من هذا العذاب.. وفي تلك اللحظة صرخت صرخة قوية جدًا، صرخة لو سمعها أحد ما لدبّ في قلبه الألم والحزن و.. والرعب!

وعندها وفي لحظة خوف هرعت إيفيلين مسرعة إلى حيث تلك الطفلة فوجدتها على الأرض تحبو تتحدى ألمها بقوة، وعيناها تفيض دمًا بلا توقف من شدّة البُكاء.

- «يا إلهي، لماذا غادرت فراشكِ!»،

عندها وبسرعة راحت إيفيلين على ركبتيها تحمل تلك الصغيرة داخل أحضانها بخوف وقلق.

- «إيفيلين...» بدأت الطفلة بقلب مكسور وصوتٍ متألّم مقهور:

- «إيفيلين، لم أعد أستطيع تحمل هذا الألم أرجوك.. أرجوكِ، لا أستطيع التحمل أكثر من هذا..».

كانت تلك الكلمات مثل رمح اخترق قلب إيڤيلين تمامًا، فبين يديها طفلة صغيرة نالت من العذاب ما يكفي،

- «لماذا خرجت من غرفتك؟ لقد قلت لكِ أنني سأتكفّل بِكُلِّ شيء اليوم!» قالت إيڤيلين معاتبة إياها بخوف.

وهناك نظرت الطفلة إلى عيني إيڤيلين الخضراء بين أحضانها وأكملت بنبرة مهزوزة باكية، وعينين دامعة:

- «لقد سمعت شجاركما، وظننت أنها ستضربك بدلًا عني..».

عندها غرست الصغيرة نفسها داخل أحضان إيڤيلين في لحظة استسلام، وأكملت تصرخ وتبكي وترتجي بكل قلب مجروح متألم وروح ذابلة:

- «ولكن أرجوك لم أعد أستطيع التحمل، يكفي! يكفي! يكفي! يكفي!».

لم تكن هناك أي كلمات تستطيع إيڤيلين قولها كي تخفف من ألم تلك الطفلة المنهدّ كيانها. فلا توجد أي كلمة من الأساس قادرة على إعطاء تلك الطفلة ما تريده، ألا وهو لهذا الألم والعذابِ الدّائم أن يتوقف!

ولكن كان لا بد من إعطاء تلك الصغيرة بعضًا من بصيص الأمل ولو كان أملًا مزيفًا، وإلا سينتهي بها الأمر روحًا تائهة داخل هذا العالم الظالم.

حاولت إيڤيلين استجماع قوة قلبها للحظة، وشدّت بحضنها على تلك الطفلة الصغيرة، وقالت وهي تنظر إلى ذلك الفراغ أمامها بنظرات التحدي والعصيان، وبنبرة الإصرار وعدم الاستسلام:

- «أعدك.. أعدكِ أنني سأخلصكِ من هذا العذاب...» - ثم بدأت عيناها الخضراوين تذرف دموع القهر والألم، وأكملت مُؤكّدة على وعدها بكل ثقة:

- «أعدك، ولو كان هذا آخر شيء أفعله يا ليان!».

الفصل العشرون..

دينمون

«مملكة ريفيرلاند»

عندما وصل الثلاثة أعتاب سوق دينمون، زادت علامات الدهشة والانبهار على ملامح وجه ليث في لحظة إنكار لما تراه عيناه أمامه.. ليس فقط مما رآه قبلًا فحسب، بل ما تراه عيناه الآن أيضًا.

أسوار عملاقة اجتاحت بضخامتها أبواب السماء، وعرضها الكبير قد غلب أعين الناظرين إليها وكأنها أسوار تحدّت أولئك البحارة الحالمين وسبقتهم إلى حافة العالم.

- «إنها.. إنها..» بدأ ليث يحاول انتقاء الكلماتِ المناسبة لهذا المشهد مرة أخرى.

- «وفر إعجابك هذا لما بعد أيها الغريب! لدينا عمل مهم هنا، لم نأتِ لقضاء وقت ممتع...».

- «اههمم.. حسنًا..» أجاب ليث سارحًا، وعيناه تحاولان رؤية نهاية الأسوار، ولكن دون جدوى.

- «فهد!» اعترضت غدير بنبرة عتاب.

- «ماذا؟».

- «دع العصفور الصغير وشأنه!».

- «عصفور؟!» اعترض ليثُ في استغراب.

- «عندما تولد العصافير تظن أن العالم مجرَّد عُشّ صغير لا غير، ولكن عندما تبدأ الطيران، تكتشف أن العالم أكبر وأجمل مما كانت تتوقعه...».

- «وما علاقة العصفور بي؟» أكمل ليث في حيرة يتساءل.

عندها نظرت غدير إليه بابتسامة، وراحت تلمّ خُصلات شعرها الطويلة، وأخذت تفتح باب العربة وهي تتحرك بسرعة، وخرجت تقفز إلى حيث ذلك الفهد، وحطت على فرسه. وأخذت بيدها حول خصره متمسِّكة به، وقالت مبتسمة:

- «أنت ما زلت تتعلَّم الطَّيران، أيها الغريب...».

أعطت تلك الكلمات تأثيرًا غريبًا مرسومًا على وجه ليث أو رُبّما ما فعلته ذاتُ الغمازتين للتو، بقفزها من فوق العربة إلى حيث الفهد بخفة وسلاسة مبهرة!

- «غدير هل سلة الكعك جاهزة؟» قال فهد.

- «إنها جاهزة تمامًا هذه المرّة..» أجابت غدير ضاحكةً بنبرة غريبة تكيد شيئًا ما.

- «لماذا تقصدين هذه المرة؟!» قال ليث.

- «هذا يعني أن اليوم هو يوم حظك أيها الغريب؛ لأنّك ستشهد شيئًا يجعل ما رأيت قبل قليل، مجرَّد طُرفة مُضحكة مُقابل ما سأريك إيَّاه بالداخل!» قال الفهد بنبرة مختلفة مفعمة بالحياة والمكيدة أيضًا!

وعيناه السوداوانِ اشتعلتا وهجًا أمام ذلك الغريب بنظرات التحدي والإصرار! أما تلك الابتسامة في الأخير، فقد دبّت في قلب الغريب شيئًا من الخوف والحماس في نفس الوقت، وأنهى الأول بنبرته الحادة قائلًا:

- «سترى شيئًا لا يوجد في كتب الخيال حتى!».

- «ماذا تقصد؟ ألسنا هنا كي نُورد البضاعة لأحد التجار؟».

- «أجل هذا، وأيضًا شيء ما صغير..» أجابت غدير وعيناها الحادتان مبتسمتان صوب السلة داخل العربة.

يُعد سوق دينمون من أكبر المعالم السياحية والتجارية في مملكة ريفيرلاند، حيث يُعد هذا المكان منبعًا للتجارة وجذب السياح. ففيه تجد كل ما تشتهيه الأنفس من ملذَّات الحياة، من أطعمة مختلفة ألوانها، وأسلاك الحرير، والملاهي الليلية، والجواري، وروائح تلك البهارات اللّاذعة التي مُزجت مع نسيم الرياح المنعشة وسط تلك الاحتفالات اللامتناهية. وتُحيط بتلك الجنّة الزائفة أسوار عملاقة تحفظ سِرَّ هذا المكان الغريب. فربما للبعض يُعد هذا المكان جنة، ولكن للبعض فهو وكر لأولئك الذين يتربّصون بالمغفلين تحت أجنحة الظلام وبين أزقة المدينة الضيقة في انتظار لحظة تبرز فيها تلك الفريسة السهلة كي تقتات عليها.

فدينمون هي بالتأكيد ليست مكانًا للمُغفّلين أبدًا، بل هي لأولئك المكرة الأذكياء الذين ملأ الجشع والطمع قلوبهم حتى أصابع أقدامهم.

كن.. أو لا أكون..

أبقِ عينيك يقظة لما يدور حولك ولا تصدق تلك الابتسامات الزائفة، وتلك الأيادي الكريمة، ولا حتى أعين وابتسامات الأطفال البريئة.

كن.. أو لا أكون..

احذر، فهذه دينمون.

.

وبين ممرات السوق الضيقة، مضى أولئك الثلاثة في طريقهم بين تلك الجموع الكثيرة والأصوات العالية والأيادي المنادية.

- «ليث..» بدأت غدير بنبرة تحذيرية عائدة داخل العربة.

- «ماذا؟».

- «مهما حصل لا تتكلم أو تتبادل النظرات مع أي أحد، أو حتى تُظهر ملامح الإعجاب على أي شيء كان، هل سمعت؟».

- «حسنًا..» أجابَ ليث مُحاولًا البقاء متزنًا.

- «علينا التواري عن الأنظار إذا أردنا النجاح في هذهِ العملية.» بدأ فهد محذرًا.

- «ولكن حتى الآن لا أعرف ما الذي سنفعله من الأساس؟» أجاب ليث بنبرة حائرة.

- «سوف تعرف حين يحين وقتك أيها الغريب..».

بعد دقائق تمكّن الثلاثة من الوصول إلى ذلك المتجر وبدأ ليث وفهد بتنزيل البضائع.

- «هذا آخر الصناديق يا سيدي...» قال ليث.

- «شكرًا لك أيها الصغير..».

- «لا شكر على واجب!».

- «ااء، هل لك أن تُساعدني بأمر آخر بالداخل يا بني؟» قال صاحب المتجر طالبًا بأدب وصوت رحب.

- «أجل بالطبع..».

- «كم أنتَ فتى مطيع ومهذب...» أثنى عليه الرّجل، وأضاف وهو يضع يده على كتف ليث مُبتسمًا:

- «لقد نسيت ما اسمك يا فتى؟».

- «اسمي...».

- «اسمي هو فهد، وهو الاسم الوحيد الذي عليك معرفته أيها العجوز..» اعترض فهد بصوت حازم وهو يدفع العجوز بيده بعيدًا عن كتف ليث.

- «لدينا فتى حاد الطباع هنا؟ حسنًا حسنًا، فقط أردت التعرف على هذا الفتى اللطيف لا غير.» قال الرّجل مُختبئًا خلف تلك الابتسامة المزيفة.

- «وأنا أيضًا أستطيع أن أكون لطيفًا بدوري! هل تريد التعرف علي؟» أجابَ الفهد بنبرة حادة مُشيرًا إليه بذلك الخنجر الصغير، وأخذ ينظر إليه بنظرات التحدي.

عندها تبادل الاثنان النظرات في صمت للحظة. ثم همس بغضب مُبتعدًا ذلك الرجل:

- «طفل لعين ههمم..».

ولكن ليث لم يعجبه تصرفُ الفهد، وقال معاتبًا:

- «لماذا فعلت هذا؟ لقد كان لطيفًا معي.».

- «أجل لقد كان لطيفًا جدًا، ورُبّما سيكون ألطف لو ذهبت معه للداخل لوحدك أيها المغفل!» أجاب الفهد بنبرة متهجمة.

ولكن ليث لم يفهم المقصود، وظل ينظر إلى الفهد بنظرات العتاب، وراح فوق حصانه دون أن ينطق بكلمة.

أما الفهد فقد كانت أنظاره متجهة إلى حيث تلك المنارة الكبيرة غريبة الشكل أمامهم، وقال وتلك الابتسامة المخيفة تعتري وجهه:

- «حسنًا، الآن سوف تبدأ مهمتنا الحقيقية!».

الفصل الواحد والعشرون..

الخائن

«مملكة إيثيريا»

«العاصمة ريسيليا»

{وفي قصر لينمارد، في مكتب مستشار المملكة وساعد الملك..}.

- «هل وصلتنا أي أخبار بعد؟» بدأ السيد شهاب.

- «لا ليس بعد..» أجابت نورا، وأضافت تُحاول تهدئته:

- «لا تقلق، أنا متأكدة أنهم سيتمكنون منه هذه المرة.».

- «تبًا!» اعترض السيد شهاب ضاربًا يده على الطاولة غاضبًا، وأكمل قائلًا:

- «كان عليّ الذهاب معهم، فنحنُ لا نعلم ما الذي يُفكر به ذلك الخائن! ففي كلّ مرّة نقترب فيها من الإمساك به، يفلت منا بطريقة ما!».

- «يوهان وتوماس من أذكى الرجال الذين قد عرفتهم، وليس من السهل خداعهم، وأيضًا المعلومات التي وصلتنا أتت من مصدر موثوق جدًا للأمير يوهان! لذا أنا متأكدة أنهم سيتمكنون منه هذه المرة..» قالت نورا تحاول تهدئته.

- «إذًا لماذا أشعر بهذا الشعور الغريب في صدري؟! وكأن هناك شيئًا ما سيغير مجرى كلّ شيء؟».

- «ربما هذا بسبب إرهاقك الشديد يا سيد شهاب، فأنت لم تنم طيلة الليالي السابقة أبدًا.. وأيضًا السبب لعدم ذهابك معهم هو أن المملكة بحاجتك هنا، لذا عليك الإيمان بهم ودع الباقي لهم أرجوك!» عندها أخذت نورا تنظر إليه بنظرات العطف، وقالت بنبرة هادئة راجية هدوءه:

- «أرجوك ثِق بهم يا شهاب..».

عندها راح السيد شهاب جالسًا، وقال بنبرة أشبه بنبرة طفل صغير خائفًا من تلك الأحلام المرعبة التي أصبحت تطارده أينما كان وكأنها أشباح قد أتت خلفه لجعل حياته جحيمًا لا ينتهي.

- «ااه.. لا أستطيع يا نورا..» قال وهو يتنفس بقلق.

- «ماذا تعني؟».

- «في كلّ مرة أغمض فيها عيني، أرى ذلك المشهد أمامي.. زوجتي وصديقي بين يدي مُلطَّخان بالدم، وفي كل مرة أحاول مساعدتهم أشعر وكأن جسدي ثابت في مكانه لا يتحرك! وكأن هناك أياد خفية تمنعني من ذلك.. عندها أبدأ بالصراخ بشدة ولكنني لا أسمع صوتي أبدًا... وكأن تلك الأيادي قد أحكمت قبضتها علي.. هنا عندما أبدأ بالشعور بالاختناق وأستيقظ من النوم فزعًا وسط الظلام.» عندها أخذ السيد شهاب ينظر إليها بنظرات الندم والحزن والاشتياق، وقال مكسور القلب:

- «لقد خسرت زوجتي وأعز أصدقائي والآن ابني! كل ذلك بسببي أنا! وقد أرسلت ابنتي الوحيدة بعيدًا عني خوفًا أن يصيبها مكروه، ولكنني في الحقيقة أرسلتها لأنني لم أعد أستطيع النظر في عينيها بعد الآن.. فكل ما أراه عندما أنظر إليها، هو كم أنني قد خذلتها وخذلت الجميع بصفتي حاميًا للمملكة وبصفتي أبًا لها! ولا بد من أنها تكرهني الآن ولن تسامحني أبدًا.».

عندها بدأت تلك الأنظار الحزينة، والنبرة المهزوزة تتلاشى، وقال ذلك الشهاب بنظرة حادة قاتلة، ونبرة صارمة:

- «لذا اعذروني إذا لم أرد النوم قبل أن أمسك بقاتل ابني وذلك الخائن الوغد كساندر!».

- «لا أستطيع أن أقول أنني أُميز مقدار الحمل والندم الذي تحمله..» أجابت نورا، وأخذت بخطواتٍ صغيرة تقترب منه، ثم أراحت يدها على كتفه وعيناها قد أصابت عيناه التائهتان تلك، وأكملت بنبرة متزنة دافئة:

- «ولكن كلّ ما أقوله، أن لنفسك عليك حق! وأن تؤمن بيوهان والوعد الذي قد قطعه لك..».

- «سأرتاح عندما أرى رأس ذلك الوغد كساندر بين يدي هاتين!».

- «إذًا أرجو حقًا أن ينالوا منه هذه المرة.» قالت نورا مبتعدة وأنهت بصوت حازم:

- «إذا كان كساندر بالفعل في دينمون كما وصلنا... فلا أعرف أحدًا يستطيع مجاراة الأخوين توماس ولينورد في ذلك المكان والتفوق عليهما أبدًا! فبعد كل شيء، ذلك المكان كان مهدهما.».

«دينمون»

- «أيها الغريب اسمعني جيدًا...» بدأ فهد داخل العربة مخاطبًا.

- «اسمي ليث.».

- «هل ترى تلك المنارة أمامنا؟».

- «أجل، أراها!».

- «هل تعرف ماذا بداخلها؟».

- «كرامتك؟».

- «انظرا لكما الاثنان..» قالت غدير، تبتسم ضاحكة على عداوتهما اللطيفة.

- «اسمعاني جيدًا، داخل تلك المنارة، يوجد نصل ما يدعى نصل الليل، وهو تحت حراسة شديدة رفقة أشياء أخرى لا تقدر بثمن، ولكن نحن هنا فقط من أجل ذلك النصل.».

- «وكيف تُخطط لشرائه؟ فلا أظنك تملك المال حتى لشراء كرامه..» وقبل أن يُكمل ليث انتبه لشيء ما، وقال مستعجلًا بخوف:

- «يا إلهي، لم تسترد قيمة البضائع، من ذلك التاجر...».

وهناك أخذت ذات الغمازتين تتبادل النظرات المبتسمة مع الفهد، فيما ظل ليث في حيرة يتساءل:

- «ماذا؟ لماذا تضحكان؟!».

- «اهدأ أيّها الغريب، فقد حصلنا على المال وأكثر..» أجاب فهد، وراح يُخرج تلك المحفظة القماشية من إحدى جيوبه ورماها إلى ذلك الغريب بابتسامة صغيرة اعتلت وجهه الماكر:

- «انظر..».

- «ولكن متى؟ أنا متأكد أنه لم يعط...» وقبل أن تغادر تلك الكلمات لسانه، نظر ليث إلى طرف حبل المحفظة فوجدها ممزقة!

- «ولكن كيف؟ لقد كان ينظر إليكَ مُباشرة! كيف تمكنت من سرقتها؟»،

- «أنت تنظر إلى الأمر من منظور ضيّق أيها الغريب.».

- «اسمي هو ليث!».

- «لقد كان ينظر إلى عينيّ طيلة الوقت، ولكن حينها كنتُ قد سرقتها بالفعل...».

- «لقد أخذها عندما دفع ذلك الرجل بعيدًا عنك، يا ليث..» أجابت غدير مبتسمة.

ومن ثم قال ليث، منبهرًا بفضوله كالعادة:

- «ولكن كانت تلك جزءًا من الثانية فقط! كيف تمكّنت من فعلها دون أن يشعر؟».

- «فهد يبدو أن لديك مُتدربًا جديدًا!» قالت غدير مُبتسمة في عيني الفهد.

- «أليس هذا المال أكثر مما نستحق؟ أشعر بالسوء من أجل ذلك الرجل..».

عندها أجابت صاحبة الغمازتين، بوجه لطيف مُستهزئة به بابتسامة:

- «صدقني كُنّا لنشعر نحن بالسوء إذا رافقته للداخل..».

- «المنارة يحرسها ثلاثة حُرّاس مُسلّحين من الخارج بما أن ليس لها إلا مدخلًا ومخرجًا واحدًا..» قاطع فهد حديثهما منتبهًا إلى الخطة الأساسية، وأضاف مخاطبًا كلاهما بنظرات جادة:

- «وكل طابق يؤدّي إلى غرفة الآثار يحظى بحراسة مشددة على مدار الوقت..».

- «أنا لا أريدُ المشاركة في هذا.» قال ليث رافضًا.

- «نحن! نحن من سيفعل ذلك!» اعترض الفهد، وأضاف:

- «أما أنت فستبقى هنا كي تحرس العربة.».

- «ماذا عن غدير؟».

- «أنا سأدخل المنارة من الباب الأمامي..» أجابت غدير وهي تمسك سلة الكعك بين يديها، مبتسمة بخبث.

- «ماذاا؟!» قال ليث، بصوت عال.

- «أخفض صوتك أيها الغريب الأحمق!!» عاتب فهد، وراح يتفقد الخارج قلقًا.

- «أووه آسف..».

- «على مدار الأسابيع السابقة، كانت غدير تُعدّ سلَّة الكعك هذه، وفي كل مرة نأتي إلى هنا، كانت تعطيها لحراس المنارة، كي تستلطفهم! وقد أعجبتهم كثيرًا، وأصبحوا ينتظرون قدومها كلّ مرة ومعها سلة الكعك ذاتها...».

- «وهل تأتون إلى هنا دائمًا؟» قال ليث بغرابة، وأضاف:

- «لقد أخبرني العم أوجان أنَّه يُتاجر ببضاعته في سوق ريفيرويند وليس

دينمون!».

- «هل تظن أن مزرعة بذلك الجمال كانت لتكون بهذا الشكل إذا استمرينا في الذهاب إلى سوق ريفيرويند؟» قال فهد، وأكملت غدير مبتسمة من بعده بصوت هادئ:

- «العم أوجان لا يعلم أننا نذهب ونتاجر ببضاعته هنا في دينمون، وإلا سيغضب حقًا، فهو يكره دناءة التجار في هذا المكان جدًا..» وأضافت بعدها بنظرات مُراعية ونبرة جادة:

- «العم أوجان كبير في السن، والحقيقة هي أنه إذا استمرينا على حاله القديمة، فلن نستطيع كسب قوت أربعتنا أبدًا.. وأيضًا سوق دينمون لا يختلف عن موطننا كثيرًا، لذا نعرف كيف ندير أمورنا هنا أفضل من أي مكان، والمكسب هنا وفير أكثر، لذا لا أحد خاسر!».

- «لم أكن أعلم ذلك..» قال ليث، بنظرات مُراعية ونبرة هادئة.

- «هل ستخبره؟» قالت غدير تتساءل.

- «أنا حقًا أكره الكذب..» أجاب ليث، ثمّ توقف للحظة يُفكر بين نفسه، وأكمل:

- «لا أظن أنني سأخبره، طالما تخبرانه بالحقيقة أنتما.».

ابتسمت عندها غدير، وقالت:

- «أنت حقًا غريب، أيها الغريب!».

- «هل انتهيتما الآن؟» قال فهد، وقد نفذ صبره منهما!

- «آسف..» أجاب الاثنان بخجل.

وهناك أكمل الفهد قائلًا:

- «إذا أراد أحد ما حراسة شيء ثمين، فسيضع عليه حراسة مشددة في المداخل التي يظنّ أن السارق سيلجأ إليها، كالنوافذ والباب الخلفي وغيرها، وستبقى تحت حراسة شديدة الملاحظة طوال الوقت! ولكن المكان الوحيد الذي لن يخطر على بال أحد، هو أن يلجأ السارق إلى الباب الأمامي أمام أنظار الجميع وفي وضح النهار هكذا!».

- «مازلت لا أفهم، كيف ستتمكنان من الدخول؟! وما علاقة كُل هذا بسلّة الكعك؟!».

- «كما قلت سابقًا، على مدار الأسابيع السابقة جعلت غدير تكسب ودّ الحراس وثقتهم بإعطائهم بعض الكعك، وأصبح بإمكانها الدخول والخروج من المنارة دون أن يعترضها أحد..».

- «أهاا!!».

- «ولكن هذه المرة صنعت الحلوى، ووضعت فيها لمستي الخاصة!» أكملت غدير بنظرة شريرة لطيفة، وأكملت بصوت لعوب ومضحك كالمجنون:

- «هذه المرة سوف أجعل بطونهم.. بوووووووفف!!!».

- «بب..ب… بببوووووووووفف!! هل سنقتلهم؟» هاج الليث بعينين جاحظتين خائفًا.

- «ششششششش أيها الأحمق!!» انقضّت غدير عليه وأخذت تقبض بيدها على فمه، ونظرات الخوف المضحكة اعتلت وجهها اللطيف، وأكملت:

- «لا لن نقتلهم! سوف أجعل معدتهم تؤلمهم بشدّة، لدرجة أنهم سيتحاربون على من يدخل الحمام أولًا…».

- «وكيف ستتمكن هي من سرقة النَّصل إذًا؟».

- «ليس هي، بل أنت..» قال الفهد بملامح عادية تمامًا.

- «أنا؟! لا لا لا!» صرخ الليثُ واكتفى منهما، وانتهى.

- «اخفض صوتك أيها الأحمق، سيسمعك الحراس!».

- «ماذا تقصد بأنني من سيسرق النّصل؟ ألم تقل أنني سأكون هنا أحرس العربة؟» اعترض ليث وهو يحاول خفض نبرة صوته العالية بملامح مضحكة.

- «هذا جزء من مهمتك، أجل...» قال الفهد مُؤكدًا.

- «أنا لن أكون جزءًا من خطتكما هذه، ولن أسرق أي شيء لصالحكما!».

- «ولكنك تسترت عليه عندما سرق محفظة ذلك الرجل المنحرف مما يجعلك جزءًا من خطتنا أليس كذلك؟!» أجابت ذات العينين العسليتين، وأكملت بنظرات مضحكة مستدرجة إيَّاه إلى فخها:

- «وأيضًا أنت لم تعترض عندما ظننت أن مهمتك هي فقط حراسة العربة! أم أنك تشعر بالخوف أيها الليث الصغير ها!».

- «ههه، أنا لا أشعر بالخوف!» أجاب ليث بضحكة متصنعة، وأكمل قائلًا:

- «ولكن السرقة شيء سيئ، سواءً كانت من رجل منحرف أو من أي شخص كان!».

- «وهل تظن أن ما يوجد داخل تلك المنارة هي أشياء ليست مسروقة حقًا؟» اعترض فهد، وأضاف ونظرة التحدّي تعلو تلك العينين الساحرتين:

- «هذه دينمون أيها الغريب! كلّ شيء هنا مسروق، وأيضًا أنت الشخص الأنسب لهذه المهمة؛ لأنَّك واضح جدًا ولن يشكّ بك أحد أبدًا!».

عندها أخذت ذات الغمازتين بيدها على يد ليث، وقالت بنظرة دافئة، وأكملت بصوت حازم جادّ على غير العادة:

- «ليث، نحن لا نسرق للمتعة، ولكن هذا النصل هو شيء لا بد لنا من امتلاكه، إذا أردنا رد الدين لأولئك الذين سلبوا منا كل شيء!».

وهناك دام الصمت قليلًا، وأخذ ليث يُفكر فيما قالته وهو يتمعن تلك العينين الدافئتين، وعندها تذكر ما قالته سعاد، عندما أخبرته عن تلك الفتاة التي أتت من مكان ما خلف البحر ملطخة بالدماء، ونظرات الخوف والألم قد طغت عينيها البريئتين. وراح يُفكر بين نفسه في ما الذي قد حدث لهذين الاثنين من مصائب وما قد خسروه كي يجعلهما يسلكان طريق الانتقام هذا، ولكن عندها اعترض حبل أفكاره تلك الذكرى المؤلمة عندما رأى أخته ممددة في قارب النّجاة لوحدها، وأخذ يُفكر فيما إن كان هناك من قد سلب منه كلّ شيء، أخذ يُفكر فيما إن كان هناك شخص يمكنه لومه على كلّ ما حدث بدلًا عن لومه لنفسه. وفي تلك اللحظة رأى ليث أنهما متشابهان بطريقة ما، وإن كانت دوافعهما مختلفة، فكلاهما قد عانى الكثير وتكبّدا خسارة أحبائهم وقد حان الوقت لتصفية ذلك الدين.

- «حسنًا.. سوف أفعلها.» أجاب ذلك الليث الصغير بنظرة واثقة وأخيرًا.

- «ولكن ذلك الرّجل يستحق ما جاءه...» أكملت غدير مشيرة بعينها إلى المحفظة المسروقة، وأنهت تضحك في وجه ليث، بشكل لطيف:

- «كم أود أن أرى وجهه عندما يعلم أن محفظته قد سُرقت!».

- «حسنًا إليكما الخطة...».

بدأ فهد بشرح الخطة لهما بأدق تفاصيلها وعندما انتهى همّ الثلاثة كل بدوره.

خرجت غدير أولًا من داخل العربة متوجهة إلى حيث أولئك الحُراس منتظرة الإشارة من فهد الذي كان يتمركز فوق أحد المباني المطلّة على المنارة. أما ليث فقد أخذ بالعربة إلى خلف ذلك المبنى الذي يقف عليه فهد، منتظرًا أن يعطي غدير الإشارة بالاقتراب من الحراس.

بدأ فهد أولًا بتفقّد المحيط حوله، وأخذ يقفز بين تلك المباني العالية كالفهد، بكل سرعة وخفة وسلامة، دون أن يشعر به أي أحد أو يعكر من صفوة تلك الرياح العاتية، وكأنه أصبح جزءًا منها يتراقص بينها بكل هدوء وسكينة، مُسيّرًا إياها لتخدمه في عدوه الخافت، كخطوات الموت الساكنة تترقب فريستها بكل صبر وصمت وحذر.

ولكن قبل أن يُعطي فهد الإشارة لغدير، لاحظ شيئًا مختلفًا في المكان، ولم يستطع إلا التساؤل عن ماذا كان ذلك الشعور الغريب!

- «هناك شيء ما مختلف! المكان هادئ بعض الشـ...» وهناك حدث ما لم يكن بالحسبان!

سقطت المنارة بكاملها وانهدّت!

أصوات تلاحم سيوف، وقوى تتشابك هنا وهناك بسرعة مرعبة!

وغبار الحطام ملأ المكان، وأصبحت الرؤية شبه معدومة!

عندها قفز ليث بسرعة وكلّه خوف على حصانه، وراح يصرخ مُستنجدًا بفهد الذي عاد إليه مسرعًا.

- «ليث، إلى داخل العربة بسرعة!» صرخ فهد من أعلى المبنى حاملًا خنجره.

❊ ❊ ❊

- «ولكن ماذا عن غدير؟» اعترض ليث خائفًا.

- «قلت ادخل!» بغضب على وجهه، صرخ الفهد وقفز من على سطح ذلك المبنى بسرعة، واستوى على ظهر حصانه، وأخذ يشد لجام الحصان مُسرعًا مُتخوفًا على أن مكروهًا قد أصاب غدير!

واتجه بالعربة حيث كانت ذات الغمازتين أمام المنارة تنتظر الإشارة.

وفي غمضة عين أصبح فهد وسط تلك المعمعة، النَّاس تركض من حوله صارخة تريد النّجاة بحياتها غير مبالية بما يقبع أمامها، فمنهم من دُهس فوق عجلات العربة ومنهم من ذاق حذوة الحصان وكُسرت أضلاعه، وذلك الفهد أصابه العمى من شدة الغبار لا يدري ماذا يجري حوله. أصوات تلاحم السيوف وقوى ضاربة هيمنت على المكان. وصرخات عن يمينه وعن شماله، ولكن ذلك لم يجعل من الفهد يتوقف ولو للحظة! أخذ ينادي ويصرخ بحثًا عن غدير وملامح الخوف قد ملأت عينا ذلك الفهد في لحظة رُعب وقلق.

- «غديييرا! غديييير... أين أنتِ؟!».

- «أنا هنا! فهد أنا هنا!» صرخت بكل صوتها.

وفي تلك اللحظة إذا بتلك الرّيح القوية تقشع ضباب ذلك الغبار من حوله، واستوت عينه على ذات الغمازتين، فهرع قافزًا من على حصانه متجهًا إليها بسرعة.

- «غدير! هل أنتِ بخير؟ هل أصابكِ مكروه؟».

- «لا لا، أنا بخير، أنا بخير! ماذا عن ليث؟».

- «إنه داخل العربة هيا علينا الخروج من هنا وبسرعة!».

عندها وفجأة إذا بصوت مألوف اعتلى في المكان صداه، صوت جعل من ذلك الغريب يخرج من تلك العربة بحثًا عن ذلك الصوت!

- «ليث ما الذي تفعله؟ أخبرتك ألا تغادر العرب!» صرخ فهد وهو يقود غدير بين أحضانه إلى داخل العربة.

«سعاد.. هذا صوت سعاد!» بدأ الغريب متخوفًا.

عندها وقبل أن يصعد الثلاثة داخل العربة إذا بريح عاتية هبّت على المكان وقشعت ذلك الغبار الكثيف من حولهم، وهناك استوت أعين الثلاثة على ذلك القتال المرعب!

كانت صاحبة العينين الرماديتين تُقاتل بكل قوة وجبروت ذلك الشخص أمامها والغضب قد اعترى وجهها بالكامل، وهي تصرخ متوعدة بكل حقد وكره ونظرات عينيها الحادّتين لا تبتغي إلا القتل والقتل ولا شيء غير القتل!

تجمد الثلاثةُ في مكانهم وهم يشاهدون ذلك القتال المخيف والمهيب، وتلك الفتاة أمامهم التي لطالما عرفوها بطيبتها ونظرتها العطوفة تقاتل بتلك الضراوة المرعبة، تقاتل بغضب وبسرعة هائلة تكاد تسبق أعينهم الصغيرة، حتى فهد واجه صعوبة في مجاراة ذلك القتال المهيب وظل يُشاهد في صدمة وإنكار.

وعندها حاول فهد رؤيةً مُقاتلها، وهناك كانت الصدمة!

- «إنّه.. إنه...».

- «فهد ماذا هناك؟!» بدأت غدير تصرخ، وهناك ساقت أعينها إلى حيث استقرت أعين الفهد الغاضبة الساخطة، ودب في قلبها الرعب والخوف مباشرة ووقعت أرضًا محاولة الحفاظ على نظم أنفاسها المتقطّعة بكل صعوبة، عندما ميزت ذلك الشخص أمامها وأخذت تضرب بيدها على قلبها

من شدة الألم ترتجي الخلاص، وجسدها مازال يرتجف خوفًا ورعبًا، وعلى ركبتيها مازالت وعيناها العسليتان جاحظتان تمامًا دون أن ترمشا من شدة خوفها!

وراحت تصرخُ بكل قوتها:

- «إنّه... الآاان يا فهدد!!!».

- «م...».

وقبل أن يبدأ ليث بقول أي شيء، إذا بتلك الهالة المرعبة تنبعث من ذلك الفهد بجانبه، واعتلت على عينيه نظرات الكره والحقد والغضب والانتقام!

وبينما كانت أنظاره موجّهة إلى ذلك الشخص، راح يخرج تلك القطعة الحديدية من جيبه وأخذ يقبض عليها بيده الجريحة بشدّة، وبدأت روحه تشتعل غضبًا.وفي تلك اللحظة امتلأ وجه ليث بالخوف عندما رأى يده اليسرى تشتعل نارًا بأكملها. وقبل أن ترمش عينا الغريب، إذا بذلك الفهد قد اختفى من جانبه بسرعة مرعبة وراح ينقضّ بيده اليسرى المشتعلة بنيران سحره النايروستراث، وبيده اليمنى خنجره الحاد، ولا يرتجي إلا موته!

القتل والقتل ولا شيء غير القتل!

- «سعاد توقفي أرجوكِ لا أريد أن أؤذيك!» بدأ ذلك الرجل مُرتجيًا بنتَ الشّهاب أن تتوقف.

ولكن ذات العينين الرماديتين انهالت عليه بكل قوتها ولم تدع له مجالًا للهرب، وأخذت تصرخ بكل غضب وحقد:

- «سوف أقتلك! سوف أقتلك أيها الوغد!».

وفي وسط احتدام قتالهما، إذا بذلك الفهد الغاضب ينقضّ بكل قوته على ذلك الرجل من الخلف بخنجره. ولكن تمكّن الأخير من التصدي له، وهناك رأت بنت الشهاب فرصة سانحة ولوّحت بسيفها في منتصفه، ولكنه تمكن من تفاديها بسرعة، وهرع بخطوات سريعة للخلف. ولكن ذلك الفهد لم يسمح له بالتقاط أنفاسه أبدًا إذ تمكن الأخير بذكائه أن يتنبأ بخطوته القادمة، وغدر به من الخلف، ولكن هذه المرة ليس بخنجره بل بتلك اليد المشتعلة، وقال صارخًا قبل أن يُضرِم النَّارَ فيه:

- «هذا ردّ ديني أيها اللعـ...».

وقبل أن يردّ الفهد دينه، إذا بذلك الرجل يختفي من أمامه فجأة!

وأصبح بغمضة عين خلفه، وفي تلك اللحظة همّت سعاد لردعه وبسرعة ولكن... توقفت الأخيرة عندما رأته مشيرًا بسيفه إلى عنق فهد، وقالت والغضب يعتري وجهها مشمئزة منه:

- «هل أصبحت تقتل الأطفال الآن أيضًا؟!».

- «أرجوكِ لا أريد قتل أي أحد! فقط دعيني أذهب!».

- «لن تذهب إلى أي مكان، لقد انتهى أمرك يا كساندر!».

- «سعاد أنتِ لا تعلمين حقيقة ما جرى تلك الليلة! لذا أرجوكِ دعيني أذهب!» قال كساندر بعينين راجيتين ممسكًا بذلك الفهد كرادع لها.

وبينما كان كساندر يحاول الخروج من وضعه الحرج، إذا بذات العينين العسليتين تصرخ غاضبة ومشيرة بقبضتها المغلقة اتجاهه:

- «دعه وشأنه!».

وفي تلك اللحظة التفتت ذات الشعر الرمادي وحطّت عيناها على جروها

الصغير ليث خلف غدير، ووقفت في استنكار وخوف:

- «ليث!».

وقبل أن يتمكّن أحد من استيعاب ما يحدث، إذا بالرياح حول تلك الفتاة بدأت بالهيجان والغضب وأخذت تلتف حولها بسرعة مخيفة، ونظرات الحقد والكره قد اعتلت عينيها الحادتين، وكشفت ذات الغمازتين عما في قبضتها، فإذا بها قطع صغيرة من أسهم الصوان الحادة أخذت تطفو في الهواء أمام أعين الجميع، موجهة إلى محتجز ذلك الفهد أمامها!

«رون ريم بلاثريا».

وابل من تلك القذائف الصغيرة الحادّة والمعزّزة بسحر الهايروستراث، جعلت من كساندر يفقد توازنه للحظة مكّنت فهد من التحرر من قبضته والهروب من مدى ذلك الهجوم بشق الأنفس. وفي اللحظة التي كادت تلك الأسهم القاتلة أن تستقر في هدفها، إذا بالأرض تُنشئ درعًا حول كساندر!

- «كساندر، هل أنت بخير!» بدأ اوولف من الخلف مدافعًا عنه.

- «اوولف علينا الخروج من هنا، وبسرعة!» قال كساندر بقلق.

- «الأمير يوهان خلفنا تمامًا!» أجاب اوولف، وأضاف:

- «لقد تمكّنوا من الإمساك بديمون!».

- «ماذا؟» أجاب ووعيناه جاحظتان تمامًا.

- «كساندر، لن أدعك تذهب!» اعترضت ذات الشعر الرمادي مندفعة بسيفها نحوه، ولكن...

- «سعااااادا» صوت ذلك الشبل الصغير المرتعب جعلها تتردّد للحظة صغيرة مما أعطى كساندر الفرصة السانحة للهرب.

ولكن، كان لذلك الفهد رأي آخر تمامًا!

في جزء من الثانية... وفي اللحظة التي رخى فيها كساندر سيفه وهمّ بالهروب، انقض عليه ذلك الفهد مُكشّرًا عن أنيابه وأخذ يقبض بيده اليسرى وجه كساندر، وأطلق العنان لتلك النيران المرعبة لتلتهم ذراعه اليسرى ووجه كساندر!

وبأعجوبة تمكّن الأخير من تفادي موته، ولكن خلّفت نيران ذلك الفهد الغاضب بصمتها على وجهه للأبد..

- «أيها الوغد الصغير!» اعترض اوولف بسحره التايروستراث، منشئًا حاجبًا من الحجارة بينهم.

- «تبًا!! لقد تفاداها...».

عندها وقبل أن يستكمل ذلك الفهد هجومه، وقع أرضًا يصرخ من شدة الألم فجأة.

- «فهد؟!!» هرعت سعاد خائفة، ورأت الفاجعة.

كانت الجراح القديمة التي زيّنت ذراع الفهد اليسرى تتوهّج بنار الغضب، وكأن سحره بدأ يخرج عن السيطرة.

- «فههددا ماذا جرى أخبرني؟» صرخت سعاد.

- «أين هي القطعة الحديدية؟!» بكلّ خوف، هرعت غدير مسرعة وراحت تردّد وهي تحتضن ذلك الفهد بين يديها:

- «لقد خرج سحره عن السيطرة... القطعة الحديدية! أين هي؟».

- «ااااء!!» صرخ ذلك الفهد مُتألمًا، وأخذ ذلك الوهج الأحمر يشع داخل عروق يده المتشققة الكثيرة، وكأن سحر نيرانه يتسرب من خلال عروق يده المعتّفة، بل وكأنها نيران بركان حان أوانه.

- «ها هي هناك!» أجابت ذات الشعر الرمادي وهرعت كي تلتقطها، ولكن غدير راحت تصرخ محذرة:

- «سعاد احذري إنها...».

- «ااء.. إنها ساخنة!» عندها وبسحر المايروستراث، تمكّنت سعاد من تدفئة تلك القطعة الحديدية، وأعطتها إلى ذات الغمازتين.

- «فهد اقبض عليها الآن هيا!» بين أحضانها وعينيها القلقتين، وضعت غدير القطعة الحديدية على كفّ يده اليسرى، وأخذ الفهد يصرخ من شدة الألم قابضًا عليها بكل قوته، حتى بدأ ذلك الوهج داخل عروقه المشتعلة يختفي ويتلاشى، وفقد عندها الوعي في مكانه ويده اليسرى وعروقها احترقت، وأصبحت سوداء كالفحم.

- «هل سيكون بخير؟» بدأت ذات الشعر الرمادي قلقةً ولكن لم تلق إجابة. إذ كانت غدير متمسِّكة بذلك الفهد بين أحضانها، والخوف قد ملأ عينيها العسليتين، وراحت تُردّد خائفة ترتجي بصوتها الباكي:

- «أجل.. أجل سيكون بخير! يجب عليه أن يكون بخير! لقد وعدني!».

- «كساندر علينا الذهاب الآن! هذه فُرصتنا!» قال اوولف، مساعدًا كساندر على الوقوف.

- «ليث، أين أنت؟!» نادت ذات الشعر الرمادي تبحث عن قرة عينيها بأعلى صوتها وسط تلك المعمعة كلّها، والنَّاس تجري للنجاة بحياتها في كل مكان.

- «ماذا عن ديمون؟» صرخ كساندر.

- «لقد فات الأوان، لا يمكننا فعل أي شيء، علينا الذهاب الآن يا كساندر!» اعترض اوولف محذرًا.

- «ليث أين أنت؟».

وفي تلك اللحظة انتبه كساندر لسعاد وهي تركض تبحث عن ذلك الليث، كذئبة أضاعت جروها الصغير وكلّها خوف وقلق، عندها ومن خلف العربة ظهر ذلك الشبل الصغير مُرتعبًا، وراحت ذات العينين الرماديتين تركض ناحيته بسرعة وأخذته بالأحضان خائفة.

- «ليث هل أنت بخير؟ يا إلهي هل أصابك مكروه؟».

- «أنا بخير.. ولكن فهد..» أجاب ليث مُشيرًا بإصبعه وعيناه المرعوبتان تفيض بالدموع بكل خوف على صديقه الممدد على الأرض.

وفي تلك اللحظة تقابلت فيها عينا كساندر بذلك الشبل داخل أحضان سعاد، وقال وهو يمعن النظر إليه:

- «اوولف، هيا لنخرج من هنا..».

عندها وبصوت مزمجر، صرخت تلك الذئبةُ ذات الشعر الرمادي غاضبة:

- «كسااااندر!!».

توقف كساندر على صدى ندائها، والتفت خلفه وعينه المصابة بالكاد ترى ملامح تلك الذئبة الغاضبة.

- «يومًا ما أعدك.. يومًا ما، سوف أقتلك!».

الفصل الثاني والعشرون..

نهاية البداية

<<مملكة ليثيونا>>

<<مدينة روزن>>

- «إيفيلين.. إيفيلين، أرجوكِ استيقظي!» بدأت الطفلة في منتصف الليل تُنادي بخوف.

- «ليان، ماذا هناك؟» أجابت إيفيلين مستيقظة من النوم فزعة.

- «لقد راودني كابوس مخيف..».

- «كابوس؟».

- «اهمم، وعندما استيقظت كان هناك دماء في كُل مكان!».

- «ماذا؟! هل أنتِ متأكدة؟» صرخت إيفيلين فزعة من فراشها، وعلامات القلق مرسومة على عينيها الخضراوين.

- «أنا متأكدة!».

- «ليان، أخبريني ما الذي حلمتِ به؟!».

- «لماذا الحلم مهم؟ لقد أخبرتكِ، أن هناك دم في فراشي!» همست ليان بصوت منخفض.

عندها قامت إيڤيلين بسرعة تنظر من خلف باب الغرفة إن كانت العجوز الشمطاء مستيقظة أم لا، وعندما أحست بالأمان، أغلقت الباب بهدوء وهرعت مسرعة بخطوات صغيرة هادئة، وقابلت بأعينها القلقة أعين تلك الطفلة الملونة، وأخذت تختبئ وإيَّاها تحت لحافها كي لا يتسلَّل صوتهم خارج تلك الجدران الهشة، وقالت:

- «ليان، أخبريني ما الذي حلمتِ به ولا تُبقي على أيّ تفاصيل، هل سمعتِ؟».

- «لماذا الحلم مهم لهذه الدرجة؟».

- «ليان أرجوكِ أخبريني ما الذي رأيته؟».

وهناك رأت ليان حجم الخوف ومقداره في عيني إيڤيلين القلقة، وقالت:

- «حسنًا سوف أخبركِ.. في البداية كُنت أقف على أرض خضراء أشبه بحديقة من عالم الخيال، كانت حقًا حديقة جميلة تمامًا كالتي نقرأ عنها في الكتب، ولكن كان هناك أمر غريب بشأنها.».

- «ماذا؟».

- «كانت الحديقة تُحيط بي من كلّ مكان، ومهما نظرت هنا أو هناك كانت الحديقة على مرأى بصري ولا شيء حولي. عندها سمعت أصوات ضحكات بعض الأطفال خلفي، وعندما التفت كان هناك ذلك الكوخ الصغير أمامي فجأة! وعندما فتحت الباب رأيتهم هناك على مائدة طعام يضحكون ويأكلون بكل سعادة... وعندما رآني الأطفال على عتبة الباب، أخذوا بيدي ورحبوا بي على مائدتهم بكل فرح وكأنهم يعرفونني من قبل!».

- «ماذا حدث بعدها؟».

- «لا أعلم! كنت داخل الكوخ وفجأة أصبح المكان مظلمًا ولم أعد أسمع

صوت أي شيء!».

- «هل أنتِ متأكدة؟ ألم تنسي أي شيء آخر؟» قالت إيڤيلين بقلق.

- «لا أعلم حقًا! كل شيء حدث بسرعة، كان الحلم غريبًا وكأنه ذكرى أكثر من كونه حلمًا!» أجابت ليان حائرة تتساءل.

عندها أخذت إيڤيلين بيد ليان وقربتها إلى صدرها، وقالت بنبرة خوف وقلق:

- «ليان أرجوك عليكِ التذكر! هل حصل شيء ما في الحلم كان غريبًا؟ كقدرتك على التلاعب بالرياح أو الماء في الحلم! أو ظهر شيء ما أمامكِ، كقطعة ورق أو غصن محترق؟».

- «لا.. لا أظن ذلك!».

- «حمدًا لله، لقد كان حلمًا لا أكثـ...».

- «أوه! أوه! كان هناك اممم... يا إلهي لا أستطيع التذكر..».

- «ماذا؟ ماذا هناك؟!» قالت إيڤيلين خائفة.

عندها أخذت ليان تضرب رأسها محاولة التذكر:

- «كان هناك شيء ما أشبه بـ.. أجل أظنني تذكرت شيئًا، كان هناك صوت نهر بالقرب مني..».

- «هل أنتِ متأكدة؟».

- «أجل، كان صوت النهر قريبًا مني جدًا وكأني أقف على بعد خطوة منه!».

عندها همست الطفلة فرحة:

- «أوه! أوه! لقد تذكرت كلّ شيء! كان صوت النهر بالقرب مني، وكانت الرياح

الدافئة تهب بشكل لطيف حقًا، حتى أن شعري بدأ يتراقص مع هبات الريح، وعندها وجدت نفسي حافية القدمين وماء النهر يتخلل أصابع قدمي وبدأت أضحك بشدّة حتى كدت أن أنزلق! وهناك شعرت وكأن الهواء يحملني وبدأت أمشي على ماء ذلك النّهر وكأنه قطعة زجاج! وبعدها استيقظت مباشرة.».

- «ولكن هذا لا يمكن!» اعترضت إيڤيلين في صدمة حائرة وهي تنظر إلى تلك الصغيرة أمامها، تستنكر ما قالته تمامًا.

- «ماذا تقصدين؟».

- «أقصد أنه لا يمكن لشخص أن يمتلك قوة التحكم بعنصرين في نفس الوقت!!».

- «هل تقصدين أنني أستطيع التحـ...».

- «ليان!!» قاطعت إيڤيلين، مُشوّشة الذهن تمامًا:

- «لماذا قلتِ أنه راودكِ كابوس، إذا كان ما حلمتِ به شيء كهذا؟!».

«هممم.. هذا صحيح لماذا؟!!» أجابت ليان مستغربةً قليلًا، وأضافت:

- «لا أعلم، ولكن عندما استيقظت شعرت بالخوف والحزن الشديد!».

- «يا إلهي، ما الذي أفعله الآن؟» بدأت إيڤيلين شاردة الذهن تُفكر وتفكّر، وبدأ القلق والخوف يزداد في عينيها.

- «إيڤيلين، لماذا أنتِ قلقة هكذا؟ إذا كان حقًا بإمكاني استخدام السحر الآن، فسيمكننا الهروب من هنا أليس كذلك؟!» قالت ليان بكل براءة وهي ترى وأخيرًا المخرج من هذا الجحيم والألم اللانهائي!

وأضافت، والأمل كان قد ملأ عينيها الملونتين وقلبها الصغير:

- «ولن تستطيع تلك البشعة فعل أي شيء لنا بعد الآن.».

- «ليان اسمعيني جيدًا!» قالت إيڤيلين وأخيرًا، بعد تفكير مطوّل، بنبرة جادة وعينين حادتين:

- «عليكِ عدم إخبار أي أحد بهذا، هل سمعتِ؟».

- «ولكن...».

- «لياااان!!» اعترضت إيڤيلين بصوت عال ونظرات عينيها الخضراوين كلها خوف، وأضافت مُحذّرة:

- «لا تخبري أي أحد بهذا أرجوك يا ليان عديني! فنحن لسنا في ريفيرلاند! نحن في ليثيونا، وإذا علم أحد أن بإمكانكِ استخدام السحر فسوف يقتلوننا على الفور أو ربما الأسوأ، وهو أن ينتهي بنا الأمر في قصر بلودغود، هل سمعتِ؟!».

كانت هذه الكلمات كفيلة بأن تهدم باب الأمل ذاك على قلبها بكل قسوة وألم. واختفت تلك الابتسامة من على وجهها في لحظتها. وأجابت بكل قلب مكسور ونبرة مهزوزة وألم لا يطاق، وتلك الدمعة الواحدة قد فرّت من عينها العسلية الواحدة:

- «أعدك..».

- «حسنًا، هيا اذهبي وغيّري لباسكِ وأنا سأغسلها برفقة ملاءة فراشكِ الآن، قبل أن تستيقظ العجوز وتراها وتبدأ بطرح الأسئلة.».

- «وأين سأنام؟».

- «ستنامين معي هذه الليلة، هيا بسرعة.».

‹‹العاصمة وتارين››

{قصر ترايث..}.

وبين ممرات القصر الواسعة، وتلك الجدران المهولة الضخمة، وتحت ضوء القمر، وتلك الشموع الصغيرة تنير أعتاب تلك الغرف الكثيرة، وممراتها الكبيرة والمزينة سقوفها بتلك الرسومات والنقوش المذهّبة، والستائر المنسدلة العالية، تتنزَّل بضوء القمر المُتسلّل من تلك النوافذ الكرستالية المهيبة، ورائحة زهور اللافندر الهادئة والفانيلا المنعشة التي هيمنت على ممرات وأطراف، هذا القصر العظيم.

- «هل سيكون الفتى بخير؟» بدأ ذلك الأمير على أعتاب غرفة المريض مخاطبًا ذات العينين الرماديتين.

- «أجل، سيكون بخير، ولكن أخشى أن آثار الحروق بيده لن تزول.» أجابت سعاد، وأضافت وهي تغادر الغرفة مقفلة الباب خلفها:

- «هل لنا أن نتحدث؟».

- «أجل، توماس، والبقية في انتظارنا.».

- «غدير؟» بدأ الليث الصغير بقرب ذلك الفهد الجريح، والضمادات غطّت ذراعه اليسرى بالكامل، في منظر يقشعر له البدن.

وذات الغمازتين مُمسكة بيده اليمنى، مُغمضة عينيها تدعو أن يكون فتاها بخير:

- «هل سيكون فهد على ما يرام؟».

- «لا تقلق فهذا المتنمر المعتوه قوي الإرادة!» أجابت غدير بابتسامة مزيفة خائفة.

- «ما الذي حدث هناك؟ بدآ الأمر وكأنّ يده على وشك الانفجار؟»،

- «منذ وقت طويل تعرّض فهد لحادث مرعب أدى إلى عدم قدرته على استخدام سحره أبدًا...».

- «فهل للأمر علاقة بذلك الرجل سابقًا؟».

- «أجل، ذلك الشخص هو السبب في خسارتنا كُل شيء! وهو السبب في أننا أردنا سرقة نصل الليل...».

- «أعلم أنني أتدخل في شيء لا يخصني، ولكن ماذا فعل ذلك الرجل بكما؟».

ابتسمت غدير قليلًا، وقالت:

- «لا عليك، لقد أصبحتُ مُتعوّدة على فضولك هذا.» وراحت تنظر إلى ذلك الفهد مُمسكة بيده ودموع الخوف علقت بين جفون عينيها العسليتين، وقالت تحاول البقاء صامدة متزنة وهي تستذكر ذلك الماضي الأليم:

- «قبل حوالي سنة ونصف، كنتُ أعيش برفقة والديَّ في مدينة كاران قرب السّاحل، وكنا ننعم بحياة بسيطة وهادئة حقًا. كان كلا والديّ من الإيثاي، وكانا عالمين، ومُحبّين للكتب التاريخية والبحوث والتجارب العلمية، وكُنت سعيدة جدًا عندما أرى تلك الابتسامة على وجهيهما في كل مرة يكتشفان شيئًا جديدًا مُذهلًا ويخبراني به بكلّ شغف! ورغم أنني لم أكن مُلمّة بتلك الكتب مثلهما

أبدًا، ولكن لم أمل يومًا من كلامهما الغير مفهوم ذاك أبدًا. أما فهد فقد تربّى بين أزقة شوارع المدينة، وصدقني كاران مدينة تملؤها جميع أصناف الشر الذي يمكنك تخيّله من مكر وسرقة وعصابات وقتالات الشوارع التي لا تنتهي.. ولكن بشكل ما كانت كاران المنزل الدّافئ بالنسبة لنا، وقد أعطتني أجمل هدية يُمكن أن أطلبها يومًا..» عندها أخذت تنظر إلى ذلك الفهد بجانبها مبتسمة، وأكملت بنظرات العطف والحب:

- «أعطتني ذاك اليتيم كي أأتمنه بقلبي ويحفظ سري... أعطتني سندًا يؤازرني وكتفًا أميل برأسي عليه وأشكو آلامي التافهة إليه.. أعطتني قلبًا عطوفًا رُغم قساوة الحياة التي عاشها بين أزقة المدينة وحيدًا، ورغم كلّ هذا، فالابتسامة لم تفارق شفتيه منذ أن رأيته أبدًا! كان يتسلل إلى سطح منزلي ويطرق النافذة في وسط الليل فقط من أجل رؤيتي وإعطائي تلك الرسائل والأشعار التي كتبها من أجلي! في البداية رفض والديّ أن أصاحبه، ولكن يومًا ما رأيا تلك الرسائل التي كان يكتبها لي، وذُهلا من فصاحته ودعوه مرة إلى المنزل لتناول العشاء، وأبديا إعجابهما بتلك الرسائل ومدى فصاحتها، وبدأوا بالحديث طوال الليل عن الكتب وكيف أنه كان يتسلّل إلى مكتبة المدينة ويسرق منها بعض الكتب فقط كي يملأ تلك الليالي الخالية الوحيدة الموحشة من حياته بشخصيات وهمية وأماكن خيالية وأحرفًا تسوقه إلى عالم الخيال والأحلام.. وأصبح بعدها يرتاد منزلنا كُل يوم مستأذنًا بخجل كي يزور مكتبة والديّ ويمضي ساعات وساعات في قراءة تلك الكتب حتى أنني بدأت أشعر بالغيرة من قضائه كل هذا الوقت مُنغمسًا بين تلك الكتب! ولكن ابتسامته تلك ونظراته لي عندما يكشفني مُتسللة بين أرفف المكتبة، أتأمله فيها دون ملل، كانت تلك النظرات تسعدني أكثر من أي شيء آخر في هذه الحياة... وكأنني أعيش قصة من عالم الخيال برفقته، ولكن كلّ هذه الأحلام تبخرت عندما طرق بابنا ذلك الغريب في ليلة ما! كنتُ فيها عائدة إلى المنزل، وهناك رأيت أمي وأبي على الأرض مقتولين قُرب المدفئة، ورأيت ذلك الشخص مُمسكًا بذراع فهد، وأخذ

بخنجره يُهشِّمها حتى سال الدَّم منها بلا توقف، والآخر كان يقف بالقرب من جسد والديَّ بصمت.. عندها لم أستطع التنفّس وبدأت أشعر بالدوار ولم تستطع قدماي تحمل ثقلي، وعندما هممت بالصراخ، إذا برجل آخر ثالث باغتني من الخلف قابضًا يده على فمي حتى فقدت الوعي.. وعندما استيقظتُ كان الرّجلان قد رحلا، وفهد مُمدَّد بجانبي يحمل سكينًا صغيرة مغمى عليه، وعندها بدأ النَّاس يتوافدون على عتبة المنزل بعدما أصبحت رائحة الدماء قوية.

وهناك شعرت بالخوف أنه إذا رأى أحدهم السكين بيد فهد سيظن الجميع أنه هو من قتلهم! عندها وبسرعة أخذت أحمل فهد على كتفي وخرجت من الباب الخلفي للمنزل، وتسلّلنا خفية إلى أحد حاويات المُؤن المتوجهة إلى مملكة ريفيرلاند صدفة.».

- «أنا آسف لجعلك تتذكرين كل هذا! أنا آسف حقًا.».

- «كلٌّ له قصته، أليس كذلك أيها الغريب؟!» أجابت غدير بابتسامة صغيرة جريحة.

- «أظن ذلك..» قال ليث بابتسامة مراعية مستذكرًا فاجعته، وأضاف:

- «وما قصة القطعة الحديدية؟».

- «منذ أن حصل فهد على قوته، لم يستطع أبدًا استخدامها لأنه وفي كلّ مرّة يحاول فعل ذلك، تخرج قواه عن السيطرة وكأن ما حدث ليده اليسرى جعل من قواه تتسرب بطريقة ما وبشكل غريب! ووجدنا أن الحل الوحيد هو إذا جعلناه يُركز طاقته على نقطة معينة، أو سلاح معين! ولكن لم نتمكّن من إيجاد سلاح بإمكانه البقاء على شاكلته بعد أن تلتهمه نيران فهد.. لذا بدأنا بالبحث عن شيء ما يستطيع احتوائها، وبعد بحث مطوّل وجدنا في كتاب ما عن سلاح صغير يُدعى بنصل الليل ويقال أنه مصنوع من عظام أحد

المخلوقات الأسطورية القديمة، وأن ليس هناك شيء يستطيع خدشه أو تدميره! أو على الأقل هذا ما قاله الكتاب، ولكن إلى أن نجد ذلك النصل فهذه القطعة الحديدية هي كل ما نملك لاحتواء طاقته.».

- «بشكل ما يبدو الأمر رائعًا، حتى لمعتوه مثله.» قال ليث بابتسامة صغيرة تبعتها ابتسامة من غدير كذلك، وقالت:

- «هو كذلك، ولكنه معتوهي أنا، لذلك سأحميه مهما كلَّف الأمر!».

عندها راحت ذات الغمازتين تلين جسدها بجانبه ووضعت رأسها على صدره، وأغمضت عينيها راجية الخلاص لقطعة قلبها. قطعة كان الفهد عنوانها.

{في غرفة الاجتماعات..}.

- «هل هناك أي أخبار من حرس الحدود؟» بدأ الأمير يوهان مخاطبًا.

- «لا ليس بعد..» أجاب توماس.

- «هل تكلّم السجين بعد؟».

- «ليس بعد، ولكن ليونرد لديه أساليبه الخاصة لجعله يتكلم.. لنعطه بعض الوقت.» قال توماس.

- «ليس لدينا أي وقت! كان يجب علينا الإمساك به هناك!» اعترضت سعاد غاضبة.

- «ولكننا لم نستطع!» قال توماس، وأضاف: «لقد رأيتِ بعينيك ما حدث، لم نتنبأ أبدًا بأنهم سيذهبون بعيدًا هكذا ويُسقطون المنارة على رؤوسنا!» أجاب توماس، وأكمل ضاربًا بيده على الطاولة أمامه غاضبًا:

- «اوولف ذاك، تبًا له! لقد رأى خطتنا بكل سهولة واستطاع تجنبها.».

- «لماذا كان كساندر في دينمون من الأساس؟ ما الذي أتى من أجله؟» أكملت سعاد متسائلة في حيرة.

- «منذ أن هرب كساندر من قبضتنا، وضعت جائزة لكل من يستطيع أن يأتي بمعلومات عن مكانه.» قال الأمير يوهان، وأضاف:

- «وخلال الفترة السابقة انتشرت أقوال بين «الميركاتورس»[1] عن شخص تُطابق أوصافه أوصاف كساندر يبحث عن أثر قديم يُدعى «بكسيڤا» وبعد

[1] الميركاتورس هم تجار المعلومات في العالم السفلي أو كما يعرف بالسوق السوداء.

والميركاتورس هي كلمة لاتينية وتعني "تاجر".

البحث المطوّل، اكتشفنا أنها محفوظة في دينمون تحت حراسة شديدة رفقة التّحف الثمينة الأخرى!».

- «هل تعلم ماهية بكسيڤا هذه بالتحديد؟» قالت سعاد.

- «لا، ولكن نعلم الآن أن اوولف مشارك في الأمر أيضًا مما يجعل الأمر خطيرًا للغاية!» أجابَ يوهان.

- «هل تمكنا من الحصول عليها إذًا؟».

- «لدينا لائحة باسم جميع القطع الأثرية هنا، ولكن لا أثر لقطعة تُدعى بكسيڤا، انظري..» أجاب توماس مُسلِّمًا إياها تلكَ اللائحة وأكمل قائلًا:

- «ربما تكون تحت اسم آخر مُزيف، لذا حتى نتمكن من استخراج جميع القطع من تحت الركام، لن نتمكن من معرفة إذا ما كانت بحوزتهما أم لا.».

- «لماذا اوولف؟» اعترضَ يوهان، حائرًا يتساءل.

- «ماذا تقصد؟» قالت سعاد.

- «اوولف ليس بالشخص الذي قد يخاطر بحياته من أجل مهمة خطرة كهذه!».

- «ربما جنَّده كساندر كالبقية.» أجابت بنت الشهاب.

- «اوولف ليس هذا النوع من الرجال، فمعروف عنه أنَّه عالم مجنون، قضى حياته في طرح وفرض نظريات جنونية، ومن أجل إثبات تلك الفرضيات، فقد تعدّى حدود الإنسانية بتجاربه المُرعبة! فهو لا يميز بين كبير أو صغير، إنسان أو حيوان! الكل في نظره مجرد أداة وُجدت كي يجري تجاربه عليها، لذلك هو مطلوب في جميع بقاع الأرض تقريبًا! ولكن هذه المرة هناك شيء مختلف

بشأنه، فهو لن يجرؤ على حركة خطرة كهذه قد تكلّفه حياته إلَّا إذا كان هناك شيء يستحق مُخاطرته بحياته..».

- «أتقصد بكسيڤا؟» قال توماس.

- «أجل بكسيڤا.. وبشكل ما يبدو أن كساندر يريدها أيضًا مما يجعلها أداة خطرة للغاية!».

عندها أجابت ذات العينين الرماديتين بنبرة حازمة:

- «إذًا علينا التأكد أنهما لن يحصلا عليها أبدًا!».

{في أحد شُرف، غُرف القصر..}.

وتحت ضوء القمر، وحبّات المطر الهادئة، كان ليث يجلس على عتبة باب الشرفة محتميًا تحت سقفها، وينظر بعينيه الزرقاوين تلك السحب الرمادية وإلى حبات المطر المستقرّة على أوراق الشجر.

- «ليث؟» بدأت صاحبة الشعر الرمادي مستأذنة الدخول بصوتها الدافئ مبتسمة.

- «أنا هنا..».

عندها راحت سعاد متربعة تجلس بقربه، وقالت:

- «ما الذي تُفكر فيه؟».

- «هل تظنين أن السماء عندما تُمطر هي في الحقيقة تبكي؟».

- «أممم لا أظن ذلك، لماذا؟» أجابت بضحكة صغيرة.

- «لا أعلم أيضًا، إنَّه مُجرد شيء اعتادت ليان على قوله في كل مرة أمطرت فيها السماء.» أجاب بابتسامة هو الآخر.

- «تبدو فتاة غريبة!».

- «هي كذلك حقًا!» أجابَ ليث، وأخذ يبحر في ذكرياته السعيدة، وقال والبسمة لا تفارق شفتيه:

- «دائمًا ما تفتعل المشاكل مع الجميع على أتفه الأمور! ولا ترضى بأي شيء، وتفعل ما تشاء كيفما شاءت، ومتى ما أرادت! حتى أمي لم تستطع السيطرة عليها أبدًا!».

- «يبدو أنه عليّ أن أقابلها يومًا ما! ربما ستخبرني أشياء محرجة عنك أيضًا.»

أجابت سعاد بنبرة مضحكة، ولامست ركبتها بركبته ممازحةً إياه.

- «الشيء الوحيد المحرج هو ضحكتها، عليكِ حقًا سماع ضحكتها الغريبة تلك!» قال ليث وراح محاولًا تقليدها بشكل مضحك ولطيف:

- «هيهييهاهها!!!».

عندها بدأت سعاد بالضحك بشدة ولم تستطع التوقف، حتى سالت دموعها من شدّة الضحك. أما ليث فراح ينظر إليها بنظرة حائرة وبدأ بالضحك معها مستغربًا يتساءل، وقال:

- «يا إلهي ما هذا؟ لم أقل شيئًا مُضحكًا لهذه الدرجة!».

- «يا إلهي لقد أضحكتني حقًا!» قالت سعاد، وأضافت تمسح دموعها الضاحكة تلك:

- «هل تعلم شيئًا؟».

- «ماذا؟».

- «لقد كان لدي صديقة مثلها تمامًا.».

عندها بدأت حبّات المطر تتوقّف شيئًا فشيئًا. وأخذت الذئبة تنظر إلى السماء مستذكرة الماضي، وقالت بنبرة دافئة وعينين مبتسمتين:

- «كُنّا مجرد أطفال وقتها، ودائمًا ما نفتعل المشاكل مع أي أحد، وفي أي وقت، ولم نُعطِ أي اهتمام لأي شيء.. وكُنّا حتى نتعارك فيما بيننا كُلّما سنحت الفرصة وعلى ماذا؟ على شاب يكبرنا بكثير!».

عندها أغمضت بنت الشهاب عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا ممزوجًا برائحة المطر، وقالت مبتسمةً، وكأنها تعيش في ذلك الأمس:

- «كانت فتاة استثنائية! كانت صديقتي الوحيدة حقًا..».

عندها أخذ ليث يدسّ نفسه بين ذراعيها محتضنًا إياها بكل قوته، وقال بنبرة مهزوزة وقلب يتحامل البكاء مبتسمًا:

- «أنا سأكون صديقكِ إلى الأبد.».

كانت تلك الكلمات بمثابة طعنة أصابت قلبها، وجعلت من عينيها تستسلم لتلك اللحظة الواحدة. وبدأت دموعها تسقط على خدَّيها كما تسقط حبات المطر على ورق الشجر. وراحت تستقبل ذلك الشبل بين أحضانها محتضنة إيَّاه كما تحتضن الأم رضيعها لأوّل مرّة بكلّ حبّ وشغف. دامت تلك اللحظة طويلًا تحت ضوء القمر وهما يشاهدان تلك النجوم اللامعة في السماء بصمت، وعندها إذا بذلك الشهاب المهيب ذي الذيل الأبيض الطويل، يخترق تلك السماء الزرقاء الداكنة في صورة مهيبة أسر فيها أعين الناظرين إليه.

وفي تلك اللحظة، بدأ الليث يهمس بين نفسه أمنية راجيًا أن يلتقي بأخته يومًا ما.

- «ليث..» قالت سعاد وهي تلعب بشعره بنبرة هادئة.

- «أجل؟».

- «عندما ينتهي كل هذا سوف أذهب معك للبحث عنها، أعدك.».

- «حقًا!» أجاب فرحًا وهو يُعاين عينيها الرماديتين وكلّه رجاء لذلك اليوم أن يأتي.

- «اههم...» أجابت مُهمهمة بابتسامة في عينيه.

- «حسنًا، ما رأيكِ أن نعدَ بعضنا البعض هنا، والآن؟».

- «حسنًا.».

عندها أخذ ليث يجلس متربعًا أمامها، وقدّم إليها إصبعه الصغير، واختتما وعدهما بقبلة من إبهاميهما، وقال:

- «هكذا علمتني أمي كيف أربط وعدي بشخص ما للأبد..»،

وعلى صدى وقع تلك الكلمات، تجمّدت سعاد في مكانها! واصفرّ وجهها! وأخذت تنظر إلى ذلك الطفل أمامها في ذهول وجسدها يقشعر ولسانها يأبى الكلام، وكيانها اهتز تمامًا! وصارعت تلك الأنفاس الثقيلة، وأبت جفونها أن ترمش، وجسدها أن يتوقف عن الرجفان!

وتحاملت على لسانها!

وشدّت على قلبها!

وحاربت تلك الأحرف الثّقيلة أن تغادر فمها!

ولكن كانت تلك الكلمات أوجع! وأرهب! وأرعب! وأثقل من أي شيء في الوجود!

وقالت وصوتها يرتجف خوفًا، وعينها امتلأت رعبًا، وقلبها يرتجي الإجابة:

- «ليث.. ما.. هو اسم.. والدتك؟!».

- «أوه! لقد نسيت.. لم أخبرك به.. إنه روز.. روز أليكساندر آلن.».

تم تجهيز هده النسخة بواسطة:

• ميساء طه •

جميع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضَـــاد الإلكترونية

t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد

https://t.me/twinkling4

THE OSTRATH

أُوستراث

أتعلمـــــونَ ما الاســوأ، مـــن العَهْـــدِ والدّم؟
إنّهُ الأمَـــلُ والقَـــدَر..

DO YOU KNOW WHAT'S WORSE, THAN OATH AND BLOOD?

IT'S HOPE AND FATE..

@itshim_f11

دار صفــحات كـتاب للنشـــر والتـــــوزيع